بورا تشانج

يوتوبيا

قصص

مكتبة

أدب كوري حديث

ترجمة:

محمد نجيب

المحروسة

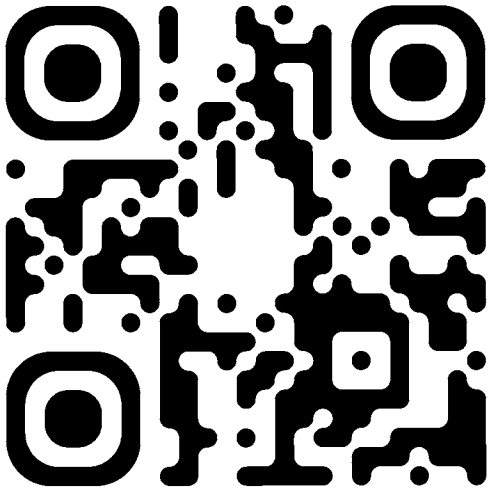

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

يوتوبيا

بورا تشانج

عنوان الكتاب: يوتوبيا 그녀를 만나다
المؤلفة: بورا تشانج 정보라
ترجمة: محمد نجيب
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٣٤٤٣٤ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي:978-977-894-042-8

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة

2025

The original Korean edition was published in 2021 by Arzak and republished in 2024 by Rabbit Hole as "그녀를 만나다" and authored by Bora Chung 정보라
Copyright © Bora Chung
All rights reserved.
This translated edition is published by arrangement with Greenbook Literary Agency, Korea

"This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)."

قصص

مكتبة
t.me/soramnqraa

يوتوبيا

بورا تشانج

ترجمها عن الكورية

محمد نجيب

الطبعة الأولى 2025

مكتبة
t.me/soramnqraa

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

بورا تشانج
يوتوبيا/ بورا تشانج؛ ترجمها عن الكورية: محمد نجيب.-ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2024
259 ص؛ 14.5×21.5 سم
تدمك 978-977-894-042-8
1- القصص الكورية
2- القصص الكورية القصيرة
أ- نجيب، محمد (مترجم)
ب- العنوان
895.73

رقم الإيداع 2024/34434

مكتبة
t.me/soramnqraa

مركز أبحاث الخلود

"هل تعلمين، أعتقد أنني مُطارَدة؟".

هذا ما أخبرتني به إحدى زميلاتي الأكبر سنًّا في المركز قبل شهرين، في خضم الاستعدادات لفعالية الذكرى السنوية لتأسيس المركز. يبدو أن رجُلًا ما اتصل بالمركز قائلًا إنه فلان العلّاني، وأنه من المنطقة نفسها التي نشأت فيها زميلتي في العمل، وأنهما كانا صديقين مُقرَّبين للغاية، وأنه رشَّح نفسه لمجلس الأمة مؤخرًا، وأنه يرغب في معرفة رقم هاتفها الشخصي. بالطبع، انتبهت موظفة الاستقبال فورًا إلى حقيقةٍ مفادها أن وصف المرء نفسه بأنه "صديق مُقرَّب للغاية" لشخص آخر لهو أمر مريبٌ في حَدِّ ذاته، ولكن عندما همَّ بعد ذِكر طموحاته السياسية بشرح وعود حملته الانتخابية الزائفة، قاطَعَته قائلة إن زميلتها ليست في مكتبها الآن، وعلاوة على ذلك، فهي ليست في وضعٍ يسمح لها بتداول معلومات شخصية مثل أرقام الهواتف مع الغرباء. ومع ذلك، وكنوع من المجاملة المعتادة، سألته عمَّا إذا كان

لديه أي رسالة يودُّ تركها، لكنه أجاب باقتضاب بأنه سيتصل لاحقًا. كرَّر الاتصال مرات عديدة، وهو ما جعل جميع الأعمال الأخرى مستحيلة تقريبًا بالنسبة إلى موظفة الاستقبال. حسنًا، لا أقصد بذلك أن المركز يتطلب هذا القدر الهائل من العمل عادةً، وكان هذا هو مكتب الاستقبال أيضًا ومَهمَّته الرد على المكالمات الهاتفية، ولكن كانت هذه فترة مزدحمة للغاية. كان الجميع في حالة من السُّعار بسبب فعالية الذكرى السنوية، وكم كان مزعجًا أن هذه المكالمات، التي من الممكن إجراؤها خلال أي من أوقات الفراغ الشاسعة في تقويماتنا، كانت تُفرض علينا بدلًا من ذلك خلال هذه الفترة غير المناسبة.

إذا سألتني عن ماهية عمل مركز أبحاث الخلود، فنحن نفعل بالضبط ما هو مكتوب على الملصق: نجري أبحاثًا عن الخلود.

في عام 1912، بعد مدَّةٍ وجيزة من احتلال اليابان لكوريا بالقوة، افتُتح المركز بشعار سخيف للغاية "قد تسقط بلادنا، ولكننا سنعيش إلى الأبد"، وهذا العام هو العام الثامن والتسعين على تأسيسه؛ ممَّا تطلَّب إقامة حفل ضخم.

لا زلت أجهل لماذا قرَّرنا أن مرور ثمانية وتسعين عامًا على التأسيس يستدعي تنظيم هذه الفعالية بدلًا من تسعين أو خمسة وتسعين أو مائة عام، لكن لا أحد من زملائي الأكبر سنًّا أو رُتبة في المركز يعرف السبب، ولا حتى أعضاء مجلس إدارة المركز. أعني، على أية حال، أنا في أسفل التسلسل الهرمي الوظيفي في هذه المؤسسة، ومن واجبي أن أقوم بالعمل الذي يكلِّفونني به، وإذا كان العمل يتضمَّن تنظيم حفل ذكرى سنوية في عام عشوائي، فهذا ما يتعيَّن عليَّ أن أفعله. قد أكون في قاع التسلسل الهرمي، لكن لقبي هو جواجانج أي مديرة متوسطة- والذي بالطبع جزء من سلسلة طويلة من الألقاب الباذخة التي

تصل مباشرة إلى القمة. أعضاء مجلس الإدارة هم في أعلى المستويات، مع سلسلة من البوجانج وتشاجانج وغيرها من الألقاب التي تنخفض تدريجيًّا، وأنا الأدنى مَرتبَة، ولا يوجد أي موظف أدنى مني.

لا أفهم لماذا، على الرغم من تصنيفنا مختبر أبحاث، نحمل مثل هذه الألقاب المؤسسية بدلًا من "المحقِّق الرئيسي" أو "الباحث" مثلًا أو ما شابه ذلك. أعني لا مشكلة لديَّ، خاصة وأنا أتقاضى راتبي الشهري، لكن المشكلة هي أنه نظرًا لعدم وجود موظفين أدنى مني، فإن جميع المهام الصغيرة والتافهة التي قد يقوم بها عامل، تقع ببساطة على عاتقي. ومن بين المهام الصغيرة السخيفة التي أنا مكلَّفة بها كانت إقناع نجم السينما "**ب**" بالحضور إلى حفل الذكرى السنوية لمعهدنا.

مَن كان نجم السينما "ب"؟ كان في الواقع شابًّا وسيمًا، وممثلًا جيدًا، وفاز بجائزة ما، وكان اسمه معروفًا على نطاق واسع. ما علاقته بمركزنا وذكراه السنوية الثامنة والتسعين؟ حسنًا، لا شيء، باستثناء حقيقة أنه منذ مدة طويلة، قبل أن يصبح نجم صفٍّ أول، مثَّل في فيلم فانتازيا عن بالخلود. كان الفيلم فاشِلًا إلى الحد الذي جعل الناس في هذه الأيام لا يتذكَّرون عنوانه، وربما أراد الممثلون فيه أن يمحوه من سيرتهم الذاتية، ولكن على أية حال، كان الفيلم يدور حول الخلود، وستكون الفعالية عاجَّة بالأطباء والأساتذة والأكاديميين المتميزين؛ ولهذا السبب اعتقدوا أن وجود نجم سينمائي بين المدعوين من شأنه أن يجعل الجو أقلَّ صرامةً وأن يجعل المركز يبدو أكثر بريقًا؛ لذا قرَّروا دعوة السيد "ب".

كانت فكرة جيدة، ولكن كما تسير الخطط الشبيهة، لم يكن ثمة أي طريقة لتمريرها من خلال تصويت مجلس الإدارة، وبما أن جميع المدراء في المركز كانوا خبراء في الخلود، كلٌّ بطريقته الخاصة؛ كان لا بُدَّ

من خوض معركة حول ما يشمله الخلود كمفهوم قبل أن نمضي قدمًا. الكلمة الكورية للخلود هي مزيج من "الشباب الطويل" و"الحياة الأبدية". هل "طويل" و"الأبدية" تعنيان الشيء نفسه حقًّا؟ بالطبع لا، لأن "الأبدية" تدوم لفترة أطول بكثير من "طويل". وعلى هذا فإن "الشباب الطويل" كان مرادفًا باهتًا مقارنة بـ"الحياة الأبدية"، وكان من غير المناسب أن يلائم ممثِّل شارك في فيلم عن "الشباب الطويل"، وفقًا لمنتقديه، مَهمَّةَ وغاية المركز.

ولكن عندما بحثنا آنذاك عن أفلام تتناول المعنى الدقيق لـ"الحياة الأبدية"، لم نجد مثل هذه الأفلام تقريبًا في كوريا، ومن السخف أن نتصوَّر أن ممثِّلًا مثل هيو جاكمان قد يكلِّف نفسه عناء الحضور إلى احتفالية الذكرى السنوية الثامنة والتسعين لتأسيس مركز أبحاث الخلود في كوريا (كما دار بعض الجدل حول ما إذا كان الفيلم الذي شارك فيه هيو جاكمان، "النافورة"، فيلمًا عن الخلود أم التناسُخ، وما إذا كان في الواقع عن العوالم الموازية، ولكن عندما قرَّرنا مشاهدة الفيلم كمجموعة من أجل الفصل في هذه القضية، بدأ جميع أعضاء مجلس الإدارة في الشخير بعد مرور خمس عشرة دقيقة من بدء الفيلم، الأمر الذي جعل النقطة برُمَّتها عديمة الجدوى). ثم، كبديل، كانت ثمة ثلاثية أفلام روسية حقَّقَت نجاحًا هائلًا في شباك التذاكر، وفازت بجائزة يصعب نطق اسمها، ولكن لم يكن ثمة أحد في المركز يجيد التحدث باللغة الروسية؛ وبالتالي رُفض هذا الاقتراح أيضًا. وهكذا، انتهى الأمر من جديد إلى الممثل السيد "ب".

عندما لم يكن تشاجانج أو بوجانج، أو حتى عضوًا في مجلس الإدارة، بل الرئيس التنفيذي للمختبر بنفسه مَن اتصل بي فجأة، هرولتُ إلى مكتبه وقلبي ينبض بقوة. سلَّمني قصاصة ورق، مكتوبًا عليها عنوان بريد إلكتروني ورقم هاتف، وقال إن مثل هذا النجم السينمائي الشهير من المحتمَل أن يكون جدول أعماله مزدحمًا؛ لذا كان عليَّ الاتصال

بـه مبكـرًا وتحديـد موعـد معـه، وأن مسـاعده ردَّ عليـه بالفعـل مـرة واحـدة وحصـل منـه عـلى إجابـة "**سـننظر في الأمـر**"، وأن هـذا هـو رقـم هاتـف مديـر أعـمال الممثـل، وأننـي بحاجـة إلى الاتصـال بـه والحصـول عـلى إجابـة حاسـمة، ثـم شرع في إعطـائي نصًّـا دقيقًـا لمـا سـأقوله عـبر الهاتـف. كان عـليَّ أن أذكـر أننـي مديـرة قسـم في "**شركـة أدويـة ضخمـة**"، وأننـا سـنُقدِّر لـو تفضَّـل الممثـل "ب" بتشريـف احتفالنـا بالذكـرى السـنوية الثامنـة والتسـعين بحضـوره. وعـليَّ أن أكـون مهذبـة، ولكـن حازمـة، وأن أؤكـد عـلى نقطـة أننـا "**شركـة أدويـة ضخمـة**" وأننـي مديـرة قسـم؛ حتـى يفهمـوا ضمنًـا أنهـم يعامَلـون بقـدر لائـق مـن الاحـترام عندمـا يلاحظـون أن مديـرًا يتصـل بهـم، وأيضًـا ذكـري أننـا شركـة أدويـة ضخمـة، قـد يدفعهـم إلى الاعتقـاد أننـا سـنعرض عليـه في النهايـة إعلانًـا تجاريًـا؛ مـمَّا سـيجعلهم يـتردَّدون في رفـض العـرض.

بالطبـع، لم نكـن شركـة أدويـة، بـل مركـز أبحـاث تابـع لشركـة أدويـة، ولم ننتـج إعلانـات تجاريـة، ولكـن في كل الأحـوال، كانـت هـذه هـي المهمة التـي كُلِّفـتُ بهـا، وقـد قمـت بهـا بأفضـل مـا في وسـعي، وقـد أسـفر ذلـك عـن رفـض تـام وقاطـع مـن مديـر أعـمال الممثـل "ب".

أجريـت ثمـاني وثلاثـين مكالمـة، وأرسـلت اثنتـين وعشريـن رسـالة نَصِّيَّـة، وحتـى خمسـة عـشر بريـدًا إلكترونيًـا مهذَّبًـا للغايـة، ولكـن لم أتلـقَّ أيَّ ردٍّ؛ مـمَّا جعلنـي أشـعر بالقلـق في البدايـة، ثم الغضـب، وفي النهاية استسـلمت. حتـى لـو كنـت الشـخص الأدنى مَرتَبَـةً ولم يكـن هنـاك أي فرصـة للارتقـاء في هـذه المنظمـة حتـى نهايـة الزمـان، فقـد تمكَّنـتُ مـن التَّمسُّـك بهـذه الوظيفـة طـوال هـذه السـنوات، وكان الأمـر يثـير حنقـي أننـي واجهـتُ فجـأةً عقبـةً لا علاقـة لهـا بعمـلي المكتبـي أو البحثـي، ولكـنَّ شـيئًا سـخيفًا مثـل رفـض مديـر أعـمال ممثِّـلٍ الـرَّدَّ عـلى مكالمـاتي، كان الأمـر برُمَّتـه غـير منصـف بصـورة لا تُصـدَّق.

بينما كنت جالسة في بهو المركز، أعبث بهاتفي وأتساءل عمَّا إذا كان يجب أن أحاول مرة أخرى، فجأة سمعت صوتًا.

"عفوا، هل تعرفين أين يقع مكتب المديرة كيم سيجيونج؟".

كان الرجل مهذبًا للغاية، ونبرته هادئة، وعندما رفعت نظري والتقت نظراته بعيني، شعرت وكأنني رأيت وجهه في مكانٍ ما من قبل، لكنني لم أستطع تحديد أين.

"هل تعرفين في أي طابق يقع فيه مكتب كيم سيجيونج؟ أنا صديق طفولة لها، بارك هيوك سيه، وأنا مرشَّح لمجلس الأمة...".

حينها فكَّرتُ، **"أوه، إنه المُطارِد"**، تلك الكلمات كادت أن تخرج من فمي، لكنني أوقفتُ نفسي.

وعندئذ بحثت في ذهني على نحوٍ محموم من أجل العثور على شيء آخر لأقوله، ولكنني لم أجد أي شيء. وبما أنني اكتفيت بالتحديق به، تحدث الرجل مرة أخرى: "كنت قريبًا جدًّا من المديرة كيم سيجيونج منذ أن كنَّا طفلَيْن، وقد ترعرعنا في المكان نفسه، ولديَّ بعض الصِّلة بالمركز. بصفتي مرشَّحًا لمجلس الأمة، فأنا أعمل ليلًا ونهارًا من أجل تحسين أوضاع بلدي ومواطني بلدي. إذا اخترتني عضوًا في مجلس الأمة، فسأجعل كل شخص في بلدنا يُخلَّد، وهذا من شأنه أن يجعل مركز أبحاث الخلود مركز الأبحاث الرائد في البلاد...".

جعل جميع مَن في البلاد خالدين؟ لقد سمعتُ شتى الأشياء من السياسيين في زماني، لكن كان ما قاله أعجب ما سمعت. ومع ذلك، أجبرني فضولي الأكاديمي على الاستمرار في الاستماع إلى حديثه بغضِّ النظر عن مدى سخافته.

في النهاية قلت: "ولكن كيف بالضبط ستحقِّق الخلود للجميع؟".

إنني على يقين من أنني كنت الشخص الوحيد في هذا القرن بأكمله الذي أبدى هذا القدر من الاهتمام، وإن لم يكن أي من هذا الاهتمام يتعلَّق بوعود حملته الانتخابية.

انتابته الحماسة وبدأ يتحدث بصوت أعلى، عيناه تلمعان بإيجابية. "إن القرن الحادي والعشرين هو عصر التكنولوچيا، أليس كذلك؟ تركيز كل تكنولوچيتنا على ضغط أشعة الشمس وتسليطها على الأرض لإحياء أسلافنا من جديد سيكون مَهمَّتي الأولى. لقد طُوِّرَت هذه الآلية بالفعل في روسيا في منتصف القرن التاسع عشر، لكن اعتُقِد أنه كان من المستحيل تحقيقها في ذلك الوقت...".

أمقت الأشخاص الذين يبذلون قصارى جهدهم لمواصلة الحديث بصيغة المبني للمجهول، ولكن لم تكن ثمة وسيلة لوقف الطوفان الذي كان يتدفَّق نحوي الآن.

"بالطبع، قد يكون من الصعب إعادة إحياء أسلافنا الذين ماتوا قبل مُدَدٍ أطول نسبيًا وأصبحوا مجرد هياكل عظمية الآن، لكن أولئك الذين ماتوا قبل مدة قصيرة والذين لا تزال أجسادهم في حالة جيدة فلن يكون من الصعب جدًّا إعادتهم، كما أعتقد. إن إعادة إحياء أسلافنا الموتى ووضعهم على طريق الخلود يمكن اعتباره شكلًا من أشكال البِرِّ بالأسلاف، ومتماشيًا مع تقاليد بلدنا التي تتحدث عن احترام شيوخنا، كما أنها أيضًا وسيلة للحفاظ على سكاننا، بل وحتى زيادة عددهم، وهو ما يتناقص بسرعة هذه الأيام بسبب انخفاض معدلات المواليد...".

"معذرة". فكَّرت: **من المستحيل أن يتوقف من تلقاء نفسه.** "يجب أن أعود إلى مكتبي. سأخبر المديرة كيم سيجيونج أنك هنا".

ولكن لسوء حظي وسوء حظِّ محاولاتي للهروب، جعل ذِكري كلمة "**مكتب**" وجهه يضيء بالكامل.

"هل ستذهبين إلى مكتبك؟ سأذهب معك إذن. لا بُدَّ أن كيم سيجيونج في المكتب اليوم، أليس كذلك؟".

"لا. أوني[1]... أعني، المديرة كيم سيجيونج تعمل خارج المكتب اليوم وهي ليست هنا".

فجأة، اكفهرَّ وجه الرجل. "أوه، إنها ليست هنا مرة أخرى؟ لا بُدَّ أنها مشغولة حقًّا. ما سبب انشغالكم الشديد هذه الفترة؟".

"إنها حقًّا..." بدافع اليأس، بدأت في الكذب على الفور. "نحن في الواقع... سنقيم فعالية بمناسبة الذكرى السنوية لتأسيس مركزنا، وكنا سندعو نجم السينما 'ب' إلى الحفل، لكننا لا نستطيع الوصول إليه... لذا أعتقد أنها في مكتب مدير أعماله لمفاوضته، لكنني لا أعتقد أن الأمر يسير على ما يرام...".

"هل هذا صحيح؟".

كانت كذبة، لكن وجهه أصبح صادقًا للغاية، لدرجة أنني بدأت أشعر بالقلق.

وإذا بالرجل يبدأ باستجوابي حول هذه المسألة. "لماذا يُعتقد أن المفاوضات لا تسير جيدًا؟ هل هي مسألة مالية؟ أم تضارب في المواعيد؟".

"حسنًا، أنا في الواقع لا أعرف...".

صحيح أن الناس يختلقون أشد الأشياء جموحًا كلما زاد توتُّرهم، لكن في هذه الحالة، أريد أن ألوم استخدامه الفعل المبني للمجهول على هذا النحو الغريب على محاولتي بأي طريقة ممكنة الفرار من هذه المحادثة.

---

(1) الأخت الكبرى للمرأة بالكورية. وقد تستخدم للإشارة إلى امرأة أكبر في السن (المترجم).

استرسلتُ: "إذن، على سبيل المثال... عندما ذهبت أوني لأول مرة إلى مكتبهم، لم تنادِه بـ'السيد'، بل رفعت -ببساطةٍ- الكلفة قليلًا بينهما، و... هكذا...".

"ماذا؟ لقد رفض الدعوة بسبب مسألة تافهة كهذه؟". بدا ساخطًا، لدرجة أنني أردت التراجع عمَّا قلته للتو، لكن الأوان قد فات.

بينما كنت مترددة وأحاول معرفة ما أقوله بعد ذلك، تصلَّب وجه الرجل وقال: "حسنًا. سأفعل شيئًا حيال ذلك. إذن أنتِ تقولين إن المديرة كيم سيجيونج موجودة في مكتب مدير أعمال ذلك الممثل، هل أنا على حقٍّ؟".

"حسنًا... نعم...".

بالطبع، كانت أوني جالسة بهدوء في مكتبها في الطابق الرابع في تلك اللحظة، تعاني الأمرَّيْن من إجل إنجاز مهام مرتبطة بفعالية الذكرى السنوية والتي لا علاقة لها بالخلود، ولم يكن لدى أيٍّ مِنَّا أي فكرة عن عنوان مكتب مدير أعمال هذا الممثل أو ذاك. لكن الرجل بدا راضيًا وغادر بعد أن قال وداعًا، وهو ما كان بمثابة راحة هائلة لي، ونسيت الأمر برُمَّته بعد مدة وجيزة.

لكن بعد شهر ذكَّرتني الانتخابات به. إذن فقد اتَّضح أن ذلك الرجل الذي ادَّعى أنه سيُرشِّح نفسه لمجلس الأمة ولديه ذلك البرنامج الانتخابي السخيف، الرجل الذي طارَدَ زميلتي بحماس شديد دون أن يكون واضحًا أبدًا لماذا، اتَّضح أنه مرشَّح حقيقي لمجلس الأمة، والأمر الأشد غرابة هو أنه انتُخِب بالفعل. ثم اتصل مدير أعمال الممثل "ب" بمكتبنا. لقد وافقوا، فجأة، على حضور فعالية الذكرى السنوية، وكانوا يسألون عن المكان والزمان. كنتُ متأكِّدةً تمامًا من أن الرجل على الطرف الآخر من الخط هو مدير الأعمال الذي اتَّصلتُ به ثماني وثلاثين مرة دون أن أتلقَّى إجابة، ولم يكن **"سروره"** بحضور "ب"

الفعالية صادقًا تمامًا. داهمني إحساس مفاجئ باليأس، وأخبرته بنبرة مشوبة بالاعتذار عن الوقت والمكان وكيفية الوصول إلى هنا، لكن المدير قاطعني في لحظةٍ ما وكأنه متلهف لإنهاء المكالمة.

ولكن حتى بعد قطع الاتصال فجأة، لم أستطع إلا أن أحدِّق إلى سماعة الهاتف في ذهول. لقد صدَّق مطارد زميلتي، الذي فاز في الانتخابات، أكاذيبي (التي لم تكن أكاذيب بنسبة 100%، لكي نكون مُنصِفين) وبمجرد فوزه في الانتخابات، مارس سُلطاته على الممثل "ب"، ومدير أعماله، بدافعٍ من حبه لزميلتي، ومستغلًا سُلطتَه السياسية إلى حدٍّ ما، ومستخدمًا كل أنواع التهديدات والتلميحات بطريقة ما لجعل "ب" يؤكد أنه سيحضر الفعالية.

شعرت بالانزعاج قليلًا لأنني لم أكن أعرف كل هذا من قبل وتصرَّفتُ بخنوع شديد مع مدير أعمال الممثل أثناء مكالمتنا الهاتفية، حيث تجاهلني ثماني وثلاثين مرة، وكانت هذه فرصة لأقتنص الفرصة التي منحني إيَّاها عضو الجمعية الوطنية لتحقيق نتيجة مرضية.

تسبَّبَت هذه الحوادث الصغيرة والكبيرة في تعثُّر تخطيطنا للفعالية. والآن بعد أن نجحت في إقناع "ب" بالمشاركة، كان عليَّ بعد ذلك أن أعدَّ الدعوات والملصقات. لقد قبلتُ هذه المهمة لأنني لم أكن في موقف يسمح لي برفض أوامر مَن هم فوقي، ولكنني علمت لاحقًا أن هذه الدعوات والملصقات كان من المقرَّر توزيعها خارج مؤسستنا، وبالتالي ستترك أدِلَّةً مادِّيَّةً مُهمَّةً على عملي في شكل خطابات حقيقية مطبوعة على ورق حقيقي؛ ممَّا يعني أنه إذا نجحتُ فلن يهتمَّ أحدٌ، وإذا ارتكبتُ خطأً فسيعرف العالم أجمع به!

لم يكن لديَّ أدنى قَدْرٍ من السلطة، بل في المقابل كان على عاتقي الكثير جدًّا من المسؤولية، وكان إذلالي العلني أمرًا لا مفر منه إلى حدٍّ ما، وهذا ما حدث في النهاية. كان الأمر على هذا النحو تقريبًا.

طُلب مني كتابة نسخة الدعوة بعنوان "رسالة دعوة"؛ لذا بذلتُ قصارى جهدي لكتابة دعوة لَبِقَة وموجزة بقدر ما أستطيع. ألقى أعضاء مجلس الإدارة نظرة عليها ورُفِعَت إلى مدير المركز الأعلى. أرسل مكتب مدير المركز ملاحظاته. "لا تقولي 'رسالة'، بل قولي 'خطابًا'"؛ لذلك غيَّرتُها إلى "خطاب دعوة". ثم أمرني عضو مجلس الإدارة "س": "استبدلي كلمة 'خطاب' بـ'رسالة'".

لم أستطع فعل ذلك.

"أوه، يا سيدي، لقد كان مدير المركز هو الذي غيَّر تلك الكلمة...".

"أوه، حقًّا؟ إذن اتركي كل شيء كما هو".

بعد ثلاث دقائق وعشرين ثانية بالضبط، اتَّصل بي "ص": "غيِّري كلمة 'ندعوكم' إلى 'دعوة'".

بالمناسبة، كانت الدعوة المعنيَّة نصف صفحة فحسب! فاض بي الكيل إلى حدٍّ أنني كِدتُ أن أدسَّ أحدث مسوَّدة من الدعوة في فمي قبل أن أقفز من فوق جسر. ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ كنتُ لاعبةً هامشية ضمن فريق، وما هو أكثر من ذلك، أنا أتلقى راتبًا نظير تنفيذ الأوامر؛ ممَّا يعني أنه كان عليَّ أن أواصل العمل مهما كلفني ذلك.

الشخص الذي عانى حقًّا بعد الانتهاء من الدعوة وكان لا بُدَّ بعد ذلك من تصميم الملصق والموافقة عليه هي مُصمِّمة الجرافيك.

كانت مُصمِّمة الجرافيك صديقة في المدرسة الثانوية لابنة عمِّ زوج موظفة تعرَّفت عليها في مكتب أحد السماسرة، أو بعبارة أخرى، شخص يمكنني أن أقول إنه كان من معارفي الشخصيين، ولكن ليس كذلك في الوقت نفسه. والسبب الذي جعلني لا أهتمُّ حتى بإلقاء نظرة على ملفِّها الشخصي قبل توظيفها هو أننا كنَّا في عَجَلة من

أمرنا. أردت على الأقل طباعة الدعوات لتقديمها لكبار الشخصيات للرد على الدعوة وتأكيد حضورهم.

ولكن طلبي من موظَّفة أعرفها في مكتب أحد السماسرة أن تتَّصل بأختها لتطلب من زوجها أن يتصل بابنة عمِّه لتطلب من صديقتها مُصمِّمة الجرافيك تصميم الملصق استغرق بعض الوقت، ناهيك بالوقت الذي استغرقته المصمِّمة لتتصل بصديقتها التي ستتصل بابنة عمِّها لتخبر الزوج أن يخبر أختها بأن تتواصل مع مكتب السمسار للرد على طلبي.

أخيرًا اتصلت بالمصمِّمة يوم الجمعة لإخبارها بأنني بحاجة إلى تسليم الملفَّات إلى الطابعة يوم الاثنين مهما حدث؛ ممَّا يعني أنها يجب أن تعمل على الملصق طوال عطلة نهاية الأسبوع. افترضت أنها ستقول إن هذا مستحيل، لكن المصمِّمة توصَّلت بالفعل إلى تصميم مكتمل. ليس هذا فحسب، لقد أعطيتها المهمة يوم الجمعة واتصلت بي يوم السبت لتقول إنها انتهت.

اعتقدت أن التصميم يبدو مثاليًّا ولن تكون ثمة مشكلة في تسليمه إلى الطابعة. أرسلته إلى السكرتيرة وأعضاء مجلس الإدارة. كان ذلك ليلة السبت. لم أتلقَّ ردًا حتى مساء الأحد، عندما بدأ سيل المكالمات.

عضو مجلس الإدارة ف: **حرِّكي شعار المركز قليلًا إلى اليسار.**

حرَّكته.

عضو مجلس الإدارة ج: **حرِّكي شعار المركز قليلًا إلى الأعلى.**

حرَّكته.

عضو مجلس الإدارة د: **حاذي عبارة "خطاب الدعوة" يسارًا.**

حاذيتها إلى اليسار.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عضـو مجلـس الإدارة أ: **حـاذي "خطـاب دعـوة" إلى اليمـين وحـرِّكي شـعار المركـز إلى اليمـين.**

حاذيتها إلى اليمين وحركت الشعار.

عضـو مجلـس الإدارة ج: **لقـد أخبرتـك بتغيـير "خطـاب دعـوة" إلى "رسـالة دعـوة"، لمـاذا لم تصلحيهـا؟**

لقـد أخـبرت هـذا الرجـل سـابقًا أن مديـر المعهـد نفسـه قـد طلـب تغيـير "رسـالة" إلى "خطـاب" منـذ زمـن بعيـد، لمـاذا يتدخـل في عمـلي الآن؟ لكـن لم أسـتطع أن أخـبر عضـو مجلـس الإدارة أنـه يتدخَّـل في أي شيء يتعلَّـق بعمـلي حتـى، وكان عـليَّ أن أشرح لـه كل شيء مـرة أخـرى.

عضو مجلس الإدارة هـ: **تخلَّصي من صورة الخلفية.**

تخلَّصتُ منها.

عضو مجلس الإدارة أ: **لماذا تخلَّصتِ من صورة الخلفية تلك؟**

أعدتُها كما كانت.

وكان ثمـة العديـد مـن الطلبـات الأخـرى، لكننـي أعتقـد أنكـم فهمتـم الفكـرة العامـة.

كانـت المصمِّمـة لطيفـةً بمـا يكفـي لإصـلاح كل مـا طلبنـا منهـا إصلاحـه، ولكـن في مكالمتـي الهاتفيـة السادسـة، سـألتني بحـذرٍ شـديد، "إذن، أعتقـد أننـا سنسـتمر في تلقِّـي طلبـات مثـل هـذه حتـى نذهـب إلى المطبعـة غـدًا... هـل تعتقديـن أن الأمـر سـيكون أسـهل لكلينـا إذا أتيـتِ إلى الاسـتوديو الـذي أعمـل فيـه بـدلًا مـن الاتصـال بي في كل مـرة؟".

وهكـذا، وجـدت نفـسي أذهـب إلى اسـتوديو المصمِّمـة في منتصـف ليلـة الأحـد. كان الجـو دافئًـا وكانـت رائحـة قهوتهـا شـهية، والأكـثر مـن ذلـك أنهـا امتلكـت قطَّتـين رشـيقتين وحساسـتين؛ مـمَّا جعـل بيئـة العمـل لطيفـة، لكـن المصمِّمـة المسـكينة كانـت تتعـرض لقصـفٍ مـن المكالمـات

كل ثلاث دقائق، يُطلَب منها فيها نقل الشعار إلى اليسار أو اليمين، والكلمات لأعلى أو لأسفل الصفحة، طوال الليل، إلى أن -أخيرًا- تَسلَّل ضوء الفجر الرمادي من خلال الستائر، عندها قالت لي: "هل كل العمل الذي تقومين به في المركز يتم على هذا النحو؟".

عندما رأيت وجهها الشاحب وعينيها المحمرَّتَيْن، أدركتُ أنه على الرغم من أنني مجرد شخص من أدنى الناس أجرًا وأعمل بأجر تطوُّعيٍّ تقريبًا في المركز، إلا أنني سأبذل قصارى جهدي للحصول على أعلى أجرٍ يمكننا تقديمه للمصمِّمة.

بينما كنت أعذِّب مُصمِّمة الجرافيك المسكينة في هذا المسعى غير المثمر، هل كان الآخرون من موظفي المركز يعبثون بإبهامهم من الفراغ؟ لا، لقد كانوا يدورون ويدورون في دوائر جحيمهم الشخصي. كان المركز يعتزم إقامة معرض من نوع ما بالاشتراك مع المقر الرئيسي لشركة الأدوية المُموِّلة للمعهد، شيء له علاقة بالخلود، وبالطبع لم تأتِ هذه الفكرة من المقر الرئيسي، ولكن من المركز، وموقف المقر الرئيسي كان في الأساس أننا دفعنا ثمن ذلك الشيء الغبي بالفعل فلماذا تزعجوننا بهذا الآن، أظهروا عدم الاهتمام التام بعبارة أخرى؛ ممَّا يعني أنه في كل مرة يتعين على المركز الاتصال بهم والحصول على موافقة لتأمين مكان وعرض أغراض محدَّدة وإنشاء معرض حقيقي يستحق العلامة التجارية لشركة الأدوية، كان جبلًا ضخمًا من عدم الموافقة والاعتراضات الذي يجب تسلُّقه. إن حقيقة أن المدراء والرؤساء في أحد مراكز الأبحاث التابعة لأكبر العلامات التجارية للأدوية في بلدنا كانوا مُجبَرين على إنجاز هذا القدر السخيف من العمل كانت مثيرة للسخرية تمامًا، ولكن ماذا بيدك أن تفعل؟

كما قلت من قبل، لم يكن لدينا حقًّا أي موظف مبتدئ تحت تصرُّفنا وكنت أنا -أدنى موظَّفة في المركز- عالقة في استوديو مصمِّمة

جرافيك تحرّك شعارًا حول ملصق، وحتى لو كنّا جزءًا من شركة أدوية كبرى، كنا لا نزال مجرد مركز بحثي وليس قسمًا ربحيًّا مثل المبيعات؛ ممّا يعني أنه يتعيَّن علينا الاكتفاء بميزانية التخطيط الضئيلة للفعالية التي مُنِحت لنا، ولا نحلم حتى بالاستعانة بمصادر خارجية للعمل.

أخيرًا، أصبحنا على بُعد يومين من فعالية الذكرى السنوية والمعرض، الذي شُيِّد بدماء وعرق ودموع جميع الأشخاص العاملين في المركز، ومُصمِّمة الجرافيك المسكينة، التي لم يكن تورُّطها في هذه الفوضى خطأها.

انتهيتُ من إرسال الدعوات والملصقات، والإعلانات التي نُشِرت في أهم خمس صحف يومية رئيسية، ووجدت نفسي بدون شيء أفعله؛ لذلك ذهبت إلى مكان الفعالية لتقديم المساعدة، حيث التقيت بالصُّدفة زميلتي الأكبر سنًّا، المديرة كيم سيجيونج، التي كانت تتعرَّض للمطاردة من عضو مجلس الأمة. كنا نعمل في الطابق الرابع من المركز، ولكننا كنّا مشغولتين جدًّا بالتخطيط للفعالية، لدرجة أننا لم يكن لدينا وقت للتحدث معًا مدة من الوقت الآن، لكننا تمكَّنّا من الذهاب لتناول الغداء معًا في ذلك اليوم، حيث عبَّرتُ عن أكبر مخاوفي بشأنها: خوفي عليها من ذلك المُطارِد، ولكن من المدهش أنها بدت غير منزعجة تمامًا بشأن ذلك.

"لا بأس. اتَّضح أنه في صفِّنا في النهاية".

"ماذا؟ ماذا تقصدين؟".

ابتسمت زميلتي كيم. "لقد مرَّ وقت طويل، لا بُدَّ أنَّكِ نسيتِ؟".

نسيت ماذا؟ لا بُدَّ أن أوني رأت السؤال على وجهي، لأنها أوضحت، "لقد اتَّضح أنه عمل في المركز، مدة وجيزة جدًّا، منذ فترة".

" حقًّا؟".

"أجل. ربما استقال في الوقت نفسه تقريبًا الذي عُيِّنتِ أنتِ فيه. لكنني أعتقد أنه ظلَّ يعمل هنا لمدة شهرين تقريبًا بعد تعيينك. أنتِ حقًّا لا تتذكرين؟".

الآن بعد أن فكَّرتُ في الأمر، كان ثمة شخص يشبهه استقال بعد وقت قصير من انضمامي إلى المعهد. هل هذا هو السبب في أن وجهه مألوف جدًّا؟

"إذن هل صحيح أنه من المنطقة نفسها التي تعيشين فيها؟ لماذا يطاردك؟".

"إنه حقًّا من المنطقة نفسها التي أعيش فيها. أعتقد أننا اعتدنا على الذهاب في نزهات على الأقدام لمسافات طويلة معًا ومشاهدة النمور وما إلى ذلك".

"إذن ما الأمر مع وعود حملته الغريبة؟" سألتها، ما زلت غير مقتنعة بنواياه الطيبة.

ضحكت كيم. "هذه نظرية حقيقية ذاعت في أواخر القرن التاسع عشر في روسيا. لا أتذكر اسم الرجل، كان فيلسوفًا تقريبًا، وكانت الفكرة شيِّقة في ذلك الوقت. لا يزال للفيلسوف أتباع متعصِّبون في روسيا، كما أعتقد".

ضغط طاقة الشمس وإحياء الأسلاف بحيث يصبحون كائنات خالدة، وليس فقط الإيمان بمثل هذه الأشياء، ولكن أن تكون من أتباعها المتعصِّبين؛ يجب أن تكون روسيا مكانًا غريبًا جدًّا. عندما رأت كيم تعبير وجهي، ضحكت مرة أخرى. "هذا الرجل، كان لديه دائمًا نزعة كوميدية، لكنه يؤمن حقًّا بالخلود. لكنه لم يرغب في دراسته، بل أراد تطبيقه في الحياة الواقعية، وهنا اختلفنا في مواقفنا. ومع ذلك،

لا بُدَّ أنه سمع في مكان ما أننا نقيم فعالية الذكرى السنوية الثامنة والتسعين. أنا متأكدة من أنه هنا لرؤية بعض الأصدقاء القدامى واسترجاع الذكريات وكل ذلك".

إذن كان يجب أن يقول ذلك منذ البداية. لماذا كان عليه أن يختار المديرة كيم سيجيونج بالتحديد ويبدو وكأنه يلاحقها؟ لكن كيم بدت مرتاحة تمامًا مع الأمر برُمَّته.

أضافت: "كما أنه كان مفيدًا حقًّا، أليس كذلك؟ لقد اعتنى بكل شيء يتعلق بالممثل. والمحاضِرة الشهيرة أيضًا. أحضرها لنا".

"أي مُحاضِرة مشهورة؟".

"إنها تحاضر عن الخلود من وجهات نظر الطب والدين والفلسفة. محاضراتها تناقش الموضوع من ثلاثة محاور".

حسنًا، بدت كيم بخير؛ لذلك قرَّرتُ أن أتناسى الموضوع أيضًا، وكان وقت استراحة الغداء ينفد؛ لذا أنهينا طعامنا بسرعة.

وهكذا مرَّ يومان آخران، ثم أخيرًا جاء يوم الذكرى السنوية. كان الحفل في الساعة 6 مساءً، لكن مكان الفعالية كان مزدحمًا بالفعل منذ الصباح. كنا نستخدم القاعة في الطابق السفلي من المقر الرئيسي، وعادة ما كان مكانًا مظلمًا وكئيبًا، لكن مع الأضواء الساطعة للفعالية والناس المتزاحمين في الأرجاء، بدا الجو احتفاليًّا. وخاصة عندما وصل نجم السينما "ب"، تحوَّل المزاج إلى ما يقارب الجنون. لم يتراءَ أن "ب" يريد أن يكون هنا، ولكن عندما جاء بارك هيوك سيه، مطارِد كيم وعضو مجلس الأمة الحالي، وطلب مصافحة "ب"، فإن رؤيتي وجه الممثل المشمئزِّ وهو يصافحه بخنوعٍ جعلت كل التوتر الذي شعرت به أثناء تحضير الفعالية يتلاشى بطريقة ما.

علاوة على ذلك، كانت ثمة امرأة جميلة جمالًا استثنائيًا ذات شَعر أسود طويل ينسدل وصولًا إلى خصرها، ترَكَت انطباعًا قويًا على الجميع. افترضت أنها كانت ممثِّلة مثل "ب"، لكن يبدو أنها كانت المحاضِرة الشهيرة التي استأجرها بارك هيوك سيه. وهذا هو السبب على ما يبدو وراء ملازمة بارك لها، وتحدُّثه معها، ومحاولة جعلها تشعر بمزيد من الارتياح، ولكن المحاضِرة نفسها بدت ضَجِرةً ومتأفِّفة من وجودها هنا مُحاطَةً بالعديد من الغرباء. تجوَّلَت في أنحاء مساحة المعرض قليلًا، ولكنها لم تبدُ مهتمَّةً بالمعروضات.

ولكن المعرض نفسه كان بديعًا. فعندما أعلنوا لأول مرة عن إقامته، تساءلت كيف يمكنهم ملء هذا المكان الواسع من المعرض بأشياء من المفترض أن لها علاقة بالخلود، ولكن في الحقيقة كان ثمة وفرة من الأشياء، مثل اللوحات والصور الفوتوغرافية والكتب وأقراص الڤيديو الرقمية، وغيرها من الأشياء المثيرة للاهتمام. بالطبع، كانت بعض اللوحات من عمل رسَّامين مجهولين أنتجوا رسومًا غريبة تحمل عناوين مثل **"لا للموت"** وما إلى ذلك، ولكن كانت ثمة أعمال فنية أخرى تتعلق بالخلود الديني أو القيامة، وسلسلة وثائقية على أقراص مدمجة عن الإمبراطور تشين شي هوانج وسعيه للعثور على عشبة الخلود (وهي ممتلكات شخصية لعضو مجلس الإدارة الذي أصرَّ على أن "الشباب الطويل" و"الحياة الأبدية" هما الشيء ذاته)، وبالنظر في أرجاء قاعة العرض المزينة بفخامة، أمكنني أن أرى مدى هوس البشرية بالعيش إلى الأبد، وكيف تواصل هذا الهوس منذ فجر التاريخ حتى اليوم، وهو أمر يستدعي الرَّهبة من ناحية، ولكنه -لا أدري- مثير للشفقة من ناحية أخرى. مزيج مُعقَّد من المشاعر.

كانت الكتب والأقراص المدمجة وأقراص الڤيديو الرقمية داخل صناديق العرض، وكنت أبيع زجاجات جميلة عليها ملصق مركزنا التي نُروِّج أنها تحتوي على **"إكسير الخلود"** كتذكار -خمسة آلاف

وون ثمن كل زجاجة- لأننا لم نكن قادرين على تحمل تكاليف توظيف عامل مؤقت للقيام بهذه المهمة.

سألت الموظف الذي كان يجلس بجواري على منضدة الهدايا التذكارية: "هذا ليس حقًّا إكسير الخلود، أليس كذلك؟".

ابتسم وقال: "أعتقد أن اثنين من أصل ألف وخمسمائة زجاجة هي الشيء الحقيقي؟".

"أنتَ لا تعتقد أن الناس يشترون هذا متصوِّرين أنه في الواقع ما هو مكتوب على الملصق حقًّا، أليس كذلك؟".

"لا أحد يؤمن بهذا النوع من الأشياء في هذه الأوقات المستنيرة. الأشخاص الذين يشترونها هم مقاولون من الباطن أو من المقر الرئيسي للشركة، يلقون علينا ببعض النقود ليكونوا لُطَفاء ويساعدونا في حفظ ماء الوجه".

بالنظر إلى مدى "لطفهم" فحسب، فقد بلغت مبيعات هذه الزجاجات طوال اليوم 300.000 وون، ربما بفضل مظهر الزجاجة الأخَّاذ مع الملصق فوقها (الذي بسببه أبقينا مصمِّمة الجرافيك المسكينة مستيقظة ثلاث ليالٍ متتالية، طالبين منها تحريكه إلى اليسار، ثم إلى اليمين وهلم جرًّا).

"حسنًا، أنا سعيدة لأنها تُباع".

"من الأفضل أن تبيع. يجب أن نبيع كل هذه الكمية حتى نتمكَّن من تحقيق ربح ودفع أجر مُصمِّمة الجرافيك التي أحضرتِها".

تفاجَأتُ.

"لم ندفع لها بعدُ؟!".

بـدلًا مـن الإجابـة، أشـار الموظـف إلى الخـارج. عنـد المدخـل كان ثمـة أشـخاص مـن شركـة توصيـل الطعـام يدفعـون أطبـاق تعـجُّ بالمأكـولات عـلى عربـات تُجَـرُّ باليـد، ويجهـزون المأدبـة.

"لقـد اسـتنفدنا ميزانيتنـا مـن المقـر الرئيـسي منـذ مـدة طويلـة. سنسـتمر في بيـع جميـع الزجاجـات التـي صنعناهـا وندفـع أجـر مصمِّمـة الجرافيـك عـلى أقسـاط".

التقـط المـال وعَـدَّ الأوراق النقديـة مـن فئـة ألـف وخمسـة آلاف وون. "هنـاك مائتـان وثمانيـة وتسـعون ألـف وون هنـا. حـوِّلي هـذا المبلـغ لهـا الآن، وسـنعطيها دفعـةً أخـرى غـدًا عندمـا نبيـع المزيـد".

اعتقـدتُ أنـه كان يمـزح، لكنـه لم يكـن كذلـك. لم أشـعر بالخـزي في حيـاتي قـطُّ مثلـما شـعرت في تلـك اللحظـة. كـما أنـه لم يـشرح أبـدًا لمـاذا، عـلى الرغـم مـن أن ثمـن كل زجاجـة خمسـة آلاف وون، لم يجمـع هـو سـوى ثمانيـة آلاف وون، لكننـي كنـت خائفـة جـدًّا في تلـك اللحظـة مـن السـؤال.

سرعـان مـا حـلَّ المسـاء، وبـدأت فعاليـة الذكـرى السـنوية. كان الحفـل نفسـه، كـما هـو متوقَّـع، ممـلًّا تمامًـا. صعـد بعـض الأشـخاص مـن المقـرِّ الرئيـسي والمُـدَراء السـابقين لإلقـاء الخُطَـب التـي بـدأت بـ"عائلتـي العزيزة في المركـز..."، وبـدا الأمـر حقًّـا وكأنـه يتطلَّـب **الخلـود** نفسـه للصمـود حتى نهايـة الحفـل. كبـار الشـخصيات الذيـن يمكنهـم النعـاس دون عواقـب اسـتغرقوا في النـوم. مـع انتهـاء الرسـميات، أعلـن المديـر الحـالي أخـيرًا، "هـل ننتقـل إلى الردهـة ونسـتمتع بالمأدبـة؟".

قفـز جميـع كبـار الشـخصيات النائمـين عـلى الفـور عـلى أقدامهـم واتَّجهـوا مبـاشرة إلى قاعـة المأدبـة. بعـد أن غـادر كل هـؤلاء الأشـخاص، جـاء دوري لإطفـاء أضـواء مسـاحة المعـرض وإغـلاق البـاب خلفـي. لم أسـتطع إغلاقـه خلفـي لأن الجميـع تركـوا أغراضهـم مُبَعـثَرةً في مـكان

الفعالية، ولم أرغب في النهوض كل عشر ثوانٍ في منتصف عشائي لفتح الباب لشخصٍ يريد مرطِّب شفاه من حقيبته. لذا، تناوَلتُ خلسةً من طبقي في المأدبة، وكانت وجبةً لذيذة حقًّا بالنظر إلى أننا أنفقنا جلَّ أموال المقر الرئيسي على الطعام، ولم يكن النبيذ رديئًا للغاية أيضًا. بالطبع، كنتُ الأقلَّ حظًّا ولم يكن لديَّ حرية الشرب في الحدث، سواء كان ثمة مشروب متاحًا أم لا، لكنني تمكَّنتُ من صَبِّ كأس واحدة لنفسي واحتسائها في أحد الأركان.

"هل أنت المديرة المتوسطة تشونج المسؤولة عن الدعوات؟" جاء الصوت من خلفي مباشرة وكدتُ أتقيَّأ نبيذي.

"ماذا؟ أوه، نعم...".

"لقد خرجت الدعوات على نحو حسن. عمل جيد".

شعرت بنشو ة من الفخر قبل أن أقول: "حسنًا، كانت المصمِّمة حقًّا هي التي...".

"على أية حال..." قاطعني عضو مجلس الإدارة "أ" وهو ينظر حوله ويخفض صوته، "يبدو أنك كتبت 'حطاب دعوة' بدلًا من 'خطاب دعوة'".

"ماذا؟".

أخرج عضو مجلس الإدارة دعوة متكورة من جيبه، وفتحها، وأشار إلى العنوان بإصبعه السبابة. بينما كان وجهي مُشوَّهًا من الرعب، أضاف، "لا بأس، بالكاد يمكنك ملاحظة ذلك. الدعوة جميلة جدًّا؛ لذا... عمل جيد".

ثم، ذهب عضو مجلس الإدارة "أ" للدردشة مع كبار الشخصيات الآخرين.

ثم بدأ الأعضاء الخمسة الآخرون في مجلس الإدارة في محاصرتي واحدًا تلو الآخر لإبلاغي بالشيء نفسه بالترتيب نفسه، مع اختلافات طفيفة: "هل أنتِ المديرة المتوسطة تشونج، المسؤولة عن الدعوات؟ لقد خرَجَت على نحوٍ مقبول إلى حدٍّ ما. ولكن" -نظروا حولهم وخفضوا أصواتهم- "لقد كتبت كلمة 'تأسَّست' على أنها 'نأسست'".

"نأمل أن تتشرَّف" كتبتِها "نأمل أن تشرف".

"شكرًا لك مكتوبة 'سُكرًا لك'. لا بأس، بالكاد يمكن ملاحظة هذه الأخطاء اللغوية البسيطة. الدعوة جميلة جدًّا...".

وهكذا، بعد هذا الوابل من التعزية أو التوبيخ، شعرت بالإحباط تمامًا بحلول الوقت الذي اقترب فيه عضو مجلس الإدارة "د" مني في الزاوية، وتَبِعتُه عندما طلب مني أن أتبعه، مُعتَقِدةً أنني سأُطرَد أخيرًا، وأعددتُ نفسي للأمر المحتوم. ولكن على نقيض توقُّعاتي، توجَّه "د" مباشرة إلى باب قاعة الفعالية وقال، "هل لديكِ مفتاح؟ افتحي هذا الباب".

"إنه.. حسنًا، ليس مُقفَلًا...".

"أوه؟ اتبعيني إذن".

فتح "د" الباب ودخل. وبينما كنت على وشك إنارة الضوء، أخبرني "د" ألَّا أزعج نفسي، وعبر الردهة إلى حيث توجد صناديق العرض. "المديرة المتوسطة تشونج، كوني حَذِرَة".

"أحذر بشأن ماذا، الآن؟".

هل كان سيطلق النار على شخص ما في القاعة؟ لا، كان يفتح صندوق العرض ويضع أقراص الڤيديو الرقمية الخاصة بـ"الإمبراطور تشين شي هوانغ" في حقيبة.

"هـذا الأحمـق 'ف'، يتحـدث عـن 'الشـباب الطويـل' و'الحيـاة الأبديـة' وكأنهـما الـشيء ذاتـه... يبيـع نفسـه للبرامـج التلفزيونيـة فحسـب مـن أجـل التباهـي، أي نـوع مـن الباحثـين اللعينـين يعتقـد أنـه... حتـى إنـه لم يمنحنـي مجموعـة أقـراص ڤيديـو رقميـة مجانيـة عندمـا صـدَرَت...".

بينـما أخـذ "د" يتمتـم، كنـت أسـمع صـوت حفيـفٍ خلفـي، واعـتراني الخـوف. أمسـك "د" بـكل قـرص مـن أقـراص الڤيديـو الرقميـة الخمسـة ودسَّـها في حقيبتـه، ثـم انسـلَّ خـارج الغرفـة المظلمـة وأنـا أتبعـه. وعندمـا عدنـا إلى المأدبـة، كان المـكان كلُّـه في حالـة مـن الفـوضى؛ لأن مُهاجـمًا -كـما يبـدو- قـد داهمـه.

ظـلَّ المهاجِـمُ يـصرخ بـشيء غـير مفهـوم وهـو يحمـل مكـواة كهربائيـة في إحـدى يديـه، وشـيئًا يشـبه بخَّـاخ مُعطِّـر جـو في اليـد الأخـرى، ويركـض في أنحـاء مـكان المأدبـة دافعًـا النـاس، ولأن الحـدث كان في ليلـة جمعـة فقـد ذهـب حـرَّاس الأمـن بالفعـل إلى منازلهـم أو خرجـوا لتنـاول العشـاء؛ لذلـك اسـتغرق الأمـر بعـض الوقـت للسـيطرة عـلى الموقـف. وكان الطعـام الباهـظ الثمـن متناثـرًا في كل مـكان (لم أتنـاول الطعـام جيـدًا طـوال اليـوم بسـبب الاسـتعدادات؛ لـذا كان هـذا أول مـا خطـر في ذهنـي)، واسـتمر المهاجـم يقـول شـيئًا بـدا وكأنـه "**أريـد أن أفعـل ذلـك**" ومـا قـد يكـون اسـم أحدهـم بينـما راح يقفـز، وحـين اسـتمعت بعنايـة اعتقـدت أن الاسـم قـد يكـون اسـم المحـاضِرة، التـي دعاهـا بـارك هيـوك سـيه؛ مـمَّا جعـل الجميـع يلتفتـون للبحـث عنهـا، لكنهـا كانـت قـد اختفـت.

وفي الوقـت نفسـه، تـولَّى بعـض الأشـخاص الشـجعان مـن المقـر الرئيـسي والمركـز مَهمَّـة كبـح جـماح الرجـل، لكـن المهاجـم كان في فـورة مـن الغضـب، ولم يكـن الأمـر سـهلًا كـما يبـدو.

اتصـل أحدهـم بالشرطـة، لكنهـم اسـتغرقوا وقتًـا طويـلا للوصـول إلى المـكان، وكان أحـد العاملـين الأذكيـاء في المقـر الرئيـسي هـو الـذي أحـضر

مهدِّئًا من الطابق العلوي (كانت هذه شركة أدوية في نهاية المطاف)، على الرغم من أن رؤية زجاجة المهدئ والمحقنة زادت من سعار المهاجم، ورشَّ بخاخ معطر الجو في كل مكان وناور برشاقة، حتى أحاط بذراعه رأس أحد العاملين من المقر الرئيسي والذي بدا وكأنه سيكسر رقبته في أي لحظة- ولكن في تجسيدٍ لمرونة لا تُصدَّق، تمكَّن العامل من الوصول إلى مؤخرة المهاجم وطعنه بالمهدئ.

بحلول الوقت الذي وصلت فيه الشرطة، كان الرجل يصدر شخيرًا، وأمسك كلٌّ من ضباط الشرطة الأربعة بأحد أطراف المهاجم، وحملوه خارج الردهة (كانت المحقنة لا تزال عالقة في مؤخرته)، لكن الحاضرين كانوا متوتِّرين للغاية، لدرجة أنهم لم يتمكنوا من مواصلة الفعالية وتوجَّهوا رأسًا إلى منازلهم، وأنهوا اليوم أسرع ممَّا كان مُتوَقَّعًا؛ ممَّا أبهجني كثيرًا، ولكنني تلقَّيتُ مكالمة من الشرطة في صباح اليوم التالي، والذي كان يومَ سبت، وهذا ينبئ بقضاء عطلة نهاية الأسبوع بأكملها في محيط مركز الشرطة.

ادَّعى المهاجم أنه عشيق المحاضرة الشهيرة، وكان يشكُّ في أنها كانت على علاقة برجل "طويل القامة ووسيم"، وتزعم أنها تلقي محاضرات حتى تتمكَّن من مقابلة رجل آخر، وقد رآها تدخل مبنى مع "رجل طويل القامة ووسيم"، وهذا جعله يفقد عقله، ومن هنا جاءت الفوضى التي أعقبت ذلك. ادَّعَت المحاضِرة أنها لم تكن لديها أي فكرة عن هوية هذا الرجل في البداية، لكنه قدَّم دليلًا على أنهما يعرفان بعضهما بعضًا؛ لذلك ادَّعَت بعد ذلك أنه كان "عشيقها السابق"، لكن بخاخة معطِّر الجو والمكواة الكهربائية كانا في الواقع من ممتلكاتها وكانت ترغب في استعادتهما من الشرطة. لكن يبدو أنهما كانا دليلًا ورفضوا إعادتهما إليها.

وهكـذا مـرَّت عطلـة نهايـة الأسـبوع وأتى يـوم الاثنـين، وكان علينـا تنظيـف معـرض الذكـرى الثامنـة والتسـعين لمركزنـا، وبينـما كنـا نجمـع الأغـراض، اكتشـفنا أن سلسـلة أقـراص الڤيديـو الرقميـة الخاصـة بعضـو مجلـس الإدارة "ف" قـد اختفـت.

أعقـب ذلـك فـوضى أشـبه بالفـوضى التـي حدثـت عندمـا اقتحـم المهاجـم المبنـى. فرَّغنـا كلَّ مـا حزمنـاه للتـو، الأمـر الـذي اسـتغرق يومًـا إضافيًّـا كامـلًا. عندمـا لم يُعـثر عـلى أي مـن أقـراص الڤيديـو عـلى الرغـم مـن هـذه الجهـود، اقـترح شـخصٌ مـا أن نراجـع لقطـات كاميـرات المراقبـة. ولأننـي لم أعـرف أن ثمـة كاميـرات مراقبـة في هـذا المـكان؛ شـحبتُ كالورقة، وحاولـت إثناءهـم عـن الفكـرة، ولكـن في حـين كانـت سلسـلة أقـراص الڤيديـو مجانيـة، إلا أنهـا كانـت تسـاوي عشريـن ألـف وون للقـرص الواحـد، مـن الناحيـة العمليـة، و100 ألـف وون في المجمـوع، وكان عضـو مجلـس الإدارة "ف" يدبـدب بقدميـه قائـلًا إنـه يجـب تحقيـق العدالـة لأن أقـراص الڤيديـو لم تعُـد تُطبَـع ولا يمكـن تعويضهـا عـلى الإطـلاق، وهـذه هـي الطريقـة التـي تمكَّـن بهـا مـن التَّغلُّـب عـلى تـردُّد فريـق أمـن المبنـى في مراجعـة اللقطـات. وغنـيٌّ عـن القـول، فقـد كان وجهـي ممتقعًـا.

بينـما انهمـك "د" في سرقـة أقـراص الڤيديـو الخاصـة بـ"ف"، وكنـت في حالـة تأهُّـب، كان الضـوء الأحمـر الصغـير خلفـي عبـارة عـن كاميـرا مراقبـة. وفي المشـهد كنـت أنظـر مبـاشرة إلى ضـوء الكاميـرا الأحمـر دون أن أعـرف ماهيتـه، وظهـر بالتـالي وجهـي بوضـوح في ڤيديـو كاميـرا المراقبـة. التقطتنـي الكاميـرا مـن زاويـة علويـة، وكنـت أنظـر إلى الأعـلى، وكان الضوء مناسـبًا تمامًـا بحيـث لم يكـن ثمَّـة عيـب في وجهـي، وشـعرت بالفـزع لأننـي كنـت أبـدو جميلـة في هـذه اللقطـات، لكـنَّ جـزءًا صغـيرًا منـي اعتقـد أننـي أبـدو جميلـة حقًّـا؛ مـما جعلنـي أضحـك. وبينـما كان "ف" وجميـع الرؤسـاء والمديريـن يحملقـون بي، لم أسـتطع منـع نفـسي مـن الضحـك. وفي الوقـت نفسـه، كان "د"، الـذي سرق أقـراص الڤيديـو الرقميـة بالفعـل،

يتحرك في المشهد ووجهه متوارٍ خلف كتفي؛ ممَّا جعله غيرَ مرئيٍّ للكاميرا. كان ذلك من سوء حظي، أو ربما من حسن حظِّي؛ اعتمادًا على كيفية نظرتك للأمر، وأدركتُ أنه لن تكون ثمة فائدة من إثارة أعضاء مجلس الإدارة ضد بعضهم بعضًا؛ ولهذا السبب رفضت -على الرغم من التهديدات والتَّوسُّلات- الكشف عن هوية عضو مجلس الإدارة المختبئ ورائي.

وأيضًا... فوق كتفي، بجوار "د" الذي يسرق أقراص الڤيديو الرقمية، كان ثمة شيء رماديٌّ هناك: وجه شخص، افترض الجميع الآن أنه شريك في الجريمة؛ لذلك طالب "ف" فريق الأمن في المقر الرئيسي بتكبير الصورة على تلك البقعة (اعتقدت أن هذا شيء يفعلونه فحسب في تحقيقات الجريمة الأمريكية)، وفي تلك الصورة أمكننا أن نرى نجم السينما "ب" والمحاضِرة الشهيرة الفاتنة يمسك كلٌّ منهما يد الآخر ويبدو على وجهيهما المتقاربين بشدة أمارات الرعب.

وهكذا انتهت فعالية الذكرى السنوية الثامنة والتسعين لمركز أبحاث الخلود. لم يُكتشَف الجاني في سرقة أقراص الڤيديو الرقمية، وأهدرت الكثير من وقتي في تلقِّي المكالمات التي لا تنتهي حول الفوضى بأكملها. كانت أقراص الڤيديو الرقمية المعنية قد طُبِعت كإصدارٍ محدود من قِبَل شركة البَثِّ التي أنتَجَتها، وكان "ف" محِقًّا في أنها لا يمكن تعويضها. منذ ذلك الحين، كان وجه "ف" يتحول إلى عبوس كلَّما اصطدم بي في المركز، لكن لم يكن هناك ما يمكنني فعله حيال ذلك.

كما انقطع الاتصال بعضو مجلس الأمة بارك هيوك سيه بعد ذلك. أعتقد أنه يرغب في الانخراط في شيء ما رومانسي مع المحاضِرة الشهيرة الفاتنة، لكنه انتهى به المطاف إلى دفعها إلى أحضان نجم السينما "ب"، وهو ما لا بُدَّ أنه قد جرح كبرياءه. ليس لديَّ أي فكرة

عـمًّا حـدث للمُحـاضِرة، لكـن يبـدو أن نجـم السـينما "ب" قـد توقَّـف عـن العمـل في التمثيـل. وقـرأت لاحقًـا مقـالًا عـن مهاجِـمٍ ظهـر عـلى بـاب شـقة الممثـل "ب"، وركلـه، وهـو يحمـل مكـواة كهربائيـة ومـا بـدا أنـه كابـل USB، ويـصرخ، "يجـب أن يمـوت كل الرجـال الطـوال والوسـيمين!"، حتـى جـاءت الشرطـة فـلاذ بالفـرار. لم يقبضـوا عـلى الرجـل، ولكـن بـصرف النظـر عـن بـاب شـقة الممثـل المنبعـج، لم تكـن ثمـة أضرار حقيقيـة، ولم يكـن "ب" حريصًـا عـلى نحـوٍ خـاص عـلى أن تعـثر عليـه الشرطـة؛ وبالتـالي أُسـقِطت القضيـة برُمَّتهـا.

لا أزال أسـير بخُطًـى متعـثرة في أثنـاء أداء عمـلي في مركـز أبحـاث الخلـود.

إنَّ كـوني أدنى الموظفـين رُتبـةً، ومتواطئـة عمليًّـا في سرقـة ممتلـكات ثمينـة تخـصُّ أحـد أعضـاء مجلـس الإدارة. لم تكـن هـذه الشـجاعة أو الغبـاء حسـبما تـرى، كافيـة لطـردي مـن وظيفتـي، لأن مراكـز الأبحـاث هـي مـن تلـك النوعيـة مـن الأماكـن، ومـن شـبه المسـتحيل أن يُطـرد أي شـخص، وبـصرف النظـر عـن كل هـذا فأنـا أعـرف سرًّا خطـيرًا. وجميـع مَـن في المركـز يعرفـون هـذا الـسر.

والسر هو أننا خالدون حقًّا.

لقـد ولـدتُ عـام 1914، وفي العـام الـذي بلغـت فيـه العشريـن مـن عمـري، انضممـت إلى "صيدليـة العمـر المديـد" مُتدرِّبـةً، حيـث حقنـوني عـن طريـق الخطـأ بإكسـير الخلـود، وعندهـا أصبحـت شـابَّةً إلى الأبـد، وانتهـى بي المطـاف في هـذا المركـز البحثـي. لـن أذهـب إلى أي مـكان آخـر. ليـس هنـاك مـكان آخـر أذهـب إليـه، وأكـثر مـن أي شيء آخـر: ليـس لـديَّ الثقـة الكافيـة لخلـق حيـاة جديـدة بعيـدًا عـن هـؤلاء الأشـخاص الآخريـن الذيـن هـم أيضًـا **شـباب إلى الأبـد وأحيـاء إلى الأبـد**. مـن أعـلى

الرُّتَب إلى أسفلها، لا يمكن لأيٍّ من الموظفين في المركز أن يغادر أبدًا، للأسباب نفسها.

وهكذا، وكما قالوا في الخطب التي ألقوها في احتفال الذكرى السنوية، فإننا في واقع الأمر أسرة واحدة. فبوسعك أن تترك شركة أو أن تتخلى عن صديق، ولكنك لا تستطيع أن تتخلى عن أسرتك أو أن تتبرَّأ منها. وكما قالوا في كلمة تأسيس المركز، فإننا نستطيع أن نخسر بلدنا، ولكننا سنظل على قيد الحياة إلى الأبد، وقد تنتهي الدنيا، ولكن ستظل حيواتنا جميعًا متشابكة.

يجد بعض الأشخاص العزاء في الروابط التي لا يمكننا تمزيقها أبدًا. وإذا كانت هذه الروابط تتعلق بكسب العيش، فلا بُدَّ وأن يتضاعف الشعور بالاستقرار. ولكن عندما جلست في بهو المركز وشاهدت الناس يأتون ويروحون، وقبل أن أباشر العمل، خطَرَت بخلدي فجأة فكرةٌ مخيفة وحزينة. فطالما كنت على قيد الحياة، كان عليَّ أن أجد طريقة لتوفير الطعام على مائدتي، وكانت هذه الحاجة الأبدية إلى إطعام نفسي مُرعِبة، وكيف ستستمر هذه الحاجة إلى الذكرى السنوية الـ 198، والـ 298، والـ 398 لتأسيس مركزنا... وحقيقة أنني لن أجد بُدًّا سوى قضاء كل هذه المدة في هذا المركز، راعَني وأحزنني أكثر من أي شيء آخر في العالم.

ولكن إذا فكَّرت في الأمر، سواء كنتُ شابَّةً إلى الأبد أم لا، فإن أي شخص عليه أن يكسب رزقه بنفسه كان على متن القارب نفسه معي. لا يعني هذا أن الفكرة تجعلني أشعر بأي تحسُّن.

زواج عادي جدًا

بـدأت زوجتـي في إجـراء تلـك المكالمـات الهاتفيـة قبيـل الذكـرى السـنوية الأولى لزواجنـا. أو ربمـا -لا، أنـا متأكّـد مـن هـذا الآن- قـد بـدأت قبـل ذلـك. مبـاشرةً بعـد زواجنـا، أو حتـى قبـل أن نلتقـي. لا بُـدَّ أنهـا كانـت تُجـري تلـك المكالمـات طـوال الوقـت. لم أكـن أعـرف فحسـب. لأنهـا لم تعـطِ أبـدًا أدنى تلميـحٍ لمـا كانـت تفعلـه مـن وراء ظهـري.

هـل كنـت سـاذجًا أم أنهـا كانـت محتاطـة إلى هـذا الحـدِّ؟ متـى يجـب عـلى الـزوج أن يعلـم أن زوجتـه تُجـري مكالمـات هاتفيـة مشـبوهة؟ كانـت منتديـات مناقشـة النصائـح الزوجيـة التـي قضيـتُ سـاعات طويلـة عليهـا عـبر الإنترنـت تعـجُّ بمثـل هـذه القصـص.

زوجتي تستمر في الاتصال بشخص ما.

زوجتي تستمر في مراسلة أحدهم.

لقد وضعت رمز مرور على هاتفها لأول مرة.

مرَّت ثلاثة أشهر.

لقد كان يحدث ذلك لمدة أسبوع.

أمضى بعض هؤلاء الأزواج عامًا أو عامين أو حتى خمسة أعوام دون أن يدركوا شيئًا واحدًا.

هل كان من الطبيعي ألَّا أشكَّ في أي شيء لمدة طويلة، لو كنت زوجًا عاديًّا؟

"عزيزي؟" إنها زوجتي في غرفة النوم. "ماذا تفعل؟".

"أدخِّن. سأدخِّن سيجارة واحدة فحسب".

"حسنًا." ثم أضافت بعد لحظة من الصمت: "أتمنى أن تقلع عن التدخين".

إذن هذه هي نسخة اليوم. لديها كتالوج محدَّد من الردود. **أتمنى أن تُقلع عن التدخين.** أو: **أَغلِقْ الباب، رائحة السجائر تملأ الغرفة.** أو: **سوف يشتكي الجيران في الطابق السفلي.**

أجيب: "حسنًا. سيجارة واحدة فحسب".

بعد ذلك، أفكر في أن هذا هو الرد الطبيعي على هذه الشكوى. هذا ما يقوله معظم الأزواج في هذه الحالة.

ثم أفكر في يدي زوجتي.

التقينا أنا وجيونج في غرفة انتظار عيادة طبيب أسنان. كنت هناك لأنني كنت أعاني من ألم شديد في أسناني، وكانت جيونج في منتصف عملية تقويم أسنانها. كنت جالسًا في العيادة، أنتظر دوري وأنظر إلى هاتفي كأنما أطالع شيئًا شيِّقًا، عندما خرجت جيونج من غرفة طبيب تقويم الأسنان. بالطبع، لم أعلم أنها جيونج حينها. كانت ضئيلةَ الحجم، من النوع اللطيف أكثر من كونها جميلة. تعبيرها

الجاد وهي تستمع بانتباهٍ إلى الممرضة جعلها تبدو ألطف ممَّا تبدو عليه للوهلة الأولى.

كان الأمر كله مصطنعًا بالطبع، لكنَّ تعبيرها بَدَا صادقًا جدًّا. كانت جيونج من النوع المخلص في كل ما تفعله، شخصًا يحاول دائمًا بذل قصارى جهده، إلى درجة المبالغة في ذلك قليلًا.

تردَّدتُ مدة طويلة في اتخاذ أي خطوة. لم تتزامن مواعيدنا مع طبيب الأسنان، وكانت هناك أيام تنتهي فيها جلستي من دون أن تظهر السيدة الضئيلة اللطيفة في الأفق. مثل يوم جلستي الأخيرة.

شعرت بالحسرة. أسف أكثر ممَّا كنت أتوقع. ولهذا السبب، عندما اصطدمت بها في منتصف الشارع في طريقي إلى أحد المتاجر الكبرى، أطلقت هتافًا مرحًا: "مهلًا... مهلًا! إنه أنتِ!"، كنتُ أصرخ وأشير إليها وهي تحدِّق إلى نوافذ المتجر، وتسير ببطء في اتجاهي.

"إنه أنتِ، أليس كذلك؟ من عيادة طبيب الأسنان! تعرفين، عيادة أسنان بارونميسو!" صرختُ بصوت عالٍ لدرجة أنها فزعت، وتسمَّرَت في مكانها، ونظرت إليَّ. ليس هي فحسب، بل كل مَن يمرُّ جانبها.

تجمَّدتُ في مكاني. ماذا كنت أفعل؟ متى أصبحت ذلك النوع من الرجال الذين يتودَّدون إلى نساء لا يعرفوهن؟ كنت نقيض ذلك تمامًا، في الواقع. النوع الذي يحكم على الرجال الآخرين الذين يتفاخرون بـ"ملاحقة" امرأة في الشارع دون خجل أو الحصول على رقم هاتف امرأة عشوائية تعمل في مكتب سمسرة.

لكن منظرها وعيناها المفتوحتان على اتِّساعهما وشيء من الخوف بادٍ على ملامحها وهي تحملق في وجهي- كان ألطفَ حتى من وجهها الجدِّي. مَن كان يعلم لماذا كنت أفعل شيئًا كهذا، لكنها كانت تنظر إليَّ بعينيها البُنِّيَّتين الضخمتين المليئتين بالأسئلة. حسنًا، إذا كنتُ قد

شهرت سيفي، فعليَّ على الأقل أن أقطع رأس ملفوف حتى قبل أن أضعه مرة أخرى في غمده.

أم كان لِفتًا، وليس ملفوفًا؟ ماذا كان هذا المثل بالضبط؟

"ألا تعرفينني؟ لقد رأيتِني قطعًا في غرفة انتظار عيادة طبيب الأسنان. هل تعيشين بالقرب من هنا؟".

"ماذا؟ أوه، نعم...". كانت عيناها لا تزال متَّسِعتَيْن، وبدأت تبدو غير مرتاحة. كان عليَّ أن أفعل شيئًا، لكني لم أعرف ما هو بالضبط.

"هل انتهيتِ من جلساتك مع طبيب تقويم الأسنان؟ لم أركِ آخر مرَّة كنت فيها في العيادة. لقد انتهيتُ من كل شيء، واضطررت إلى حشو سنٍّ، وقال طبيب أسناني إنه من الأفضل أن أحشو كل أسناني المسوَّسة لأن الحشوات لا تدوم مدة طويلة. لقد أظهر لي الأشعَّة السينية أيضًا...".

كلَّما ثرثرتُ أكثر، ظلَّت عيناها واسعتين مدة أطول وبدت أكثر حَرَجًا وارتباكًا. أخرجت محفظتي بسرعة، ووجدت بطاقة عمل، وناولتها إيَّاها.

"هذه بطاقتي، أرجوك اتَّصلي بي".

وبصرف النظر عن افتقارها إلى أي سبب منطقي للاتصال بي، فقد كانت إيماءاتي مَرِحة وسَمِجة لدرجة أنني سأؤنب نفسي لاحقًا، لكنني لم أستطع التفكير في أي شيء آخر في تلك اللحظة. بعد أن قدَّمتُ لها بطاقة عملي كما لو كانت الرأس المقطوع لأكبر عدوٍّ لها، تراجَعَت خطوة إلى الوراء كما لو كانت تتعرَّض للسرقة.

اللعنة. لن تأخذ البطاقة.

ثم أخذت البطاقة. وتمتمت بشيء لم أتمكن من سماعه، وأحنت رأسها قليلًا، وابتعدت مهرولة. وقفت أمام متجر مستحضرات التجميل كالأحمق وشاهدتها تختفي عند مدخل محطة قطار الأنفاق.

ولأن هذا كان أوَّلَ لقاء لنا، أو بالأحرى محادثتنا الأولى، كنت متأكِّدًا من أنها لن تهاتفني أبدًا.

حاولت أن أنسى كل ما حدث.

عندما اتصلت بي، كان رقمًا لم أتعرف عليه؛ لذلك لم أرُدَّ. ثم بعد ساعات، عندما اتصلتُ مرة أخرى بالرقم للتحقق من هوية المتصل، تبيَّن أنها هي.

"إذن... ذكِّرني لماذا أعطيتَني بطاقة عملك؟".

لهذا السبب اتَّصلَت بي.

ولهذا السبب، عندما أصبَحَت زوجتي بعد عامين، فكَّرتُ: **المعجزات تتحقق فعلًا.**

لا أتذكر شيئًا تقريبًا من حفل الزفاف على الإطلاق. ربما شيء واحد فحسب. اللحظة التي وضعت فيها خاتم الزواج في إصبعها.

كانت يدها اليسرى فوق يدي بالِغَة الصِّغَر. ضئيلة ورقيقة مقارنةً بيدي، وباردة قليلًا، ربما لأنها كانت متوترة. نسيت أمر الحفل للحظة، وأردت أن أفرك يديها لأدفئهما كما أفعل عادةً.

ملمس ذاك البنصر الصغير النحيل والناعم، ووعدي الصامت لها بأنني سأقضي حياتي أحافظ على هاتين اليدين دافئتين- أتذكر كل ذلك. لن أنسى تلك اللحظة أبدًا ما دمتُ أحيا.

أحاول الآن أن أتذكر يديها، أن أتذكر تلك اللحظة بقدر ما أستطيع. أتنفَّس بعمق. السيجارة التي لم أسحب نفسا واحدًا منها تكاد تحترق حتى عقبها. أقرِّبها بسرعة إلى شفتي.

أنا هنا في الشرفة لأدخِّن، أليس كذلك؟ أليس هذا ما قُلتُه لزوجتي؟ لأن الزوج العادي لا يخرج إلى الشرفة ليدخِّن ثم يمسك السيجارة في يده دون أن يدخِّنها فعليًّا.

لأنني زوج عادي يدخن في الشرفة.

عندما أفكر في ذلك، يبدو أنني أتذكر رؤية زوجتي تتصل بشخصٍ ما طوال الوقت، مباشرة بعد زواجنا. لم أُعِر ذلك الكثير من الاهتمام فحسب. أجرت زوجتي العديد من المكالمات الهاتفية. مع أمي، وأختي الصغرى: مكالمات يومية عادية. سألتهما عن أحوالهما، واستمعت إلى قصصهما المملَّة وكأنها مسحورة. أمي وأختي أُغرَمَتا بها لذلك. ولهذا السبب لم أفكِّر كثيرًا في العدد الهائل من المكالمات التي أجرتها. تهوى النساء التحدث عبر الهاتف، وكانت زوجتي شخصًا منفتحًا اجتماعيًّا، وهذه هي شخصيتها، فماذا في ذلك؟

سيكون أمرًا رائعًا لو تمكَّنَّا من الاستمرار في العيش بهذه الطريقة.

طريقة: **"وماذا في ذلك؟"**.

لا أعرف بالضبط الوقت الذي بدأت فيه زوجتي تلك المكالمات بالتحديد، لكن إحساسي بوجود شيء غريب قد نشأ بعد أقل من عامٍ بقليل على زواجنا. في تلك الأمسية الصيفية، حيث كنتُ أشعر بالإعياء بعد قضاء ليلة في الخارج رفقة زملائي في الشُّرب. لم يكن الأمر كما لو أنها المرة الأولى لي، وكنت لا أثمل بسهولة، لكنه كان مطعمًا لم أذهب إليه من قبل ولا بُدَّ أن ثمة شيئًا ما كان في الطعام. كنت قد رجعتُ إلى المنزل واستلقيت على السرير لكي أنام، وبعد نصف ساعة هرعت إلى الحمام لأتقيَّأ.

لم ينتهِ الأمر ما أن تقيَّأتُ كلَّ ما في جوفي. حتى عندما لم يعُد ثمَّة أي شيء يمكن أن يكون في معدتي، ظللتُ أتجشَّأ وأشعر بانتفاخ. وبعد الكثير من التَّجشُّؤ الجاف والإمساك بحافة المرحاض، تمكَّنتُ أخيرًا

مـن الزحـف خارجًـا مـن بـاب الحـمام. كان عـلى زوجتـي أن تقـودني إلى المستشـفى، وكان عليهـا أن تأخـذني إلى غرفـة الطـوارئ...

لكنهـا لم تكـن واقفـة خـارج الحـمام. ولم تكـن في السريـر كـما تركتهـا. اسـتلقيتُ عـلى العتبـة بـين الحـمام وغرفـة النـوم الرئيسـية وانتظرتهـا دون جـدوى. مثـل ثعبـان قـوي وسـميك، زحفـت عـبر أرضيـة غرفـة النـوم إلى غرفـة المعيشـة.

شـعرت وكأن أحشـائي سـتنفجر، وبقيـت أتجشَّـأ دون أن أتقيَّـأ أي شيء؛ مـمَّا جعـل تلـك المسـافة القصـيرة، التـي يمكـن اجتيازهـا في بضـع خطـوات، صحراءَ شاسـعة.

عندمـا وصلـت أخـيرًا إلى بـاب غرفـة المعيشـة، الـذي كان مفتوحًـا جزئيًّـا، كنـت لا أزال لا أملـك القـوة الجسـمانية للوقـوف بمفـردي؛ لـذا دفعـت البـاب لأفتحـه عـلى نطاق أوسـع قليـلًا ومَـدَدتُ رأسي مـن الفجوة.

كانت زوجتي في غرفة المعيشة.

"جيونـج". ناديتهـا باسـمها، لكـن كان صـوتي ضعيفًـا جـدًّا لدرجـة أن زوجتـي لم تسـمعني. أدركـت أنهـا كانـت عـلى الهاتـف.

إنهـا تتصـل بسـيارة الإسـعاف، كانـت الفكـرة الأولى التـي خطـرت بذهنـي، لا أتصـور أن حالتـي بهـذه الخطـورة، كانـت تلـك هـي الفكـرة التاليـة، عـلى الرغـم مـن أننـي شـعرت بالامتنـان. مـاذا لـو أخـذوني إلى هنـاك واتَّضـح أننـي مجـرد سـكران يتقيَّـأ؟ فكَّـرت في مـدى إحـراج ذلـك. ولكـن بعـد الاسـتماع مـن كثـب، لم تكـن زوجتـي تتصـل بسـيارة إسـعاف. ولا تتصـل بوالديهـا أو والـديَّ. وكانـت تتحـدث بلغـةٍ لم أسـمع بهـا مـن قبـل. أصـوات لم أتخيَّلهـا أبـدًا تخـرج مـن فمهـا. حتـى عندمـا أفكِّـر الآن، يبـدو الأمـر جليًّـا بالنسـبة إليَّ مثـل مشـهد سـينمائي. اعتـصرني ألمٌ شـديد لدرجـة أننـي لم أسـتطع التفكـير كثـيرًا في الأمـر حينـذاك. لقـد خذلنـي

صوتي مرةً أخرى. وأنا مجهد، دفعت الباب أمامي بأقصى قوة ممكنة فاصطدم بالحائط بدويٍّ. انتفضت زوجتي فَزِعَة. والتفتت نحوي.

جيونج، تمتمت.

جاءت راكضة نحوي.

المستشفى، قلتُ مرَّةً أخرى.

جلَسَت جانبي ومسَحَت على شَعري وكأنني طفل.

قالت: "لقد اتَّصلتُ بسيارة الإسعاف".

وبعد قليل جاءت سيارة الإسعاف.

قرَّرتُ أن أنسى تلك المكالمة الهاتفية.

كانت ليلة واحدة فحسب، لكن لم أضطر في حياتي إلى المكوث في المستشفى من قبل. ناهيك بتوصيلي بأنبوب التنقيط الوريدي. ومَن يعلم كُنهَ السَّائل بداخل ذلك الشيء، لكن الاستلقاء هناك مع التنقيط الرتيب جعلني أشعر بأنني على وشك الموت في كل دقيقة. طوال الوقت، جلَسَت زوجتي جانبي. المرة الوحيدة التي تركتني فيها كانت عندما ذهبت إلى مكتب الاستقبال من أجل إجراءات دخولي المستشفى.

ولكن كانت ثمة لحظة واحدة، عندما غفوتُ واستيقظت قرب الفجر، شعرت أنها لم تكن هناك بالتأكيد. لا أعرف إذا كانت قد ذهَبَت إلى الحمام أو كانت تُجري مكالمة هاتفية أم ماذا. لكن في حالة نصف يقظة، شعرت وكأن زوجتي لم تكن في أي مكان في هذا المستشفى، وأنها تركتني وغادرت بينما كنتُ نائمًا. أصابتني حالة من الذعر.

لم يكن بداخلي ذَرَّةٌ من قوة للنهوض والبحث عنها. من وضعية الاستلقاء، حاوَلتُ العثور على هاتفي. لكن جسدي رفض الاستماع

إليَّ. خدشتُ الهواء وملاءة السرير بأصابعي بعشوائية وسقطت في نوم عميق مرة أخرى.

كان اليوم التالي يوم سبت؛ لذلك مكثت في المنزل. كنت قد رجعت إلى المنزل من المستشفى وحاولت تناول بعض من عصيدة الأرز قبل العودة إلى النوم. استيقظت مرة أخرى فجر اليوم التالي.

كنت جائعًا. ليس جوعًا عاديًّا وحسب، بل اشتهيت شعيرية الراميون. بمجرد أن استعدت وعيي، تمكَّنتُ من أن أرى بوضوحٍ في ذهني عبوة الراميون الذي كنت أشتهيه والشِّعار عليها. لم أستطع أن أقول ما إذا كان هذا الاشتهاء الشديد في تناول عنصر غذائي مُحدَّد بعد محنتي الأخيرة المتعلقة بالطعام هو علامة على أن جسدي يحاول الشفاء أم تدمير نفسه. حاولت بعنايةٍ رفع جذعي عن السرير. عندما تمكَّنتُ من اتخاذ وضعية الجلوس بنجاح، مَدَدتُ يدي نحو زوجتي لإيقاظها لأطلب منها أن تغلي بعضًا من شعيرية الراميون لي.

باستثناء أن زوجتي لم تكن هناك.

نظرت إلى ساعتي. كانت الساعة 3:40 صباحًا.

وقفتُ. كانت ساقاي ترتجفان، لكني تمكَّنتُ من الوقوف. خرجت ببطء من غرفة النوم.

زوجتي، مثل المرة السابقة، كانت في غرفة المعيشة. في الظلام، والأضواء مطفأة، مرئيَّة فحسبُ بسبب االوهج الشاحب المنبعث من مصابيح الشوارع بالخارج، كانت تتحدث على الهاتف بلُغةٍ غريبة كالمرة السابقة. بصوتٍ منخفض، وبسرعة هائلة.

"جيونج".

مفزوعةً، استدارت لتنظر إليَّ. خفضت هاتفها. لكنها لم تتركه من يدها.

همستُ: "هل يمكنك غلي بعض الراميون؟".

"أوه... حسنًا".

وذهَبَت إلى المطبخ. وما زال الهاتف في يدها. سحبتُ كرسيًّا وجلست إلى منضدة المطبخ. شاهدتها وهي تطبخ الراميون.

"بمن كنتِ تتَّصلين؟".

"ماذا؟ مـ... ماما؟".

"لماذا تتَّصلين بأمي في هذه الساعة؟".

"لا، ليست أمَّكَ، بل أمي".

كانت زوجتي تنادي والدتها دائمًا بـ"ماما" بدلًا من "أمي"، وهذا ما جعل الأمر مربكًا في بعض الأحيان: تحديد الأم التي تتحدث عنها: أمها أم أمي.

"في هذه الساعة؟ ما المشكلة؟".

"المشكلة أن عزيزي سيونهيوك مريض". ابتسَمَت قليلًا بعد ذلك.

"سوف تقلق دون داعٍ... ماذا قالت لكِ؟".

"لقد كانت مُصِرَّةً جدًّا على غلي بعض العصيدة والمجيء في التو واللحظة، لدرجة أنني واجهت صعوبة في إقناعها بالعدول عن ذلك".

ابتسمت مرة أخرى. جعلت الابتسامة من المستحيل عليَّ أن أطرح أي أسئلة أخرى عليها.

تناولتُ الراميون الذي أعدَّته ورجعت إلى غرفة النوم، وانتظرت حتى نامت، ونظرت إلى هاتفها. اصطدمت بشاشة القفل. شيفرة مفتاح الباب الأمامي لا تعمل. ولا تاريخ عيد ميلادي. أو عيد ميلاد زوجتي. كانت بطني ممتلئة؛ لذا استولى النعاس عليَّ، ولم أستطع التفكير في أي رموز أخرى لأجرِّبها.

لذلك أعدتُ الهاتف إلى مكانه ونِمتُ.

كيفية فكِّ رمز الهاتف، وكيفية فكِّ قفل النمط، وكيفية إعادة توجيه كل رسالة تصل إلى هاتف زوجتك، إلى هاتفك الخاص... كانت ثمة طرائق وأساليب عديدة للقيام بهذه الأشياء، وفقًا للمواقع الإلكترونية التي تتحدث عن خيانة الأزواج والعشَّاق.

أمَّا إذا كانت هذه الأساليب فعَّالة أم لا، فلن أعرف أبدًا. لم أتمكن من رؤية محتويات هاتفها إلا بالصدفة. كنت أفرش أسناني وخرجت من الحمام لأجد زوجتي تتحدث على الهاتف. كانت تتحدث الكورية هذه المرة، وكانت مناداتها للشخص الموجود على الخط "**أغاسي**" تعني أنها تتحدث إلى أختي الصغرى. عندما رأتني أخرج من الحمام، أنزلت هاتفها على عجل ودخلت الحمَّام.

كان الهاتف أمامي، راقدًا على المنضدة. بمجرد أن أغلَقَت زوجتي باب الحمام، التقطت الهاتف بتلقائية. ولم تكن الشاشة مقفلة بعدُ.

خلافًا لتوقُّعاتي، لم يكن هناك أي شيء خارج عن المألوف في قائمة اتصالاتها. أمها. أمي. اسم ناظرة مدرسة التربية التي عملت فيها. كانت رسائلها تدور حول الأشياء التي تحدث في المنزل، وفي العمل، والإبلاغ عن نتائج اختبارات طُلَّابها، والسؤال عن أداء الطلاب الواجب المنزلي... كان هذا كل شيء.

لكن من بين الرسائل النصية كانت ثمة رسالة من رقم غريب. كان الرقم هو محتوى رسالة نصية، بمعنى آخر. رقم مكوَّن من خمسة أرقام بدون مُرسِل. أنا لا أقصد أن اسم المرسل كان محجوبًا أو مخفيًا، كلا، لم يكن ثمة أي شيء يحدد هوية المتصل.

سمعت تدفُّق المياه في المرحاض. حفظت الرقم المكوَّن من خمسة أرقام وأعدت هاتفها بسرعة إلى مكانه.

لم أتمكن من معرفة معنى الرقم المكوَّن من خمسة أرقام مهما بحثتُ. الأرقام لم تكن كافية ليكون رقم هوية مواطن أو رقم هاتف. ولم يكن رقم حساب مصرفي أيضًا. على الرغم من أن البحث عن الرقم على الإنترنت جعلني أدرك مدى خطورة مشكلات خصوصية البيانات في كوريا.

لم تعرض نتائج البحث سوى أرقام أطول تتضمَّن تلك الأرقام الخمسة. كنت أُجري بحثي في مكتب العمل عندما أحصل على استراحة، لكنني كنت أخشى أن يُمسكني أحدهم وأنا أفعل ذلك؛ لذا حملت هاتفي إلى سطح المبنى. دسَستُ سيجارة بين شفتي، وأخرجت هاتفي وأدخلت الرقم في الهاتف مرة أخرى. ليس لديَّ سوى يدين، وفي خِضَمِّ التعامل مع سيجارتي وقدَّاحتي وهاتفي في الوقت نفسه، لا بُدَّ أنني أدخلت الرقم عن طريق الخطأ في خانة الاتصال، انتهى بي الأمر بالاتصال بالرقم، وليس البحث عنه. لكن المكالمة تمَّت! لم أستطع أن أصدق ذلك. لم يكن لديَّ الوقت حتى لتعليق المكالمة.

قال الصوت المنخفض للرجل على الطرف الآخر شيئًا ما. بلغة ما غير مفهومة.

قلت: "مرحبًا؟".

أصبح الهاتف صامتًا فجأة.

"مرحبًا؟ مَن أنت بحق الجحيم!".

تنتهي المكالمة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

***

أدلت زوجتي باعترافها في تلك الليلة.

طوال العشاء، خفضت عينيها ولم تقُل كلمة واحدة. لم تكن هكذا من قبل، لكن يمكنني تخمين السبب.

متوترًا كنتُ أتعذَّب بشأن ما ستكون عليه المحادثة الحتمية بعد العشاء، وما هو الاتجاه الذي ستَّتخِذه حياتنا إلى الأبد. هل كانت زوجتي على علاقة مع شخص أجنبي؟ كيف التقت به حتى؟ لم تكن لغةً أفهمها على الإطلاق، ولكن من الواضح أن زوجتي كانت متحدِّثةً سريعة وفصيحة بها. إذن هل كان هذا الرجل شخصًا عرفته منذ مدة طويلة؟ حتى قبل أن تتزوجني؟ بدأت أخيرًا في الكلام.

"عزيزي سيونهيوك. لديَّ ما أقوله".

"إذن قوليه". كان صوتي باردًا ومهدِّدًا، على عكس صوتي بالنسبة إليَّ، حتى إنني كنت متفاجئًا في قرارة نفسي.

تردَّدَت زوجتي.

توتَّرتُ.

"قبل أن أقول ذلك... هل يمكنك أن تَعِدَني بشيء؟".

تساءلت: هل كانت تحاول حماية الرجل؟ هل أرادت مني أن أَعِدَها بعدم اقتحام منزله وضربه؟ لن أُقدِم مثل هذا الوعد أبدًا.

"هل... تَعِدُني بأن تصدق كل كلمة سأقولها؟".

لم أستطع أن أصدق ذلك. ما الذي يمكن تصديقه في زوجة اتَّصلَت برجل ما وتحدَّثَت معه بلغة أجنبية في الساعة 3:40 صباحًا؟ لكن زوجتي كانت تنظر إليَّ برعشة طفيفة في عينيها البنيتين الضخمتين، المبللتين بدموعٍ تنذر بالسقوط؛ ممَّا جعلني أومئ برأسي لا إراديًا.

"أنا... أنا لست من هنا".

فكَّرتُ: لقد خمَّنتُ ذلك.

زوجتي كانت أجنبية؛ ممَّا يعني أن الرجل كان شخصًا تعرفه قبل زواجها. لكنها بدت كورية للغاية، من أين أتت بحقِّ الجحيم؟ حتى اسمها كان بارك جيونج. حسنًا، يمكن تغيير الأسماء...

"أنا لا أقول إنني من بلد أجنبي. أنا أقول إنني لست من كوكب الأرض".

ماذا؟!

"أنا من الكوكب xxxx".

بدا وكأنه اسمٌ في النهاية، لكنني لم أتمكَّن تمامًا من فهمه. كل ما استطعت تمييزه هو أن الاسم بدا مشابهًا للكلمات التي كانت تتحدث بها على الهاتف.

وتابَعَت: "لذلك وفقًا لمصطلحاتكم، أنا مَن تطلقون عليه اسم كائن فضائي. مَهمَّتي هي دراسة بيئة البشر".

كان صوتها همسًا، وتحدَّثَت بسرعة، كما لو كانت شخصًا يُطارَد. "سبب زواجي منك، يا عزيزي سيونهيوك، هو أنني تلقَّيتُ أوامر بالعيش بين أبناء الأرض كما لو كنت واحدة منكم".

جلست هناك أحملق في وجهها. لم تكن زوجتي أبدًا غريبة كما كانت في تلك اللحظة. كانت دائمًا هادئة ورابطة الجأش، وكانت كلماتها وأفعالها مدروسة ودقيقة.

لكن عندما أعيد التفكير... صحيح أنني لم أعرفها سوى منذ ثلاث سنوات فحسب...

لم يكن لديَّ أي فكرة عن نوعية شخصيتها في ذلك الوقت قبل تلك السنوات الثلاث، على سبيل المثال، ما هي المدارس التي ارتادتها أو ما درسته أو ما هي الهوايات التي كانت تمارسها أو ما هي الأعمال

التي أدَّتها، أو ما هو أبعد من تلك الأمور العامة التي قد تدوِّنها في سيرتها الذاتية، أي نوع من الأشخاص كانت حقًّا. ولم يكن ثمة سبيل بالنسبة إليَّ لمعرفة ذلك.

لمعت في ذهني القصص التي سمعتها على الإنترنت أو شاهدتها على شاشات التلفزيون عن "السوسيوباتيين (المعتلِّين اجتماعيًّا)". فهل انتاب ضحاياهم أيضًا الشعور نفسه الذي كنت أحسُّ به في تلك اللحظة، عندما ارتكب الزوج أو أحد أفراد الأسرة بعض الأفعال الشنيعة وأخبرهم بكذبة عجيبة من اختراعه للتغطية على جُرمه؟

"لكن... بصرف النظر عن تلقِّي الأوامر، أنا حقًّا... أنا حقًّا أحبك يا عزيزي سيونهيوك. عندما تعرَّفتُ عليك حقًّا، أعجبتُ بكَ".

تدحرَجَت دمعة على خدِّها.

"المكان الذي وُلِدتُ فيه... مختلف تمامًا عن هنا. كان عليَّ أن أنهي مَهمَّتي... إنه ليس من نوعية الأماكن حيث يغفرون الأخطاء... لو عرفوا أنك اكتشفتَ هويتي الحقيقة... لو علموا أنك عرفتَ ما كنت أفعله حقًّا... يا عزيزي سيونهيوك، كنت.. كنت سأموت".

"وماذا في ذلك؟" خرج صوتي كصرخة حادة.

لم أستطع تحمُّل الاستماع إلى أكاذيبها السخيفة أكثر من ذلك.

"ماذا تريدين مني أن أفعل حيال ذلك؟".

توسَّلَت: "ليس عليك أن تفعل أي شيء... واصِلْ التصرف كالمعتاد. وكأن شيئًا لم يحدث... تمامًا كما عِشنا دائمًا... هل يمكنك فعل ذلك؟".

نظرت إليها. كانت تنتحب حقًّا الآن.

"رجاء اغفر لي... أنا آسفة لأنني كذبت عليك... أردت أن أقول لك هذا منذ مدة طويلة، ولكن... لم أعتقد أنك سوف تصدقني. لم تكن في نيَّتي أن أخدعك... أنا آسفة...".

نهَضتُ. كان من المستحيل معرفة ما إذا كانت تكذب أم أنها محض مجنونة. على أية حال، لم أستطع أن أكون في المكان نفسه مع زوجتي الكاذبة، التي بكت بينما واصَلَت الكذب. ولم يكن من الممكن أن أتعرَّض لهذا، وأسمع مثل هذا "الاعتراف"، وأستمر في الحياة كما كنَّا، وكأنَّ شيئًا لم يحدث.

التقطتُ معطفي وغادرتُ الشقة. تشبَّثَت زوجتي بي بينما أغادر، وقالت شيئًا ما وسط بكائها، لكنني تجاهلتها وأغلقت الباب خلفي.

زوجتي، زوجتي الأصلية، بارك جييونج التي أحببتها، بعبارة أخرى: كانت تلك هي المرة الأخيرة التي رأيتها فيها على الإطلاق.

بعد أن غادرت المنزل، ركبت السيارة، لكنني لم أعرف إلى أين أذهب. مَن كان ليعلم أنني سألعب دور الزوج المخدوع في دراما تلفزيونية رخيصة حيث أهجر المنزل. كنا لا نزال في شهر العسل إن جاز التعبير؛ لم يمضِ سوى عام على زواجنا.

أدرتُ مُحرِّك السيارة.

مثل العديد من الأشخاص الآخرين الذين يعانون من انهيار علاقة عاطفية، انتهى بي الأمر برَكْن سيارتي بجانب النهر. فكرت مدة طويلة وأخرجت هاتفي أخيرًا. اتَّصلتُ بالرقم المكوَّن من خمسة أرقام. ردَّ الرجل نفسه على الهاتف. هذه المرة، تحدث بلغة أفهمها.

- السيد كيم سيونهيوك.

أربكني نُطقُه باسمي قبل "مرحبًا" أو تقديم نفسه. لكن تلك كانت مجرد لحظة. تفجَّر غضبي على الفور.

"مَن أنتَ بحق الجحيم؟" صرخت في الهاتف. "ماذا بينك وبين زوجتي بحق الجحيم؟".

- ظنونك بشأننا خاطئة.

كانت كورية الرجل مصقولة ودقيقة، وإن كانت غريبة بعض الشيء.

- أنا رئيسها. تُقدِّم بارك جيونج التقارير لي. هذه طبيعة علاقتنا كلها.

"أي نوع من التقارير تتلقَّاها من زوجتي في الرابعة صباحًا؟ وأي نوع من المديرين يطلب تقريرًا من امرأة تعتني بزوجها المريض في الرابعة صباحًا؟".

- نظرًا لطبيعة عملنا، أخشى أننا نحتاج إلى التقارير بعد انتهاء الأعمال المعتادة في اليوم، وبالتالي قد يكون ثمَّة بعض التناقضات مع ما تعدُّه ساعات عمل طبيعية، يا سيد كيم سيونهيوك. لذلك، نحثُّكَ، من أجل سلامة زوجتك، السيدة بارك جيونج، على العودة إلى المنزل على الفور ومواصلة علاقتكما الطبيعية.

"اذهب إلى الجحيم!" أغلقت الهاتف.

نِمتُ في السيارة تلك الليلة بعد أن تجوَّلتُ على ضفة النهر، وفكَّرتُ في رمي هاتفي في النهر كما يفعلون في التلفاز، لكنني قرَّرتُ عدم القيام بذلك، حيث كان لا يزال أمامي عام قبل سداد أقساط ثمن الهاتف. في النهاية، استنفدت قواي وعدت إلى السيارة، وأرجعت مقعد السائق إلى الخلف قدر الإمكان، وبعد أن عصَفَت بي بعض الأفكار المضطربة، غفوتُ. من يدري كم من الوقت نِمتُ؛ أيقظني الهاتف. نظرت إلى الشاشة. كانت زوجتي. رفضت استقبال المكالمة.

اتَّصلَت مرة أخرى. فكَّرتُ في رفض المكالمة مرة أخرى لكنني ضغطت على "الرَّدِّ" بدلًا من ذلك.

صرخت: "ماذا!".

لم تَقُل زوجتي شيئًا. بدلًا من صوتها، سمعت تنفُّسًا ضحلًا، يشبه أنينًا إلى حدٍّ كبير.

هل كانت تحاول استدرار عطفي الآن؟ لم أستطع تحمُّل الأمر أكثر. ولكن بمجرد أن فتحت فمي لأشتمها، سمعت صوت زوجتي.

"عزيزي سيونهيوك... أحبُّك". صوتها كان حقًا مثل أنين، مستعد للتَّشتُّت في الريح.

"سيون... هيوك...".

انقطع الخط.

اتَّصلتُ بها، لكن لم يرد أحد. ولم ترد أختها أيضًا. بعد بعض التَّردُّد، اتَّصلتُ بحماتي. أخبرني صوت ميكانيكي أن رقمها غير موجود في الخدمة. لا أعرف السبب، لكن في اللحظة التي سمعت فيها تلك الرسالة، سَرَت قشعريرة في عمودي الفقري.

ركبت السيارة على الفور وشغلت المحرك. قُدتُ إلى المنزل بأسرع ما يمكن. لم يكن هناك أحد في الشقة. كان الداخل نظيفًا، قاتمًا تقريبًا. اختفى عشاؤنا الذي لم نأكله من الليلة السابقة، وغُسِلت الأطباق وجُفِّفَت ووُضِعت في الخزانة. ونُظِّفت غرفة المعيشة وغرفة النوم تمامًا بحيث لم أرَ ذَرَّة غبار. بدا الأمر أشبه بديكور مسرح أو غرفة فندق، مكان لم يَعِش فيه أي إنسان من قبل. لا يوجد أي أثر لزوجتي.

كان حمام غرفة النوم الرئيسية أيضًا نظيفًا تمامًا وناصع البياض. في زاوية الحمام الأبيض اللامع، لمحت جسمًا أحمر اللون خلف المرحاض. مشيت إلى المرحاض. انحنيت ومددتُ يدي والتقطت ذلك الجسم الأحمر. في اللحظة التي قرَّبتُ فيها الجسم من وجهي ونظرت إليه من كثب، شهقتُ -مدهوشًا جدًّا لدرجة أنني لم أستطع حتى الصراخ- وأسقطته على الأرض. ركضت بأسرع ما يمكن خارج الشقة. لم أكلِّف نفسي عناء استخدام المصعد، ركضت على الدَّرَج فحسب.

فقط عندما وصلت إلى الطابق الأول من المبنى السكني، تمكَّنتُ من الصراخ.

كان الجسم الذي التقطته يدًا. يدًا صغيرة مكتنزة بأصابع دقيقة، يد امرأة. لا تزال تتقلَّد خاتم زفاف في بنصرها.

لقد انتُزِعت أظافرها كلها. وفي تلك اللحظة، كنت على وعيٍ جزئيٍّ بأفعالي، فدخلت السيارة وحاولت تشغيل المحرِّك؛ أسقطت المفتاح. انحنيت لالتقاطه، لكنني قرَّرتُ بعد ذلك الاتصال بالشرطة بدلًا من ذلك. فاتصلت برقم 112.

"مرحبًا؟ الشرطة؟ أنا...".

"السيد كيم سيونهيوك". صوت الرجل من قبل، الصوت الهادئ نفسه، ولكنه آليٌّ قليلًا. "يجب أن تعود إلى المنزل".

"مَن... مَن أنتَ!" صرختُ في الهاتف. "ماذا فعلت بجيونج! ماذا فعلت بزوجتي! أين جيونج! سأقتلك! سأ...".

"إذا كنَّا نتحدث عن زوجتك، فهي في المنزل".

كان صوت الرجل منخفضًا وهادئًا.

"ما الذي تتحدث عنه، هل تسخر مني؟" قبل أن أتمكَّن من الصراخ بهذه الأشياء، قال الرجل:

"كانت يداها الجزء المفضَّل لديك من جسدها، أليس كذلك؟".

لم أستطع العثور على صوتي.

"من فضلك عُدْ للمنزل".

كان الرجل يحاول استرضائي تقريبًا.

"زوجتك تنتظرك".

قبل أن أتمكن من قول أي شيء آخر، أضاف: "عِش حياة طبيعية قدر الإمكان. مثل أي رجل عادي آخر".

انتهت المكالمة.

***

في الليلة الأولى التي قضيناها معًا، أجرينا هذه المحادثة.

"أي جزء من جسدي تحبه، يا سيد سيونهيوك، أكثر؟" كانت تناديني دائمًا السيد سيونهيوك قبل أن نتزوَّج. بعد زواجنا، وكانت تناديني أحيانًا بـ"عزيزي"، ولكن غالبًا "السيد سيونهيوك-شي". لم تنادِني أبدًا بأي نوع من مصطلحات الحنان مثل "أوبا".

"يديك"، قلت هذا دون تردُّد. "أنا أحب يديك أكثر من أي شيء آخر".

"لماذا؟".

ابتسَمَت. "إنها صغيرة ولطيفة ومكتنزة. مثل أيدي الأطفال".

ضَمَمتُها بين يدي. السبب الوحيد الذي جعلني أقول ذلك هو أنني لاحظتهما بالصدفة في تلك اللحظة. لقد أحببت شكلها بالكامل. لم يكن هناك جزء يمكنني أن أقول إنه المفضل لديَّ.

عندما أتذكر تلك اللحظة التي رأيتها فيها لأول مرة في غرفة الاستقبال في عيادة طبيب الأسنان، فإن الشيء الذي أتذكره الآن هو عيناها. عيناها ضخمتان وصادقتان وبنيتان، مثل عيني جرو لطيف.

في بعض الأحيان، حتى الآن، أشعر بالسعادة لأن إجابتي على سؤالها لم تكن عينيها. أو ربما كلمة "سعادة" ليست الكلمة المناسبة.

ترجَّلتُ ببطء من السيارة وأغلقت الباب، وعبرت ساحة انتظار السيارات ودخلت العمارة بتؤدة شديدة. وبينما كان المصعد يصعد إلى الطابق الثاني عشر، والأرقام تتعاقب رقمًا تلو الآخر، فكَّرتُ في الداخل النظيف للمنزل، والحمام الأبيض اللامع، واليد القرمزية التي انتُزِعت أظافرها بالكامل وخاتم الزواج في البنصر الصغيرة.

انفتحت أبواب المصعد. أخذت نَفَسًا عميقًا وخطوت إلى الردهة. وبحذر، شقَقتُ طريقي إلى باب الشقة الأمامي. وبينما كنت على وشك رفع يدي لإدخال الشيفرة في لوحة الأرقام، نقر القفل فجأة وانفتح الباب.

أخرَجَت زوجتي رأسها من الباب. "جيونج!".

سمعت صرختي تدوي في الردهة. فتحت الباب على مصراعيه، مستعدًّا للقفز إلى الداخل ومعانقتها.

قالت: "**أوبا**، أنتَ هنا".

تجمَّدتُ في مكاني.

خَطَت زوجتي خطوة خارج الباب. قالت بصوت خافت: "ادخل، يا أوبا".

كان وجهها يشبه وجه زوجتي، وجه المرأة التي تزوَّجتها. لا... كان متطابقًا تقريبًا. لم يكن ثمة أي فرق تقريبًا في الطول أو الوزن. حتى شكل رأسها كان هو نفسه. وكان صوتها مألوفًا جدًّا لأذني. كان كل شيء هو نفسه. الشيء ذاته بكل حذافيره...

همست: "أوبا".

مدَّت يدها متوسِّلةً.

كانت اليد نحيلة والأصابع طويلة. كان ثمة خاتم زفاف مألوف في البنصر.

قالت مرة أخرى: "من فضلك...".

ولأنني استطعت قراءة اليأس في عينيها البنيتين الضخمتين، ابتلعت كلَّ ذَرَّة من الرعب الذي كان يرتفع في حلقي وأجبرت نفسي على الإمساك بيدها الممدودة.

قلت: "حسنًا، لندخل".

كان المنزل نظيفًا، وكان ثمة عشاء مرصوص على المائدة. كان الحمَّام يلمع بلون أبيض ناصع. لم يكن هناك شيء خلف المرحاض أو على الأرض.

لمدة طويلة، لم أستطع إجبار نفسي على دخول ذلك الحمام.

***

تستمر الزوجة في إجراء المكالمات. إنها تتصل بأمي، وأختي الصغيرة. وتتصل بأمها، وأختها. أو على الأقل، تقول إنها تفعل ذلك. لم أتصل بعائلتها أبدًا منذ تلك الليلة؛ لذلك لا أعرف حقًّا بمن تتصل.

في بعض الأحيان، أستيقظ في الساعات الأولى من الصباح. وكانت هناك ليالٍ عديدة لم أستطع فيها النوم على الإطلاق. أستلقي في السرير وعيناي مغمضتان، وأحافظ على تنفُّسي منتظمًا، وأتظاهر بالنوم.

تنزلق الزوجة من السرير في صمت. تمسك هاتفها، وتتجه إلى غرفة المعيشة.

لا أتنصَّت على الزوجة. أبقي عينيَّ مغمضتين وأحاول النوم.

تناديني الزوجة "أوبا"، يداها نحيلتان، وأصابعها طويلة. في إصبع الخاتم في إحدى هاتين اليدين الطويلتين النحيفتين يوجد خاتم زفاف لم أضعه هناك.

لقد تقيَّأتُ مرات عديدة.

"أوبا، ما هو الجزء المفضَّل لديكَ في جسدي؟" قالت لي الزوجة هذا في منتصف الإفطار.

كدت أبصق القهوة التي أشربها. "لماذا تريدين أن تعرفي ذلك؟".

لم يكن من نيَّتي أن أبدو بهذه القسوة. انكمشت الزوجة.

منذ تلك الليلة، كانت الزوجة دائمًا حَذِرةً مني، وتختبئ في حضوري.

"أنا آسف. أنا لستُ غاضبًا منك. أنا... أنا أحب كل شيء فيك. كل جزء صغير".

"ومع ذلك، لا بُدَّ أن يكون هناك جزء تحبه أكثر من غيره؟" قالت.

انتابني شعور غريب وأنا أحدِّق بزوجتي. التقت أعيننا.

همست: "من فضلك... أخبِرْني...".

نهضتُ. مشيتُ إليها. احتضنتها بقوة. وهي بين ذراعي، داعبت رأسها.

"شَعرُك. أنا أحب شعرك. إنه ناعم ورائحته زكية".

ظلَّت الزوجة ساكنة بين ذراعي. بينما كنت أداعب رأسها، شعرت بها تسترخي في حضني.

نادتني الزوجة "أوبا". كانت يداها نحيلتين وأصابعها طويلة. لكن وجهها كان ودودًا كما كان من قبل، وعيناها البنيتان الضخمتان لا تزالان مملوءتين بالخوف... لذا احتضنتها طويلًا، وأنا أداعب رأسها.

"أحب شعرك".

وطبعت قُبلةً على شعرها الذي تفوح منه رائحة الشامبو. متمنِّيًا في قرارة نفسي أن عدم بكائي يجعلني أبدو الآن بلا ريب زوجًا عاديًّا، ذلك النوع من الأشخاص العاديين الذين **يريدونني** أن أكون.

نهاية الرحلة

لقد فقدتُ صديقي.

كنت واقفًا على أنقاض عالَمٍ قد تداعى، أتيه بعينيَّ فيما حولي. الشيء الوحيد الدافئ كان ضوء الشمس. والحطام الخرساني الذي كنت أجلس عليه كان ساخنًا بسببه. لكن هذا كان كلَّ شيء.

على مدى البصر، لم يكن هناك سوى الخرسانة المحطَّمة، وقضبان الفولاذ الملتوية، والطوب المكسور، والإسفلت المتصدِّع. لا وجود لشجرة حتى أو نَصْل عشب، ناهيك بحيوان حيٍّ. وكانت السماء صافية والغيوم تبدو هادئة، لكن الشمس سكبت ضوءها على منظر طبيعي لا يقلُّ وصفه عن أنه قاحل.

هل يجب أن أعود إلى المركبة الفضائية؟

نظرت إلى السماء. كانت باهرة.

كان ضوء الشمس نقيًّا لكنَّ الهواء بارد. مَن يدري كم من الوقت ستظل الشمس هناك، وماذا سيخرج في ليل هذا العالم المتغيِّر. كانت كل نسمة مثل طعنة من البرد في طيَّات ملابسي. انتشرت قشعريرة في مؤخرة رقبتي. ومع ذلك، كانت الشمس مشرقة، وظلَّت الخرسانة التي كنت أجلس عليها دافئة. قرَّرت أن أجلس لمدة أطول قليلًا، مستلذًّا بالحرارة.

لكن كان عليَّ العودة إلى المركبة الفضائية في النهاية. عرفت ذلك. بضع دقائق أخرى فقط وسأشعر بالعطش. ثم بعد مُدَّة، الجوع. سيحلُّ الظلام قريبًا. لم يكن هناك ما يمكن أكله هنا، أو شربه. ولا توجد طريقة للحصول على الطعام أو الشراب أيضًا. لم يكن هناك أي شيء حي. وعلى الأقل كانت المركبة تحتوي على الماء والكهرباء.

وهذا الرجل.

تنهَّدتُ قليلًا.

***

بدأ الوباء ينتشر قبل حوالي أربع سنوات وثمانية أشهر، حسب تقديري. لا توجد طريقة لمعرفة المدة التي مرَّت وفقًا لتوقيت الأرض.

ولا توجد طريقة لتحديد مَن كان أوَّلَ شخص مصاب أو كيف.

كانت هناك تلك الأسرة من بلدة صغيرة في أيوا، أم وأب وثلاثة أبناء، حيث نجا الابن الأكبر وحده. هم أول الأشخاص المصابين رسميًّا بالوباء. ذهب الابن الأكبر المذكور إلى المدرسة كالمعتاد، وخلال وقت الغداء، حاول بكل بساطة أن يعضَّ ذراع الطالب الجالس جانبه؛ كان هذا عندما أصبح الوباء معروفًا للعامة. ادَّعى الابن الأكبر أن الطالب

الآخر عرض "ذراعه" عليه بوضعها "بوضوح" أمامه، حتى إنه اعتقد أنه "مدعوٌّ لأخذ قضمة".

"لهذا السبب أكلت أمي ذراع أختي، وكان من الجيد القيام بذلك بنفسي".

وهذا هو السبب أيضًا في اتصال المدير برقم شرطة الطوارئ. وجدوا جثث والدَيْ الابن الأكبر، وشقيقته الصغرى، وشقيقه الأصغر- حسنًا، أجزاء من كلٍّ منهم على نحو الدقة.

خلص تشريح الجثة إلى جانب شهادة الابن الأكبر إلى أن الأب ربما أصيب بالمرض أوَّلًا، ثم الزوجة، ثم أكل الزوجان ابنتهما، ثم كلٌّ منهما الآخر، وفي النهاية أصيب الابن الأكبر بالوباء وأكل شقيقه. ومع ذلك، لم يتبقَّ الكثير لإجراء تشريح عليه، ولهذا السبب لم يتمكَّنوا من تحديد التوقيتات الدقيقة للوفيات.

سواء كان الأمر يتعلق بعدم القدرة أو عدم الرغبة فذلك غير مؤكَّد، لكن المخابرات العسكرية وشرطة ولاية أيوا اكتفت بقول ذلك. ثم عزلوا الابن الأكبر المعنيَّ في منشأة.

ذكَرَت إحدى الصحف الشعبية أنه تحدث عن عائلته، وكان تعبير وجهه حزينًا، وأنه قد بكى. ولكن عندما سئل عمَّا إذا كان قد أكل عائلته أيضًا، أجاب: "بالطبع"، وكأن الأمر لم يكن شيئًا. وعندما سُئِلَ كيف طاوعته نفسه أن يفعل مثل هذا الشيء الفظيع إذا كان يحب عائلته، قال: "إن أكل ذراع أو ساق واحدة لن يقتلهم، أليس كذلك؟"، وكأنه يناقش حالة الطقس. إذن لماذا لم يعتقد أن أخاه سيموت عندما أكل قلبه؟ "حسنًا، لم يكن هذا قلبَه"، أجاب بغموض.

ماذا كان يعني بذلك؟

"كما تعلمون... [أدخل هنا العديد من العبارات التي لم تكن سوى حشوٍ مُراوِغ]".

لا، لم أعرف ماذا كان يعني بذلك. منذ ذلك الحين، ساد الصمت والتعتيم.

ولأن هذه كانت صحيفةً شعبية مشهورة باختلاق القصص؛ كان من الصعب أن نأخذها على محمل الجد. ولكن إذا كان أي جزء مما ذكرته صحيحًا، فإنني أقول إنها تبين جيدًا كيف يتصرَّف المصابون بالوباء. وبصرف النظر عن ميل المصابين إلى رؤية الآخرين على أنهم "طعامٌ"، فقد كانوا طبيعيين تمامًا. أو على الأقل، كانوا يتصرَّفون ويتحدَّثون على هذا النحو. ولم يكن رَدُّ فِعلهم غير طبيعي إلا عند ذِكر أكل لحوم البشر في المحادثة، وكان أبرز ما في ذلك إصرارهم الموحَّد على أن أكل البشر لا يقتل المأكول. وسواء كانوا يعرفون ذلك أم لا، لكنهم ينكرون بسبب شهيتهم التي لا يمكن جمحها، أو ما إذا كان ذلك أحد أعراض المرض العصبية، فقد كان هذا أمرًا سيتجادل عليه علماء الطب في جميع أنحاء العالم لاحقًا، لكنهم لن يتوصلوا إلى أي استنتاج. ويرجع ذلك في الغالب إلى أن الوباء انتشر بسرعة رهيبة بحيث لم يسنح الوقت لهم حتى يُجمِعوا على أي شيء.

كان المرض ينتشر بشتى الطرق الممكنة. فعندما يعضُّكَ شخص مصاب، فإن احتمالية الإصابة بالعدوى (بافتراض أنه لم يقتلك) تصل إلى 100%. أما مشاركة الطعام مع المصاب فتبلغ احتمالية الإصابة حينها 70% إلى 80%. أما الوجود في الغرفة نفسها رفقته فإن احتمالات الإصابة بالعدوى تكون أقلَّ، ولكنها لا تزال في حدود 50%. ولم تَرِد تقارير عن العطس أو السعال عندما يتعلَّق الأمر بالأعراض؛ مما يعني أن سوائل الجسم تبدو أقلَّ خطورة، ولكن لم تكن ثمة طريقة للتأكد.

الشيء المحيِّر حقًّا هو أنه كان من المستحيل اكتشاف المصاب بالوباء حتى اللحظة التي يحاول فيها أكل شخص ما. كما لم يكن المصابون يتعرفون على بعضهم بعضًا.

الأمر ليس وكأنهم يهاجمونك وهم يصرخون من فرط الجوع؛ فمثل الابن الأكبر في أول حالة عامة مُسجَّلة، كانوا يميلون إلى تناول قضمة من شخص جوارهم مباشرة. وكانت ثمَّة حالات يمتنعون فيها عن القيام بذلك، كما لو كانوا شبعانين أو يعتقدون أنهم في خطر. وكان المصابون يميلون إلى إنكار إصابتهم بالمرض وإنكار وجوده تمامًا. ولأنه لم تظهر أي علامات على الإصابة به ولم تكن هناك أي أعراض مرئية في البداية؛ لم تكن ثمة طريقة لتحديد مرحلة الخمود التي كان الڤيروس يكمن فيها متربِّصًا الفرصة للانقضاض على فريسته. وكانت هناك أيضًا احتمالات عالية للإصابة بالعدوى بين الأطباء الذين عالجوا المصابين والباحثين الطِّبِّيِّين وأفراد الشرطة الذين يحقِّقون في حالات أكل لحوم البشر والصحفيين الذين يغطون الحوادث على الأرض. كان من المستحيل الوثوق في أي شخص. الشيء الوحيد الذي يمكنك أن تثق به هو أن المرض موجود وأن أي شخص قريب منك جسديًّا يمكن أن يعضَّك في أي لحظة. وهكذا استشرى المرض الذي بدأ في بلدة صغيرة في ولاية أيوا بسرعة هائلة، ولكن بصمتٍ أيضًا، في جميع أنحاء البلاد.

كان الطلاب، والمعلِّمون والإداريون في مدرسة الابن الأكبر، وزملاء عمل الوالدين، وعامِلو مستشفى الطوارئ، والشرطة- الذين استجابوا لبلاغ أوَّل مَن أصيب بالعدوى. ولم يكن أولئك الذين فرُّوا من المدينة لتجنُّب المرض هم مَن أصيبوا به فحسب، بل ثبُت أنهم كانوا أداةً لتفشِّي المرض في أماكن أخرى. وبسبب خصوصيات النظام الفيدرالي الأميركي، حيث تُدار كل ولاية وكأنها دولة مستقلة تقريبًا؛ فقد استغرق الأمر وقتًا طويلًا من أجل ربط الحوادث في ولاية أيوا بتلك التي شهدتها الولايات الست المجاورة لها، بل واستغرق الأمر مدة

أطول حتى تتمكَّن الحكومة الفيدرالية أخيرًا من القيام بشيء حيال ذلك. وكانت مدينة شيكاغو القريبة من إلينوي ذات أهمية خاصة، لأنه بمجرَّد أن وقعت ضحيَّةً للمرض، حمَلَته الطائرات عبر أميركا وإلى بقية العالم.

وهكذا بدأت كل الحضارات تحاول أكل بعضها بعضًا. ولعل الأمر كان ليغدو أحسن لو كانت الجثث المعاد إحياؤها تسير في قطعان، وتصرخ وهي تنطلق للقتل، كما في أفلام الزومبي. ولكن بدلًا من ذلك، كان المصابون بمظهرهم الطبيعي يتجوَّلون في الأنحاء ويتحدَّثون بتهذيب ويبتسمون، ثم يسحقون فجأة جمجمة شخص قريب ويقطعونه إلى إربٍ صالحة للأكل، ويضعونه في أكياس ورقية بُنِّيَّة لتناوُلها لاحقًا على دكَّة في حديقة، ثم يشاهدون ضوء الشمس الساقط على العشب، ويقضمون بسلامٍ كبدًا بشريًّا. اتُّخِذت العديد من التدابير، على المستوى العائلي إلى الوطني، ولكن لأن الأشخاص المشاركين في تنفيذ مثل هذه التدابير كانوا غالبًا مصابين أو سيصابون قريبًا، فقد فشلت فشلًا ذريعًا.

من بين هذه التدابير، كان أحدها يتطلَّب تعاونًا دوليًّا، وهي مَهمَّة إرسال مجموعة من غير المصابين إلى الفضاء. لم يكن ثمة نقاش حقيقي حول ما سيحدث لهم بمجرد استقرارهم في الفضاء؛ العثور على حضارة في الفضاء وطلب المساعدة؟ كانت الفرص ضئيلة للغاية، وكأنك تصوِّر فيلمًا من أفلام الخيال العلمي. لا، كان من الأفضل بكثير الهروب. كانت الخطة ببساطة أن يهرب أكبر عدد ممكن من الأشخاص غير المصابين الآن ويختبئون لمدة من الوقت ثم يعودون عندما تهدأ الأوضاع على الأرض أو يُكتَشف حلٌّ آخر.

كان هذا المشروع، الذي أُطلِق عليه بصورة غير مناسبة إلى حدٍّ كبير اسم "سفينة نوح"، قد نُفِّذ في سرية تامة. ومع ذلك، حاول

الأشخاص أصحاب النفوذ الذين تمكَّنوا من المعرفة عن المشروع أن ينضمُّوا إليه، لكن حق الصعود إلى السفينة لم يُمنَح إلا لأولئك الذين اجتازوا العديد من الاختبارات للتأكد من عدم إصابتهم بالعدوى، ومن بين هؤلاء، وبصرف النظر عن قِلَّة قليلة من الأشخاص الذين تمكَّنوا من قيادة المركبات الفضائية والتنقل في الفضاء، لم يُقبَل سوى أولئك الذين يتمتعون بخبرة في الطب، أو البيولوچيا، أو الكيمياء، أو الصيدلة.

ورغم أنني عملت في وزارة الدفاع، فقد كنتُ في الحقيقة متخصِّصًا في اللغويات، وقد عيَّنوني لفَكِّ الشيفرات؛ وليس لديَّ أدنى فكرة عن كيفية وصولي إلى المركبة الفضائية.

كانت مَهمَّتي الرسمية، في حالة مصادفتنا كائنات فضائية أثناء وجودنا هناك، تتمثَّل في إيجاد وسيلة للتواصل مع الكائنات الفضائية، لكن هذا، بغَضِّ النظر عن الطريقة التي قد تنظر بها إلى الأمر، كان مجرد هراء اقترحه مسؤول قرأ الكثير جدًّا من الخيال العلمي.

في حين كنت أمسح الإشارات الواردة من الفضاء بانتظامٍ في حال تلقَّينا نداء استغاثة، كانت وظيفتي الأساسية هي البقاء على اتصال بحكومتي.

كانت أبراج المراقبة المختلفة على الأرض تنقل تقدُّم الوباء في بلدانها إلى المركبة الفضائية، مثل الزيادة أو النقصان في أعداد المصابين أو أحدث التدابير التي اتَّخذتها بلادهم. جمعت هذه المعلومات، إلى جانب نتائج الأبحاث المُنتَجة في مركبتنا الفضائية والتي أبلغتني بها القبطانة -التي كانت من بلدي- وأرسلتُها في شكل شيفرة إلى بلدي. قيل إن جهود العالم كله قد تضافَرَت لتخليص العالم من الوباء، ولكن من المؤكد أنه كان من الأفضل لبلدي أن تجد علاجًا قبل أي كيان آخر. وقد بُنيَت المركبة الفضائية في بلدي وأُطلِقَت منها؛ لذلك

كان من المفهوم بالطبع أن بلدي تريد الحصول على أي معلومات ذات صِلة. لكنني أؤكد أن هذا الجزء الإضافي من الخداع كان مغلَّفًا بسرية تامة، وكان عليَّ ألَّا أشارك أي شيء منها مع أي شخص على متن المركبة باستثناء القبطانة.

***

عندما كنت أشاهد غروب الشمس، وأنا أحتضن ركبتي فوق الخرسانة التي لا تزال تحتفظ ببعض من حرارة النهار على الرغم من البرودة المتزايدة، تساءلت ليس عن إمكانيات التواصل، ولكن عن استحالة نقل المعنى من فرد إلى آخر. لا يوجد شيء اسمه اتصال ثنائي الاتجاه. هذا ما تعلَّمته بعد أن أمضيت معظم ساعات يقظتي في ترميز وفكِّ تشفير الاتصالات. إن أنقى أشكال الاتصال هو إرسال معلومات من جانب واحد. أشياء مثل الأوامر أو التقارير. تتمُّ هذه الاتصالات بأبسط طريقة ممكنة لتجنُّب سوء الفهم.

استهوتني هذه البساطة. وجعلتني رؤية أجهزة الكمبيوتر وهي تستخدم خوارزمياتي لفكِّ شيفرة تبدو بلا معنى تمامًا لتخرج بمعلومات قيِّمة لا يمكن لأحدٍ سواي فهمها أشعر في أعماقي بالمعنى الكامل لكلمة "اتصال". كان ثمة أيضًا نوع من الرضا المشوب باللؤم في تحويل المعلومات التي قد تكون ذات قيمة للطرف الآخر إلى شيء يستعصي عليهم فهمه. كنت في تلك اللحظة في نقطة التقاء احتمالية التواصل واستحالته؛ لذا رحت أستكشف بعنايةٍ الإمكانيات الكامنة في كلا الجانبين. ولكنني في النهاية لم أَثِق مطلقًا في العملية بصورة كاملة.

كان معظم الأشخاص على متن المركبة الفضائية من الأطباء أو العلماء أو مهندسي رحلات الفضاء. وبعبارة أخرى، كنت حالة استثنائية جدًّا بينهم. وفي كل مرة حاولت فيها التحدث معهم، كنت

أتراجع بعد أن خلصتُ إلى أن العقل العلمي لا يفكر بطريقة مختلفة فحسب، بل كان من المحتمل أن يكون مُهَيكَلًا بصورة مغايرة منذ البداية. وحقيقة أنني كنت أيضًا في مَهمَّة سرية بالإضافة إلى وضعي الرسمي جعلتني أكثر عُزلةً على متن السفينة. وكان الركاب الآخرون، مثل المهندسين، يعملون في مناوبات في الغالب. وكان الجميع على متن السفينة يعرفون من الموجود في مناوبة، وكانوا يبلغون الحرس بكل تغيير، ويتبادلون التحية. وكان لدى الأطباء والعلماء أيضًا هدف مشترك يتمثل في إيجاد علاج للمرض، وكثيرًا ما كانوا يتبادلون النتائج فيما بينهم، وكان أولئك الذين يجدون أنهم يعملون بتوافُقٍ معًا يشكلون فَرْقًا جديدة. الشيء الوحيد الذي سُمح لي أن أقوله حتى في ظِلِّ أكثر الأسئلة إلحاحًا هو أنني "مسؤول عن الاتصالات"، ولم يُشاهدني أحدٌ إلَّا وأنا أدخل وأخرج بصمت من غرفة الاستعداد الخاصة بالقبطانة؛ لذلك بدا الأمر وكأنني كنت أتودَّد إليها، وأنني غير اجتماعي وغير متعاون ولا يمكن الوثوق بي. في النهاية أصبحت شخصًا يجب تجنُّبه على متن السفينة، لكن البشر يمكنهم التَّكيُّف مع أي تغيير تقريبًا، وفي كثير من النواحي جعل هذا عملي أيسرَ كثيرًا على أية حال. ومع ذلك، أنا إنسان ولديَّ مشاعر، ولا يمكنني القول إن التجاهل لم يجعلني أشعر بالسوء على الإطلاق.

الراكب الوحيد في الطاقم الذي لم ينبذني هو **هذا الرجل**. كان **هذا الرجل** ميكانيكيًّا متخصصًا في سفن الفضاء. مثل معظم الميكانيكيين، لم يكن جزءًا من الجيش، بل كان مُعيَّنًا لحساب القوات الجوية في بلاده. (حسنًا، كان معظم أفراد الطاقم والركاب على متن هذه السفينة من المدنيين، في واقع الأمر. كانت القبطانة جزءًا من وزارة دفاع بلدنا مثلي، لكن حقيقة عدم وجود أي عسكريين آخرين أو عسكريين سابقين تحت رُتبة مساعد أول كانت تزعجني دائمًا بصورة غريبة). لكن من الواضح أن المدنيين أنفسهم كانوا يقسمون أنفسهم

إلى رُتَبٍ وفقًا للأقدمية والخبرة، وكان **هذا الرجل** يبدو وكأنه قريب من قاع التسلسل الهرمي. وأيضًا، وعلى النقيض من الصورة التي تتبادر إلى ذهن المرء عادةً عند سماع عبارة "ميكانيكي فضاء"، كان **هذا الرجل** يملك روحًا حسَّاسة وهشَّة إلى حدٍّ ما، تتأذَّى بسهولة من التعاملات الجافة والعملية للميكانيكيين الآخرين. بعبارة أخرى، كان منبوذًا إلى حدٍّ ما. وهكذا أصبحنا صديقَيْن.

بصرف النظر عن حقيقة أنه كان -مثلي- يُطرَد باستمرار من القطيع الذي كان جزءًا منه، لم يكن لدينا الكثير من القواسم المشتركة حقًّا. كنتُ لغويًّا، وهو ميكانيكي. وكان اهتمامي ينصبُّ على محاولة التعبير عن المعلومات التي أعرفها وتكثيفها وتحويلها بأبسط طريقة فعَّالة من أجل نقلها وتداولها. وفي المقابل كان اهتمامه منصبًّا في المقام الأول على أي جزء من المركبة الفضائية كان مُعطَّلًا وكيفية إصلاحه. كان يميل إلى محاولة شرح ما كان يفعله دائمًا. وفي منتصف الجملة الثانية من تفسيراته، أتخلَّى عن محاولة الفهم. وبالمثل، حاولتُ أن أشرح له البُنى الأساسية للُّغة (أعني، لم أستطع أن أخبره بما كنت أفعله حقًّا هناك)، ولكن أفضل ما كان بوسعه أن يفعله هو تخيُّل أشياء مثل "الفاعل" و"الفعل" و"المفعول به" على أنها مكوِّنات آلة يجب تجميعها لإنشاء هذا الشيء المُسمَّى "اللغة". حاولت أن أشرح له أن إنشاء الجملة ليس بهذه البساطة، وأن أجزاء الكلام تُصرَّف بطريقة مختلفة وفقًا للُّغة المستخدمة في الحديث، ولكن تعبير وجهه أخبرني أنه من غير المجدي محاولة الشرح؛ لذلك تخلَّيتُ عن هذا في مرحلةٍ ما. ومع ذلك، وجد تفسيراتي الصغيرة السخيفة مدهشة للغاية واستمع إليها جميعًا دون أي انتقاد أو جدال. ولأنه بدا مهتمًّا بكل ما أقوله، فقد وجدت فيه بعض السلوى على الرغم من العزلة العامة وعدم الود اللذين اتَّسمَت بهما الحياة على متن المركبة الفضائية.

وربما كان **هذا الرجل** أيضًا متحمِّسًا بعض الشيء لأن شخصًا ما أبدى اهتمامه بفهم العمل الذي يقوم به.

كنا نجلس أنا وهو في "المناطق الميتة" من السفينة، بعيدًا عن أعين وآذان الآخرين (كانت موهبته الحقيقية الوحيدة هي قدرته التي لا مثيل لها على إيجاد مثل هذه المساحات المنعزلة)، ونتحدث بكلمات لن يفهمها الآخر، ولكنه يقبلها دون قيد أو شرط ودون تذمُّر. وإذا فكَّر المرء مليًّا في الأمر، فما الذي قد يكون في الصداقة غير ذلك؟

وبمجرد أن انتقل موضوع محادثتنا إلى ماضينا على الأرض، ولا سيَّما طفولتنا، أصبحت محادثاتنا أكثر ثراءً. وعندما أسترجع ذكرياتي، فقد كان الأمر مفاجئًا إلى حدٍّ ما؛ كان **هذا الرجل** في عمري تقريبًا، ولكنَّ بلدينا وطفولتنا وعائلتينا كانت مختلفة تمامًا. كان والدي ضابطًا عسكريًّا، ولكن ليس برتبة مرموقة، ولم تكن عائلتي قادرة على تحمل تكلفة إرسالي إلى الكلية؛ ولهذا السبب انتهى المطاف بي إلى الانضمام إلى الجيش وتسلُّق الرُّتَب إلى حيث أنا الآن. أما **هذا الرجل**، من ناحية أخرى، فكانت والدته محامية وكان والده مسؤولًا حكوميًّا رفيع المستوى -أي من طبقة النخبة- وكان يتعرَّض منذ سِنٍّ مبكِّرة لضغوط أُسرية تدفعه إلى الالتحاق بمهنة المحاماة أو دخول معترك السياسة، ولكنه نجح في صد هذه الضغوط ودخل كلية الهندسة معتمدًا على يديه الماهرتين وحسِّه الفضولي فحسب، وعندئذٍ تبرَّأ والداه منه عمليًّا. وحتى عندما أصبح رئيسًا لوكالة الفضاء الوطنية في بلاده، أي أنه تنافس مع أفضل الميكانيكيين في بلاده وتفوَّق عليهم، كان والده غاضبًا لأنه نجح بصفته "مجرد ميكانيكي" وليس في منصب "لائق" مثل مدير إداري. كلما سمعت المزيد عن حياته، قلَّت قدرتي على تخيُّلها. وربما كانت حياتي بالنسبة له غير مفهومة أيضًا.

وعلى الرغم من الطريقة التي نشأ بها، أو ربما بسببها، فقد كانت لديه نزعة رومانسية لم أستطع فهمها. وكان هذا هو الجزء الوحيد من محادثاتنا حيث كان ثمة خلاف. على سبيل المثال، لتلخيص فكرته عن وضعنا فيما يتعلق بالوباء، كان أمله يكمن في "مصادفة حضارة أجنبية أكثر تقدُّمًا من حضارتنا، والحصول على علاج أو وسيلة علاج منهم، وإنقاذ العالم". في حين كانت قاعدتنا غير المعلنة هي قبول أي شيء يقوله الآخر دون قيدٍ أو شرط، كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لم أستطع حقًّا أخذه على محمل الجد. ولكن بغَضِّ النظر عمَّا قلته لدحض اعتقاده، فقد تشبَّث ببساطة بموقفه. كنت أعرف، من اتصالاتي المنتظمة مع الأرض، كيف كنَّا نهيم بلا هدف في الفضاء وكيف أصبحنا يائسين؛ لذلك كان صديقي الوحيد على متن السفينة الذي كان غافلًا للغاية عن تلك المعلومة مصدرَ إحباط هائلًا لي. خوفًا من أن يؤدي هذا إلى جدال أو، ما هو أسوأ، أن أسرِّب معلومات سرية عن طريق الخطأ؛ اخترت دائمًا المسار الأأمن بالتخلي عن إقناعه.

لم أعرف في ذلك الوقت، لكنه وأنا لم نكن الوحيدين الذين يخوضون مناقشات جدية حول ما إذا كان ثمة علاج للمرض أو أمل للبشرية فعلًا. سرعان ما أصبح ركاب السفينة، الذين أظهروا رفقةً حسنةً تحت راية هدفنا المشترك المتمثل في إنقاذ العالم، مُرهَقين أكثر فأكثر؛ كان الأطباء والعلماء والقبطان والفنيون يشعرون بالضجر من الحياة على متن المركبة الفضائية.

ثم، أخيرًا، خيَّم شبح الوباء على سطح السفينة.

لا يوجد شيء اسمه مناقشة حقًّا. يمكننا أن نصفه بكلمات أفخم، مثل "التفاوض" أو "موازنة التَّوقُّعات"، وما إلى ذلك، ولكن في النهاية، يفوز جانب واحد فحسب، ويجب على الجانب الآخر الخضوع. حتى عندما يتفق الجانبان على التسوية، هناك دائمًا جانب يقدِّم

تنازلات أكثر من الآخر؛ ممَّا يجعل المرء يعتقد أن "التسوية" ليست شيئًا موجودًا حقًّا أيضًا. كل المناقشات وكل المفاوضات هي حروب، والنتيجة دائمًا أن ينتهي الأمر بطرف واحد إلى أن يكون الجانب المخيف والعنيف. وهذا صحيح على وجه الخصوص عندما يصرُّ الجانب الآخر بعنادٍ على وجهة نظر لا يمكن المساومة عليها. وإذا طلب الجانب الآخر ذراعًا أو ساقًا، أو أي جزء آخر من جسمك لا يمكن تعويضه، فإن الشيء الوحيد المعقول هو الرفض.

أول شخص أصيب على متن السفينة، هو ربَّان قيادة السفينة الأول، وكان ذلك في ساعة متأخرة من مناوبة ليلية. طلب بهدوء من الجميع، باستثناء الربان الثاني، مُغادَرةَ جسر القيادة. رأى الطاقم الآخر داخل الجسر الطلب غريبًا، ولكن ليس خارجًا عن المألوف، فامتثلوا إلى الأمر؛ لأن موقفه ونبرته بَدَيا طبيعيَّين جدًّا. ثم أغلق الربان الأول كوة الجسر من الداخل، واقترب من الربان الثاني، وضربه بمفتاح إنجليزي (مفتاح ربط) الذي كان يحمله في يده، وغرس أسنانه في لحمه، بدءًا من الرقبة.

سواء كان ذلك عن قصد أو عن طريق الخطأ، لم تكن جميع أجهزة الاتصال في جسر القيادة تعمل، ولكن لا يزال ثمَّة بثٌّ فيديو ينقل ما كان يجري فوق الجسر في فيديو صامت وعالي الجودة. صرخ معظم الناس عند رؤيته أو أغمضوا أعينهم أو تقيَّؤوا، لكن بعض الأشخاص الذين كانوا يراقبون الشاشات حدَّقوا في الربان الأول لمدة من الوقت ثم التقطوا بعض الأشياء الثقيلة من محيطهم واندفعوا نحو أقرب شخصٍ إليهم.

وبينما كان معظم أفراد طاقم السفينة مُشتَّتين وهم يتجمهرون أمام جسر القيادة، محاولين يائسين فتح غرفة معادلة الضغط، تمكَّن

آكلو لحوم البشر الآخرون من التحرك في أرجاء المركبة دون عوائق كبيرة وزيادة عدد القتلى ببط وهدوء.

وعندما أدركت قبطانة السفينة، بعد فوات الأوان، أن ثمَّة باحثين وأفرادًا آخرين في طاقم السفينة مصابون، أرسَلَت فريقًا للقضاء عليهم، وقد نجحوا في ذلك باستثناء اثنين من المصابين الذين تمكَّنوا من الفرار والاختباء في دهاليز السفينة. كان أحد الهاربين هو مساعد القبطانة. استغرق الأمر ما يقرب من ثمان وستين ساعة حتى يلتهم الربان الأول الربان الآخر حتى هيكله العظمي. ثم بعد سبع ساعات، فتح كومة الجسر وخرج، وسأل بعفوية عمَّا إذا كان بإمكانه تناول رشفة من الماء. أمسك به أفراد الطاقم الذين يرتدون بدلات فضاء هوائية وحبسوه داخل الجسر.

من المهم جدًّا ذِكر الوقت الذي انقضى منذ بداية هذا الموقف؛ لأن ربان القيادة الأول كان قد غيَّر مسار المركبة منذ اللحظة التي قتل فيها ربان القيادة الثاني. لذا، فإن الشيء في هذه المركبة الفضائية هو أنها -لكونها مُخصَّصة للهروب فحسب- لم تكن مُصمَّمة للانتقال من نقطة ثابتة إلى أخرى في غضون مدة زمنية مُعيَّنة. وكانت أولويتنا القصوى تتعلَّق بالحفاظ على الاتصالات مع الأرض، وأيضًا أن نكون قادرين على العودة في حالة اختفاء الوباء فجأة أو العثور على علاج، وعلى هذا النحو لم نكن بعيدين جدًّا عن كوكبنا الأم. أعتقد أن هدفنا النهائي كان العودة إلى الأرض. وكان تغيير مسار المركبة موجودًا كخيار إضافي، يمكن اللجوء إليه فحسب في ظروف قصوى؛ كان تنشيط ذلك مقتصرًا على مَن حصلوا على الإذن للقيام بذلك، ولكن لأننا لم نتوقَّع أبدًا استخدامه، كان ثمة أربعة أشخاص فحسب لديهم هذا الإذن: القبطانة، ومساعد القبطانة، والربان الأول، والربان الثاني. كنا بحاجة إلى أمر القبطانة، وشخصين من بين الأربعة؛ لكتابة الشيفرة الخاصة، وتشغيل مفتاحين في المكانين المحدَّدين في وقت واحد، وبعد ذلك

كانت ثمة حاجة إلى بصمة اليد. إهمال خطوة واحدة فحسب من الخطوات الثلاث يمكن أن يعطِّل التنشيط أو يفشل في إيقاف مُحرِّك نَشِط. كان الربان الثاني عبارة عن هيكل عظمي بدون بصمة يدٍ متاحة في تلك المرحلة، وكان المساعد الأول مصابًا وغائبًا دون علم بموقعه؛ ممَّا يعني أن الشخصين الوحيدين الذين يمكنهم إيقاف المحرك وإعادة السفينة إلى مسارها الصحيح هما القبطانة والربان الأول. لكن الربان الأول طلب الماء فحسب، ورفض التعاون مع أي طلب آخر. عندما أمرت القبطانة طاقمها بإجبار الربان الأول على الصعود من الجسر، امتنعوا، مشيرين إلى خطر العدوى، ودار جدال قصير. وعندما توجَّه الطاقم أخيرًا إلى الجسر لإحضار الربان الأول، كان قد أكل يده اليسرى من الرسغ إلى الأسفل، وكان في خِضمِّ أكل يده اليمنى. وبينما يلعق الدماء التي تسيل من معصمه الأيسر وكأنها مخروط آيس كريم شهي، ابتسم ابتسامة مخضَّبة بالدماء للطاقم الذي جاء لإحضاره.

نقلوا الرجل على الفور إلى المستوصف، وربطوه إلى سرير، لكنه سرعان ما توفي بسبب النزيف الحاد. بتروا يده اليمنى وجرَّبوها على الماسح الضوئي، ولكن لأن نصفها قد اختفى، كل ما حصلوا عليه هو كلمة "خطأ". بينما كان هذا يحدث، واصلت المركبة الفضائية انطلاقتها بأقصى سرعة في مسارٍ يمتدُّ في الفضاء اللا نهائي، نحو إحداثيات لا أحد يعرفها.

باختصار، مات اثنان من الأشخاص الأربعة الذين يمكنهم استخدام الطريقة التقليدية لتصحيح مسارنا، واختفى واحد، وربما كان من الممكن أن يساعد أولئك الذين ماتوا لو لم تؤكل أيديهم. تضمَّنَت الطريقة غير التقليدية لتعطيل المحرك الالتوائي[1] إيقافَ جميع

(1) ظهرت فكرة المحرِّك الالتوائي التي يقوم على نظرية مفادها أنه بدلاً من قطع السفينة

الأنظمة الأخرى في المركبة الفضائية. بالطبع، إيقاف سفينة تسير بسرعة تفوق سرعة الضوء من شأنه أن يُلحِق دمارًا هائلًا بسلامة هيكل السفينة- حتى الجاهل بالفضاء مثلي كان ليتوقَّع ذلك، وهو ما يعني أن ثمة نقاشًا صاخبًا يدور بين الركاب حول كيفية المضيِّ قُدُمًا. ولكن لم يكن ثمة بديل آخر.

بعد اقتراح عدد قليل من البدائل الغريبة الأخرى، ركَّزَت المناقشة على محاولة إغلاق الأنظمة بالكامل، وانقسم الركاب وطاقم السفينة إلى حزبين، كلٌّ منهما يؤيد خيارًا بعينه.

لم أكن جزءًا من أيٍّ من الحزبين. لأنني علمت بالفعل أنه لا جدوى من المناقشة. منذ اللحظة التي بدأت فيها الأحداث على الجسر، كنت أبلغ الأرض بموقفنا، وفقًا لأوامر القبطانة. وليس لأنني كنتُ أتوقَّع من أي شخص على الأرض أن يقدِّم لنا بديلًا مناسبًا. ولكن بمجرد أن نقلتُ الطبيعة الدقيقة لما كان يحدث في السفينة الفضائية، توقَّفَت أبراج المراقبة على الأرض عن الاتصال بنا. حاوَلتُ كلَّ ثلاث دقائق إعادة إنشاء الروابط، ولكن دون جدوى.

خمَّنتُ جيدًا ما يعنيه هذا بالفعل. عندما تعطَّلَت المركبة الفضائية المصمَّمة للهروب من الوباء، قرَّرَت الأرضُ التَّخلِّي عنَّا. وبعد

للمسار عبر الفضاء فإنه يمكن أن تلوي الفضاء لتجعله أقصر. ظهرت المحركات الالتوائية في الخيال على نحو متقطِّع لعدة عقود في العديد من أفلام الفضاء، لكن ميجيل ألكوبيير، الحائز على درجة الدكتوراه، وهو عالم فيزياء نظرية مكسيكي ومن عشاق أفلام ستار تريك، أعطى الفكرة أُسسًا واقعية عندما أصدر بحثًا في عام 1994 يتكهَّن فيه بأن المحرِّك الالتوائي ممكن رياضيًّا. حيث اقترح ميجيل ألكوبيير طريقة لتغيير هندسة الفضاء عن طريق إنشاء موجة من شأنها أن تتسبَّب في انكماش نسيج الفضاء أمام المركبة الفضائية وإطالة الفضاء خلفها. ستركب السفينة بعد ذلك هذه الموجة داخل منطقة من الفضاء المسطح، تُعرف باسم فقاعة الالتواء، ولن تتحرك سفينة الفضاء داخل هذه الفقاعة، ولكن بدلًا من ذلك ستُحمل عليها بينما تتحرك المنطقة أو الفقاعة نفسها عبر طاقة محرِّك السفينة فيما يُعرَف بالمحرك الالتوائي أو السفر الالتوائي لأنه يلوي الفضاء (المترجم).

أن استمعت القبطانة إلى تقريري، جلست في مكانها صامتة. انتظرت مدة طويلة حتى تتكلم قبل أن أسألها: "ماذا عليَّ أن أفعل، يا قبطانة؟".

"... أعتقد أن هذا للأفضل".

"عفوًا يا سيدتي؟".

نظرت إليَّ مباشرة في عيني. "سينجح الأمر". رفعت يديها وفرَكَت فمها. "استَمِرَّ في محاولة الاتصال حتى يجيبوا".

ثم غادَرَت إلى غرفة المؤتمرات، لإجراء اجتماع أخرى حول آلية التوقف الطارئ.

بينما اجتمعت القبطانة وأفراد الطاقم لمواصلة مناقشتهم، كان الأطباء والعلماء، الذين استُبعِدوا من عملية اتخاذ القرار الرسمية، يخوضون مشاورات ساخنة حول ما يجب القيام به. أمَّا الفيزيائيون، الذين كانت خبرتهم غير مرتبطة بالمرض إلى الحدِّ الذي جعلهم يشعرون بالنبذ حتى الآن، فقد استغلُّوا الأزمة كفرصة لسماع أصواتهم قدر الإمكان. وبينما كانوا ينخرطون في نقاشٍ لا ينتهي، جلس العلماء الآخرون مثل الأطباء وعلماء الأحياء وعلماء الأمراض ومهندسي الچينات والكيميائيين وعلماء الأدوية معهم، يقتلون الوقت. ثم، إذ فجأةً، غرس أخصائي في الطب الباطني أسنانه في أذن مهندس الچينات الجالس جانبه. وبصرخة من مهندس الچينات، انحدرت قاعة الاجتماع إلى حالةٍ من الفوضى. حاول الأشخاص الموجودون بالداخل الهروب، لكن موظفي الأمن كانوا يراقبونهم عبر كاميرات المراقبة، وعند التأكد من وجود تفشٍّ للمرض بين الطاقم البحثي، أغلقوا على الفور جميع المخارج. (منذ الحادث مع الربان الأول، دخلت بروتوكولات طوارئ جديدة موضِعَ التنفيذ). طرق كلُّ مَن حضر الاجتماع على الأبواب

مـن الداخـل وصرخ، بينـما اسـتمرَّ أخصـائي الطـب الباطنـي في تمزيـق مهنـدس الچينـات بأسـنانه.

ركـض عـالِم أحيـاء كان يطـرق عـلى المخـرج نحـو أخصـائي الطـب الباطنـي وضربـه في وجهـه. سـقط الطبيـب عـلى ظهـره بينـما أمطره عـالِم الأحيـاء باللكـمات بينـما لَـفَّ مهنـدس الچينـات، الـذي نجـا بالـكاد مـن مصـيره الأليـم، وجهـه الممـزَّق بيديـه وتـأوَّه. هـرع الأطبـاء والعلـماء إلى البـاب عنـد أول إشـارة للخطـر، لكنهـم تراجعـوا الآن وقدَّمـوا المسـاعدة إلى مهنـدس الچينـات، أو ركضـوا نحـو عالِـم الأحيـاء وأخصـائي الطـب الباطنـي لوقـف قتالهـما. ضرب أحـدُ علـماء الأمـراض عالِـمَ الأحيـاء بكـرسي، فسـقط عـلى الأرض، وركلـه عالِـمُ الأمـراض. وهنـا انقـضَّ أخصـائي الطـب الباطنـي عـلى عالِـم الأمـراض. وسرعـان مـا انقسـم النـاس في قاعـة الاجتـماع إلى ثـلاث جماعـات: واحـدة نـاصَرَت مهنـدس الچينـات، الـذي توقَّـف عـن الـصراخ ودخـل في حالـة مـن الصدمـة، بينـما تشـبَّثَت الثانيـة بالأبـواب، ولكنهـا تخلَّـت أيضًـا عـن الـصراخ والطـرق، واختـارت الدخـول في حالـة مـن الجمـود. وتضـمُّ الجماعـة الثالثـة أخصـائي الطـب الباطنـي وعالِـم الأحيـاء وأخصـائي الأمـراض والأشـخاص الذيـن حاولـوا منعهـم من الشـجار، وأولئـك الذيـن هاجمـوا أخصـائي الطـب الباطنـي، وهـي جماعـة نَشِـطة للغايـة.

والسـبب في توقُّـف حالـة الهـرج والمـرج أخـيرًا هـو أن أحـد الأطبـاء الذيـن كانـوا يعتنـون بالمهنـدس الـوراثي المصـاب عـضَّ عنقـه فجـأة. اندفعـت نافـورة مـن الـدم مـن شريانـه السـباتي، فتناثـر الـدم مـن حولـه؛ مـمَّا جعلهـم يتراجعـون إلى الـوراء. كـما توقـف المتقاتلـون عـن الاشـتباك بالأيـدي. حـدث هـذا عندمـا قفـز أخصـائي الطـب الباطنـي، الـذي كان قـد تعـرَّض لـضرب مـبرح بحلـول ذلـك الوقـت، وهـرول ناحيـة المهنـدس الـوراثي وغـرز أسـنانه في لحمـه. ارتجـف المهنـدس الـوراثي عندمـا عضَّـه

أخصائي الطب الباطني من جنبه. انقضَّ عالم الأحياء على أخصائي الطب الباطني وأخذ قضمةً مُباغِتةً من مؤخرة عنقه.

الآن، من المستحيل تحديد مَن أصيب ومَن لم يُصَب. ولم يَعُد من الواضح مَن كان لا يزال في كامل قواه العقلية ومَن فقدها؛ فمجرد إصابة أحدهم بالمرض لا يعني أنه سيُظهر عليه علامات واضحة على الإصابة بالذُّهان. بل إن غير المصابين كانوا أكثر عُرضةً للإصابة بالذُّهان بسبب صدمة ما كان يحدث. لكن أمن السفينة لم يكن مهتمًّا بهذه التفاصيل الصغيرة، واختار إبقاء الكوَّات مُغلَقةً.

من الأطباء والعلماء على متن السفينة، توفي حوالي ثلثيهم في هذه الحادثة. وكان هذا حوالي نصف عدد الركاب وأفراد الطاقم مجتمعين. استغرق الأمر 124 ساعة أخرى للتأكد من أن كل مَن داخل تلك الغرفة قد مات. وخلال تلك الأيام الخمسة، فَقَد كلٌّ من الأشخاص الذين كانوا يهاجمون بعضهم بعضًا والأشخاص الذين كانوا يراقبونهم على الشاشات عقولَهم ببطء. لم يَعُد للأمل في البقاء على قيد الحياة أي معنى على الإطلاق.

أُغلِقَت غرفة الاجتماعات على نحوٍ دائم. ألقيتُ نظرة على شاشة المراقبة الأمنية من وقتٍ لآخر فيما واصَلتُ تلخيص ونقل حيثيات الموقف إلى أبراج المراقبة وسلطات حكومة بلدي على الأرض، مُحدِّقًا في شاشة الاتصالات، منتظرًا ردًّا لم يأتِ قَطُّ. ثم بعد ذلك كنت أنزلق إلى قاع هيكل المركبة.

أطلق عليه **هذا الرجل** "بطن" السفينة، وكأن المركبة الفضائية لم تكن آلة، بل حوتًا ضخمًا. في أعماق بطن السفينة بينما كنا نتكئ على أعشاش من الأنابيب والأسلاك، أخبرني **هذا الرجل** قصَّةً عن رجل سمح لنفسه بأن يبتلعه حوت، بإرادة الله، ونجا.

"إرادة الله؟ هل تؤمن بهذا النوع من الأشياء؟" سألتُه بذهول. ومع ذلك، كان **هذا الرجل** جادًّا كما هي الحال دائمًا.

"أنا لا أتحدث عن إلهٍ واحد حقيقي يشبه البشر وله شخصية بشرية. لو تمكَّنَّا من فهم الإله جيدًا، فلن يكون إلهًا في المقام الأول. لكنني أعتقد أن ثمة شيئًا أعظم ممَّا يمكننا إدراكه بحواسنا الخمس أو فهمه بعقولنا البشرية القاصرة".

نظر بخجل في عيني. "لن تخبرني أنك لا تؤمن بذلك أيضًا، أليس كذلك؟ ليس بعد السفر إلى الفضاء ومواجهة هذا الاتساع الشاسع ليل نهار؟ كيف لا تؤمن بوجود كائن أعلى بعد كل هذا؟".

كانت أفكاري بشأن هذا الموضوع مغايِرةً تمامًا عن أفكاره. لذا، كان أفضل ما يمكنني فعله هو أن أبدو مرتبكًا، وأرفع كتفي، وأطبق فمي.

ران صمت مُحرِج.

عندما كنت قَلِقًا بشأن إهانته، قال: "كيف هو الوضع على الأرض؟".

"ليس جيدًا". هذا كل ما قلته.

فكَّر للحظة وسأل مرة أخرى: "ألا يمكنك أن تكون أكثر تحديدًا؟".

"أنا لا أريد التحدث عن ذلك". أدرتُ رأسي بعيدًا عنه.

"لا يوجد أمل... لا أمل على الإطلاق؟". بدا وكأنه يفكر أكثر قليلًا. ثم قال فجأة: "أنت تعلم، لا أعتقد أن الأمل شيء موجود أو غير موجود".

والآن ما الذي كان يتحدث عنه؟! عندما لم أرُدَّ عليه، همس: "ذكر كاتبٌ صينيٌّ ذات مرة ذلك في قصة". ثم بعد هنيهة صمت، "كانت قصَّةً عن العودة إلى الوطن".

"هل تقرأ الأدب الصيني؟".

أجاب بفخر: "بالطبع، أدرس كثيراً".

بالنسبة إليَّ، تعني "الدراسة" مُطالَعة أوراق بحثية أو كتابتها. قراءة القصص ليست دراسة. ولكن وفقًا لقاعدتنا غير المعلنة، أومأت برأسي ببساطة.

استرسل: "الأمل.. وُجِد ببساطة لأننا نفكر فيه. الفضاء شاسع، ولكن على الرغم من ذلك، ثمة قوانين تحكم كل نجم وكوكب وقمر. لا بُدَّ من سببٍ لوصولنا إلى هذا الحد، غاية ما. كل ما نحتاج إلى القيام به الآن هو تحقيق هذه الغاية".

جعلني الاستماع إلى هذا الرجل أفكِّر في نُكتةٍ أطلَقها أحد الأطباء عندما انطلَقَت سفينتنا من الأرض: كل ما نحتاج إلى القيام به الآن هو إيجاد علاج للمرض. يا له من فراغ حزين لا معنى له!.

"في يوم من الأيام، أعلم على وجه اليقين أننا سنعود إلى الوطن. سنرجع إلى الأرض وننقذ البشرية، ونعيد الأمل. لأن الأمل شيء لا يتطلَّب سوى التفكير فيه". ثم وجَّه لي لكمةً مَرِحةً في ذراعي.

من الواضح أنه لم "يدرس" بما فيه الكفاية. لم أزعج نفسي بشرح له أن قصة الكاتب الصيني المعنية تتضمَّن شخصية رئيسية تعود إلى الوطن حيث لا تختبر سوى المأساة واليأس.

ثم ظهَرَت القبطانة.

خرجت من الظلال وكأنها استُحضِرت من العدم. نهضت أنا **وهذا الرجل** بسرعة، وارتطم رأسه بأنبوب علوي في أثناء هذه العملية. وبينما أطلق صرخة وفَرَك رأسه، مدَّت القبطانة يدها نحوه بعفوية. "هل أنتَ بخير؟ هل فاجأتك؟".

"لا... لا، سيدتي".

أمسكت القبطانة برأسه من صدغيه وأمالت رأسه. غير متأكِّد من كيفية الرَّدِّ، ساير **هذا الرجل** حركة يدَيْ القبطانة ببساطة.

"دعنا نرى... أعتقد حقًّا أنه يجب عليك التوجه إلى المستوصف".

"أوه لا، أنا بخير، يا سيدتي".

ابتسمت القبطانة بخبثٍ إلى حدٍّ ما في وجه **هذا الرجل** المضطرب. "هل أنتَ قَلِقٌ بشأن القبض عليك وأنت تتسكَّع أثناء ساعات العمل؟".

قاطعتُها على عجل، "نحن لسنا في ساعات العمل، يا سيدتي. انتهت مناوبتنا".

حرَّرَت القبطانة رأس **هذا الرجل**. "نحن في حالة طوارئ مستمرة؛ لذا من غير المسموح الوجود في مكان ما دون إخطار، حتى لو كنتما خارج مناوبتكما. هل تلقَّيتما إذنًا من رؤسائكما للنزول إلى هنا والتَّسكُّع هكذا؟".

لم أكن أعرف شيئًا عن **هذا الرجل**، لكنها كانت مُحِقَّة بشأني. كان رئيسي هو القبطانة نفسها، ولم أطلب إذنها قطُّ للاختباء في بطن المركبة الفضائية. "أنا آسف، يا قبطانة".

"لا تهتم بهذا. لا تَدَعَا أحدًا يُمسك بكما هنا في المرة القادمة".

وبالسرعة ذاتها التي ظهرت بها، اختفت في الظلام.

بدا ما حدث غير واقعي لدرجة أن **هذا الرجل** وأنا وقفنا متجاورين في صمت. حتى همستُ، "كيف عرفت القبطانة أننا هنا؟".

لم يجب **هذا الرجل**. كان يضع إحدى يديه على صدغه وينظر إلى أسفل. "ما الخطب؟ هل يؤلمك كثيرًا؟".

لم يُجِب. ثم بدأ يبتعد وهو ما زال يمسك برأسه.

سألته في حيرة: "إلى أين أنت ذاهب؟ ما الخطب؟ ماذا حدث؟".

لم يُجِب، ووسَّع خطواته ببساطة، وتحسَّس طريقه بيده الحرة على طول الأنابيب الممتدَّة بطول الجدران بينما أتبعه. ثم توقَّف. دون أن يخفض يده، انتزع كشاف الضوء من حزامه وألقى بشعاع نوره أمامه.

"ما الذي يحدث؟ ماذا؟".

تمكَّنت أخيرًا من اللحاق به، وأمسكت بكتفه، وأدرته. سلَّط ضوء كشَّافه في عيني، لكن وجهه هو الذي جعلني أرجف.

قلت: "دم! هل ضربت رأسك بقوة؟ هيا، دعنا نذهب إلى المستوصف...".

"إنه ليس دمي".

كان تعبيره جامدًا تقريبًا وهو ينظر في عيني، وكان صوته على وشك الانهيار. "ماذا؟".

"إنه ليس دمي". ثم استدار وأضاء بقعة أمامنا. هناك، مضاءً بكشافه الباهر، كان جسد مساعد القبطانة، خدُّه مُمزَّق، وقطعٌ من اللحم مفقودة في الجذع والمعدة.

مَن أصيب بالعدوى أوَّلًا، القبطانة أم مساعد القبطانة؟ أم أن مساعد القبطان لم يُصَب بالعدوى في المقام الأول، وكانت القبطانة هي المصابة طوال الوقت؟ ظللتُ أقلب هذه الأفكار عديمة الفائدة في رأسي وأنا أنظر إلى الجثة التي كانت ذات يومٍ مساعد القبطانة.

هذا الرجل، بينما كان يسلِّط ضوءه على المشهد، لم يجرؤ على الاقتراب من الجثة أيضًا.

"لم أرَ جثَّةً من قبل...".

لم أعرف ماذا أقول ردًّا على هذا. بدلًا من ذلك، قلت: "اليد اليمنى مفقودة".

"ماذا؟".

"الجثَّة... يدها اليمنى مفقودة".

أعتقد أنه في لحظات الخطر، تبدأ تشابُكات الأعصاب في أدمغتنا أيضًا في إطلاق إشارات عصبية بسرعة فائقة. ليس ثمَّة طريقة للتَّحقُّق ممَّا إذا كانت الأفكار المتوالدة بسرعة فائقة صحيحة أو مفيدة. لم تؤكل اليد اليمنى لمساعد القبطان؛ لقد قُطِعت من عند الرسغ. تذكَّرتُ فجأة ردَّ فعل القبطانة عندما أبلغتها بقطع اتصالاتنا مع الأرض؛ قالت: "أعتقد أن هذا للأفضل"، ورفعت يدها لتغطية ما أدركت أخيرًا أنه كان ابتسامة.

إذا كان لدى القبطانة يد مساعدها، سواء كانت اليد اليمنى أو اليسرى، يمكن للقبطانة تنشيط وتعطيل المحرك الالتوائي حسب الرغبة. يمكنها أن تأخذ السفينة إلى أيِّ مكان في الفضاء. وما دامت السفينة تحتوي على ناجين، فسيكون لديها الكثير من الطعام على متنها. لم تهتم أبدًا بما يحدث على الأرض منذ البداية.

قلت: "يجب أن نهبط بالسفينة".

"ماذا؟".

"يجب أن نوقف المحرك الالتوائي! لا يهم أين سنهبط، ما دمنا سنهبط! علينا أن ننزل من هذه السفينة!".

"ما الذي تتحدث عنه؟ لماذا نحتاج إلى الهبوط من السفينة؟ نحتاج إلى العودة إلى...".

"لا يمكننا العودة إلى الأرض!" قلتُ مقاطعًا. "إذا بقينا على متن هذه السفينة، سنموت جميعًا. يجب أن نخرج من هنا بأي وسيلة ممكنة".

"هل أنت مجنون!".

كان على وشك أن يقول المزيد لكنني صرخت عليه. "لقد رأيت ذلك أيضًا! القبطانة مصابة بالوباء. نحن مجرد طعام لها. هل تعتقد أنها ستسمح لنا بعلاج المرض؟ هل تعتقد أنها ستسمح لنا حقًا بالعودة جميعًا إلى الأرض!".

لم يقُل **هذا الرجل** أي شيء. استطردتُ: "انظر، هل تعرف كيف توقِف المحرك الالتوائي؟ هل تعرف كيف تهبط بهذا الشيء؟".

هزَّ رأسه.

"لا يمكنني القيام بذلك بمفردي".

حاولتُ التَّحدُّث بهدوء، لكن صوتي ارتفع عن غير قصدٍ إلى صراخ. "إذن نحتاج إلى جمع المزيد من الناس! كل الناس الذين لم يصابوا بعدُ...".

"كيف سنميِّز مَن هو المصاب ومَن هو غير المصاب؟" كان صوته هادئًا في الواقع، وكأنه يتحدث إلى طفل مختلٍّ عقليًا. "لقد رأيت القبطانة. هل كان لديك أدنى فكرة أنها مصابة حتى رأيت الدم على وجهي؟".

لم يكن لديَّ ما أقوله.

قال بهدوء، ولكن بحزم: "ثمة قارب نجاة. سنخرج من هنا".

لم أفكر حتى في قوارب النجاة. مَن كان يعلم أن مثل هذه الأشياء موجودة على متن السفن الفضائية؟ هذه السفينة، بعد كل شيء،

كانت في حدِّ ذاتها قاربَ نجاة من الأرض. هل تحتاج قوارب النجاة إلى قوارب نجاة؟ في كل الأحوال، كل خطَّة تأتي مع ثغرة.

قال بسرعة: "هناك قارب واحد فحسب. ولا يمكننا الوصول إليه الآن".

"لماذا؟ أعني، لماذا لا؟" كان حديثي يتسارع أيضًا. "نحن في مسارٍ مُلتَوٍ. لن نستطيع فتح كوة الخروج".

شعرت بجسدي يتراخى. صمت بدوره للحظة. ثم نظر إليَّ وقال: "دعنا نجرِّب التوقف الطارئ".

"كيف؟".

"لا أعرف بالضبط. لكنني سمعت أن القبطانة ومساعدهما لديهما على الأقل القدرة على تصحيح المسار في حالة الطوارئ. سأحاول معرفة المزيد".

أبصر ملامحي وربَّت على كتفي بودٍّ. "لنرجع الآن. لقد مكثنا هنا مدة طويلة. سأتواصل معك بمجرد أن أجد شيئًا ما".

عندما استدار للمغادرة، بدأ عقلي يعمل بصعوبة مرة أخرى. "كيف ستتجاوز تصريح مساعد القبطان؟".

"لا أعرف"، قال وهو ينظر إليَّ. "أعتقد أن شيئًا ما سيطرأ بمجرد أن أركِّز تفكيري فيه".

ابتسم **هذا الرجل**. ثم استدار، ومثل القبطانة من قبله، اختفى في الظلام.

في طريقي إلى الطوابق العليا، فكَّرتُ في قرارة نفسي أنه ربما كان من الأسرع أن أبحث في مشكلة التصريح بنفسي. لا يعني ذلك أنه سيكون من الأسهل عليَّ بالضرورة العثور على ما نحتاج إلى معرفته. لكن كان صحيحًا أنني كنت أغلب الوقت في غرفة الاستعداد الخاصة بالقبطانة ولن أثير الشكوك إذا حدث وأمسك بي أحدهم وأنا بداخلها.

الآن بعد أن عرفت بمرض القبطانة، ساوَرَني القلق بشأن دخول غرفة الاستعداد الخاصة بها، ولكن نظرًا لأن الرغبة في التهام أي شخص لم تستولِ عليَّ بعدُ، فقد اعتقدت أنه من المعقول أن أفترض أنني لست مصابًا بالعدوى. ولكن، حتى لو تمكَّنتُ من التَّسلُّل إلى غرفة الاستعداد، فعن ماذا سأبحث بالضبط في الداخل؟ كنت أعرف رقمها التسلسلي، لكن كان لا بُدَّ أن يتطلب الأمر المزيد. ماذا أحتاج أن أجد أكثر من الرقم التسلسلي؟

اتَّصلتُ بـ"**هذا الرجل**".

"لا أعرف أيضًا. كل ما أعرفه هو أنه لا يمكن القيام بذلك إلا من الجسر".

"الجسر؟" كان ذلك أخطر من غرفة الاستعداد. كانت، إلى جانب غرفة الاجتماعات، آخر مكان أريد زيارته على هذه السفينة. "لا توجد حقًّا وسيلة للقيام بذلك من أي مكان آخر؟".

"فقط الجسر. بقدر ما أعلم".

أغلقت الهاتف وترجَّلتُ من المصعد. كنت أسير ببطء بمحاذاة الممر الطويل إلى حجرتي، وقد استغرقت في التفكير. دخلت حجرتي. جلست أمام الكمبيوتر. حدَّقتُ في الشاشة. الخلاص لا يأتي لأولئك الذين يكتفون بالانتظار. نهضت. ذهبت للحصول على بذلة فضاء. داخل بذلة الفضاء المحكمة الغلق، لم أمشِ كثيرًا، بل قفزتُ بخِفَّةٍ على طول الممر المظلم إلى الجسر، وكنتُ متوتِّرًا لدرجة أنني كنت أبتلع الهواء الجاف. كان الجسر وغرفة اجتماعات العلماء في الطابق العلوي من السفينة، والتي كانت مغلقة بالكامل الآن. لم يكن ثمة كهرباء، ولا ما يدعم الحياة، ولا حتى جاذبية اصطناعية هناك. جعل الظلام الدامس الممرَّاتِ تبدو أطول كلما تقدَّمتُ فيها. كشف ضوء كشافي الخافت عن رقعة الجليد العرضية المتكثفة على الجدران.

هـا أنـا ذا أمـام الكومـة المفضيـة إلى داخـل الجـسر. كان ثمـة صليـب مـن شريـط تحذيـري بالمخاطـر البيولوچيـة ملتصقًـا بالكُـوَّة، أمَّـا الكـوَّة نفسـها فمغلقـة. لم أكـن متأكـدًا مـمَّا إذا كان جهـاز الإنـذار سـيُصدِر صوتًـا في اللحظـة التـي أحـاول فيهـا فتـح الكومـة. لكـن عندمـا اقتربـت، رأيـت أنـه بينـما كان الشريـط سـليمًا، كانـت الكومـة خلفـه، في الواقـع، مواربـة. لم أصـدِّق ذلـك؛ حملقـت فيهـا ذاهـلًا لثـوانٍ.

مددتُ يدي ودفعت الكومة. انفتحت.

بعـد لحظـة مـن الـتَّردُّد، عـبرت الكومـة المفتوحـة. كان الجـسر، مثـل الممرات، مظلـمًا. أضـأت شـعلة كشـافي مـرة أخـرى. أعـماني النـور للحظـة. تمكَّنـتُ بالـكاد مـن تمييـز أدوات التحكـم، لكـن لم يكـن لـديَّ أي فكـرة عمَّا يفعلـه أي منهـا. أصابنـي تقاطُـر الـدم مـن الأرض إلى السـقف بالـدوار. كان مـا أفعلـه خطـأ. هـل يجـب أن أتصـل **بهـذا الرجـل** مـرة أخـرى؟ إذا أريتـه الجـسر مـن خـلال كامـيرا جهـاز اتصـالي، فهـل سيرشـدني إلى زِرِّ إيقـاف المركبـة في حـالات الطـوارئ؟ كان قفـاز بذلـة فضـائي ضخـمًا لدرجـة أنـه لم يكـن ثمـة وسـيلة لأتمكَّـن مـن الإمسـاك بجهـازي. وكلـما ضغطـت عـلى المزيـد مـن الأزرار، تكاثَـرَت الأخطـاء التـي ارتكبتُهـا، وتنامـى قلقـي. كان ذلـك عندمـا سـمعت صوتًـا. توقَّفـتُ عـمَّا كنـت أفعلـه. اسـتمعت.

هـل كان الصـوت قادمًـا منـي؟ لم أكـن معتـادًا عـلى بذلـة الفضـاء بعـد كل شيء.

عندمـا بـدأت أصـارع مـع جهـاز اتصـالي مـرة أخـرى، سـمعتُ حفيفًـا مـن زاويـة أخـرى، أضـاءت شاشـة في مـكان مـا داخـل الغرفـة.

مَـن هـو؟ تشـكَّلَت الكلـمات الصارخـة في رأسي، لكـن صـوتي رفـض النطـق بالكلـمات.

بـدلًا مـن ذلـك، اتجـه جسـدي لا إراديًّـا نحـو حفيـف الصـوت، وتأرجح شـعاع كشَّـافي. كانـت المسـافة بعيـدة، والشـعلة واهنـة. لم يتمكـن الشـعاع

من الوصول إلى الزاوية تمامًا. لكن الضوء الخافت للشاشة عبر الجسر يسقط على وجه شخص ما. لم يكُن وجه مساعد القبطانة مضاءً إلا في خطوطه العريضة، وبقية ملامحه متوارية في الظل. ولكن حتى في ذلك الظل، كان بإمكاني أن أرى خدَّه الأيسر متآكلًا. من خلال تلك الفتحة في لحمه، كان بإمكاني أن أرى العاج الدموي لأسنانه وعظم الفكِّ. وبنصف وجهه المتبقي فحسب، ابتسم مساعد القبطانة.

ثم، وكأنه يقول مرحبًا، رفع يده اليسرى. عندما وضع مساعد القبطان يده الميتة على الشاشة المضاءة، توقَّفت جميع وظائف المركبة الفضائية. بصرف النظر عن الصدمة الهائلة، لا أتذكر الكثير. سَرَت رجفةٌ في أوصالي. ليس مجرد رعشة خفيفة، ولكن كان الإحساس أشبه برجٍّ حبوب في علبة دواء. أعتقد أنني فقدتُ الوعي لمدة وجيزة. لا أعلم كم مرة أغمي عليَّ فيها، أو كم من الوقت استغرقني الأمر حتى أستعيد وعيي. كانت ثمة ومضات عديدة من الضوء، ثم ساد ظلام دامس.

ما أتذكره هو أنه كلما أفاقت، كنت أجول بعيني في أرجاء الجسر. كنت، بالطبع، وحدي هناك. ربما كان من الأفضل أن أموت هكذا من أن ينتهي بي المطاف مثل مساعد القبطانة الميت. لم أكن لأجد سببًا للخوف أو الأسى.

ليس لديَّ أي فكرة عن كيفية تمكُّن **هذا الرجل** من العثور عليَّ. أعتقد أنه كان يحاول أن يخبرني بشيء، لكنني لم أستطع رؤية أي شيء ما عدا حركة شفتيه، ولم أستطع سماع أي شيء. بمجرد أن اندفع نحوي وسحبني خارج الجسر، أخرج خطَّافًا بكابل قابل للسحب من بذلتي الفضائية وعلَّقه ببذلته. (لم أكن أعلم أن بذلات الفضاء تأتي بمثل هذه الميزة قبل تلك اللحظة). عندما حلَّق خارج الجسر، تبعته. كانت العديد من الأشياء تطفو بجانبنا في الممرات. ظلام ونيران، ومياه

وجثث ودماء وشظايا مختلفة كانت ذات يوم جزءًا من جسد شخص ما. لا يقف بيني وبين الموت المحقَّق سوى بذلة الفضاء. وبينما كنا نخوض في الجحيم، كانت حقيقة أن كل هذا كان يحدث لي بالفعل أمرًا لا يصدق. شددت الكابل الذي يربطني **بهذا الرجل**.

نظر إلى الوراء.

صرختُ: "ماذا حدث؟ كيف عرفت أنني كنت داخل الجسر؟".

أشار **هذا الرجل** إلى معصمه. خفضت رأسي ونظرت إلى قفازي. كان ثمة العديد من الأزرار بشتى الأشكال والألوان، لكن عقلي رفض تسجيل أي من المعاني الكامنة وراءها. هزَّ الكابل، واندفعت إلى جانبه. ضغط على زر في قفازي.

- كنت ذاهبًا أيضًا إلى الجسر.

كان صوته مثل هزيم الرعد في أذني.

- كنت أبحث عن الشيء نفسه مثلك.

كنتُ خائفًا على تمزُّق طبلة أذني. لكنه استمر في الصراخ، بغضِّ النظر.

- قد تنفجر السفينة في أي لحظة. يجب أن نرحل.

استدار واستمرَّ في السباحة في الممر. أدركتُ أخيرًا أنه كان يمسك بدرجات الأمان المثبتة بالجدار لدفع نفسه إلى الأمام. ففعلت الشيء نفسه، وتبعته. ساورني شعور، كلَّما وصلنا إلى باب أو كوَّة، أنه لن يُفتح، لكنه كان يُفتح دائمًا دون أي متاعب. لا بُدَّ أن الأقفال كانت قد انفصلت عندما تعطَّلَت أنظمة السفينة. كانت هذه إحدى الأفكار غير المجدية التي طفت في ذهني في حالة الصدمة المستمرة التي غَشِيَتني بينما سمحت لنفسي بالتحليق عبر السفينة. ممرَّات وأبواب لا حصر لها، وجثث وأجزاء من أجسام تطفو نحونا عند كل منعطف. كنا غارقين على نحو عشوائي بالمياه في نقطة ما. لكن هذه كانت

عقبات سهلة نسبيًّا للتغلب عليها. عندما وصلنا أخيرًا إلى باب لا يُفتَح، اعتقدت أننا وصلنا أخيرًا إلى طريق مسدود. لكن على نقيض- كنتُ مستعدًّا للاستسلام على الفور، أمسك **هذا الرجل** بالباب وبدأ يسحبه بقوة.

- تعال، واسحب معي! يجب أن نفتحه!

راح الصوت يرِنُّ في خوذتي. لحسن الحظ، وجدتُ زِرَّ التحكم في مستوى الصوت اللعين، وإلا لكان سمعي قد تضرَّر بشكل لا يمكن إصلاحه قبل النزول من السفينة اللعينة. ولكن لم يكن ثمة وقت للرد عليه أو السؤال عنه أو نقل أفكاري إليه على أية حال. ارتقيت إلى الباب المنزلق المقابل وبدأت في شدِّه. كانت الجاذبية معدومة؛ وهو ممَّا جعل من الصعب تثبيت جسدي في اتجاه معين وتركيز قوتي.

بدأ الباب يهتزُّ قليلًا. نظر إليَّ هذا الرجل. شددتُ بقوة. دار حول نفسه، وسحبني معه بسبب الكابل الذي يربطنا، وبدأ يمشي بسرعة وهو يتمتم:

- كان هذا هو الطريق الأسرع، الطريق المختصر... سيستغرق الطريق الآخر وقتًا أطول... كم من الوقت لدينا قبل أن تنفجر السفينة؟... الأكسچين ينفد في هذه البذلات... علينا أن نتحرك، نتحرك، ولا نتوقَّف عن التَّحرُّك...

لا بُدَّ أن مقولة أنه في حالة الأزمة نستدعي قوى خارقة كامنة بداخلنا، مقولةٌ صحيحة. كيف أمكنه التحرك بمهارة دون وجود جاذبية يتحرَّك ضدها كان شيئًا ليثير استغرابي لو كان لديَّ مساحة في ذهني للتعجب من أي شيء في تلك اللحظة. وبينما كنت أُسحب بواسطة الكابل، تخليتُ عن محاولة مجاراته في السرعة وحاولت الحفاظ على شيء ممَّا تبقَّى من كرامتي من خلال محاولة إبقاء نفسي في وضعية مستقيمة بينما كنَّا نشقُّ طريقنا عبر الممرات، محاوِلًا بكل قوتي ألَّا

أنقلب على كابلي. ثم توقَّفتُ فجأة. وبصعوبة تمكَّنتُ من تصحيح وضعيتي. وقبل أن أتمكن من سؤاله عمَّا حدث، أشرق ضوء كشَّافٍ مباشرة في عيني.

وفوق كتف **هذا الرجل** أمامي، رأيت وجه القبطانة.

لم تكن وحدها. أحاط بها حوالي خمسة أو ستة من أفراد الطاقم. كانوا جميعًا مصابين وينزفون في أماكن مختلفة من أجسادهم. ربما كانوا آخر الناجين. وربما كانوا جميعًا مصابين بالعدوى...

خطت القبطان خطوة نحونا. ضرب ضوء كشَّافها شبكية عيني مرة أخرى؛ انكمشت وحجبت عينيَّ بذراعي. ومن خلال الصورة الشبحية التي تركها ضوء كشافها، تمكَّنتُ من رؤية شفتَيْ القبطانة تتحركان، غير أنني لم أسمع أي شيء ممَّا كانت تقوله. لم تكن هي أو أفراد الطاقم الآخرون يرتدون بذلات فضاء.

قطع صوت **هذا الرجل** أفكاري عبر جهاز الاتصال:

- ماذا علينا أن نفعل؟

"نفعل ماذا؟".

- القبطانة، أنتَ تعلم أنها مصابة. لا يمكننا اصطحابها في كبسولة الهروب.

استدار برأسه نحوي.

- أنت جنديٌّ. افعَلْ شيئًا.

أراد مني أن أفعل شيئًا للقبطانة؟ مثل تمرُّدٍ فرديٍّ؟ رغم أن كلمات مثل "تمرُّد" ليس لها أي معنى في ظل هذه الظروف. تحسَّستُ بخفَّةٍ جانب بذلتي الفضائية. عادة، لا أحمل سلاحًا معي على متن السفينة، ولكن عندما قرَّرتُ شَقَّ طريقي إلى الجسر المغلق، كنت قد جهَّزته تحسُّبًا لأي مفاجأة. لمست بقفازي جانب بذلتي الفضائية. حينها

وجدتـه. كنـت قـد أخرجـت السـلاح مـن درجـي ودسسـته في حزامـي، ثـم ارتديـت بذلـة الفضـاء. كان السـلاح تحـت بذلتـي الفضائيـة.

كيف يمكنني ارتكاب مثل هذا الخطأ الغبي في هكذا موقف...

لم أصـدق ذلـك. حـرَّرتُ نفـسي مـن **هـذا الرجـل** واتخـذت خطـوة إلى الأمـام. انحرفـت ببـصري بـلا مبـالاة إلى القفـاز الأيـسر حيـث ضغـط **هـذا الرجـل** عـلى الأزرار في معصمـي. وفجـأة لمحـت زر الإرسـال. ضغطـت عليه. وتحدَّثـتُ بهـدوء قـدر اسـتطاعتي، وكأن حيـاتي تعتمـد عـلى ذلـك؛ لأنهـا كانـت كذلـك: "سـيدتي، لا يمكننـا النـزول إلى الممـر الخلفـي هنـاك".

لم يكـن مـن الواضـح مـا إذا كانـت القبطانـة تسـتطيع سـماعي، لكننـي صرخـت رغـم ذلـك: "ثمـة حريـق هنـاك، يـا سـيدتي. علينـا العـودة في الاتجـاه الآخـر".

قالت القبطانة شيئًا.

هززتُ رأسي. "لا أستطيع أن أسمعك، يا سيدتي".

ضغَطَت على زرٍّ في مكانٍ ما على كتف زيِّها الرسمي.

- مـاذا حـدث؟ هـل نفَّـذ شـخصٌ مـا بروتوكـول التوقـف في حـالات الطـوارئ؟ مـا هـي الخسـائر، ومـاذا عـن الناجـين؟

"لا أعرف، يا سيدتي".

لم يكـن الأمـر وكأننـي أسـتطيع أن أخبرهـا أن جثـة مسـاعد القبطـان نصـف المأكولـة والتـي دبَّـت فيهـا الحيـاة كانـت تحـاول إلحـاق الأذى بنـا جميعًـا.

"لقـد جئنـا لحسـم هـذه المسـألة بالـذات، لكننـي أعتقـد أننـا الناجـون الوحيـدون الآن".

- والضرر الذي لحق بالسفينة؟

- جسيم.

نطق **هذا الرجل** بالإجابة الأخيرة، والذي تدَّخل في المحادثة. يبدو أنه استعاد صوابه.

أومأت القبطانة برأسها.

- هل تعرفان شيئًا عن قارب النجاة؟

بالطبع تعرف القبطانة عن قارب النجاة، لكن خروج كلمة "قارب النجاة" من شخص مصاب جعلت رؤيتي تُظلِم.

- يجب أن نذهب إلى قاع هيكل المركبة ونبحث عن المزيد من الناجين.
- كيف يمكنك، بصفتك القبطانة، أن تفكِّري حتى في التخلي عن السفينة!

كان **هذا الرجل** يتدخل في المحادثة مرة أخرى. أردت أن أوقفه، لكنه لم يمنحني شبرًا واحدًا للقيام بذلك.

- تريدين منَّا أن نهرب؟ كيف يمكنك أن تقولي مثل هذا الشيء؟ كان من المفترض أن تفعلي شيئًا عندما أصيبت الحالة الأولى بالعدوى!

أفاق أحد أفراد الطاقم من ذهوله:

- ما معنى هذا؟ كيف تجرؤ على التحدث بهذه الطريقة مع القبطانة؟!
- أي قبطانة! إنها مصابة! كانت هذه خطَّتها طوال الوقت! سرقة السفينة مع رُبَّانَيْها حتى تتمكَّن من أخذنا إلى الفضاء حيث يمكنهم أكلنا جميعًا!

كان يصرخ الآن.

- ما الذي تتحدث عنه؟

كان تعبير القبطانة لا يزال هادئًا تمامًا، لكن التَّوتُّر شاب صوتها.

ولكن **هذا الرجل** لم يكن في مزاج يسمح له بملاحظة مثل هذه التفاصيل الدقيقة. كان يصرخ في أفراد الطاقم الآخرين:

- ألا ترون؟ القبطانة مصابة! لقد أصيبت بالعدوى منذ مدة طويلة! لقد قتَلَت مساعدها وأكلته! سوف تلتهمكم جميعًا!

ركل الجدار وطار في الهواء. لو لم أفُكَّ قيدي، لكنتُ قد حلَّقت بدوري.

- لا يمكننا أن نعطيكم قارب النجاة! أنتم جميعًا مصابون! ستموتون جميعًا، جميعكم!

تجمَّع أفراد الطاقم حوله. لأن الجاذبية كانت مُعطَّلة؛ كانت حركتهم جميعًا خرقاء، وكان من الأسهل قول ذلك عن فعله، حتى مع وجود الكثير منهم يمسكون به في وقت واحد، لكن **هذا الرجل** كان أيضًا في حالة انعدام وزن، ولم يتمكن من الفرار بهذه السرعة بنفسه. لم تتحرك القبطانة. راقَبَت بلا مبالاةٍ أفرادَ الطاقم **وهذا الرجل** يتشقلبون في الهواء، دون أن تنبس ببنت شفة. ثم أخرجت مسدسها.

بمجرَّد أن رأيت مسدسها، انقضضت عليها.

***

أكبر مشكلة يعاني منها المصابون بالعدوى هي حقيقة أنهم ينظرون إلى جميع الأشخاص الآخرين على أنهم طعام. الطعام هو شيء تتناوله أو تُخزِّنه لتستهلكه لاحقًا، وليس زميلك. لا يفكِّر أحد في التعاون مع طعامه للتغلب على بعض المواقف العويصة.

كان الجميع يهاجمون **هذا الرجل**، لكن انعدام الجاذبية وبذلة فضائه كانت تُبطئه. من ناحية أخرى، أعطته بذلته الفضائية مستوًى

مـن الحمايـة سـمح لـه بصدِّهـم، بالإضافـة إلى أن بعـض أفـراد الطاقـم كانـوا يهاجمـون بعضهـم بعضًـا الآن.

كانـت القبطانـة أكـثرَ رشـاقةً في التَّحـرُّك في حالـة انعـدام الجاذبيـة منـي. وضعـت سـنوات تدريبـي موضـع التنفيـذ عندمـا حاولـت نـزع سـلاحها، لكـن انعـدام الجاذبيـة ووجـود بذلتـي الفضائيـة جعـل مـن المسـتحيل ضرب يدهـا التـي تحمـل المسـدس. عـلى الرغـم مـن أننـي، إذا فكَّـرتُ في الأمـر، أدرك أننـي لم أتلـقَّ أي تدريـب عـلى التعامـل مـع انعـدام الجاذبيـة. تحـوَّل قتالنـا إلى صراع جسـدي غـير فعَّـال.

فجـأة، رأيـت فوهـة مسدسـها موجَّهـةً نحـوي مباشرة. وبمجـرد ظهـور ذلـك الثقـب الأسـود الصغـير في مجـال رؤيتـي، تسـاءلت عـمَّا إذا كانـت بذلتـي الفضائيـة مُقاوِمـة للأشِـعَّة (ربمـا لم تكـن كذلـك) وهـل سـتأكلني بعـد ذلـك، وهـل سـأعود مـن المـوت في نصـف حيـاة مثـل المسـاعد إذا فعلـت ذلـك- كل هـذا اندفـع في ذهنـي في أقـلَّ مـن ثانيـة.

مَـن يـدري كيـف أدرتُ معصـم القبطانـة وفي أي اتجـاه. أُطلِـق المسـدس، ومزَّقـت الأشـعة بطنهـا، وأحرقـت سـاق أحـد أفـراد الطاقـم الـذي كان يعـضُّ عنـق عضـو آخـر مـن الطاقـم. بـدت القبطانـة مصعوقـة، وحملقـت في بطنهـا. حـرَّرتُ نفـسي مـن قبضتهـا وأمسـكت بالمسـدس الـذي كان طافيًـا في الهـواء، وبمجـرد أن اسـتدارت القبطانـة لمواجهتـي، وجَّهـتُ المسـدس إلى جبهتهـا وأطلقـت النـار.

كان **هـذا الرجـل** مشـتبكًا مـع مجموعـة مـن أفـراد الطاقـم الآخريـن. لم أرغـب حقًّـا في قتـل المزيـد مـن الأشـخاص، ولكـن لأنهـم كانـوا يحاولـون خلـع بذلتـي الفضائيـة في هـذه المرحلـة، كان عـليَّ إطـلاق النـار عـلى المزيـد منهـم. هـذه المـرة كنـتُ أنـا مَـن يسـحب **هـذا الرجـل** عـبر المركبـة الفضائيـة، وكان في حالـة ذهـول.

لم يعترض أحدٌ طريقنا الآن. لا أعرف عدد الممرات التي عبرناها والانعطافات التي سلكناها قبل أن نصل إلى غرفة معادلة ضغط ضخمة وسوداء. نظرت إلى **هذا الرجل** وأنا متوتِّر. ولكن قبل أن أتمكن من قول أي شيء، توجَّه مباشرة إلى ضوء أحمر صغير بجوار الكوة وخلع أحد قفازاته. أدخل رمزًا مكوَّنًا من سبعة أرقام، ووضع راحة يده على الماسح الضوئي على الجدار. انزلق باب غرفة معادلة الضغط إلى أعلى.

كان الظلام دامسًا في الداخل، لم يكن هناك شيء مرئي، ولكن عندما انفتحت غرفة معادلة الضغط إلى ارتفاع إنسان، اشتعلت الأضواء.

قال **هذا الرجل**: "اركبْ".

جعلني مصطلح "قارب النجاة" أعتقد أنه نوع من كبسولة الهروب الصغيرة، ولكن على الرغم من صِغَر حجمه، إلَّا أنه كان في الواقع مركبة فضائية كاملة تحتوي على كل ما تتطلَّبه سفينة فضاء.

بمجرد أن دخلنا وأغلقنا غرفة معادلة الضغط، حرَّرتُ نفسي منه مرة أخرى. كنت على وشك خلع خوذتي عندما أوقفني.

خطا داخل قارب النجاة وتبعته.

أضاءت لوحة التحكم، وكذلك الإضاءة المركزية. فصل **هذا الرجل** وصلة الالتحام. انفتحت الكومة الخارجية للسفينة الأم. كان قارب النجاة أشدَّ هدوءًا ورقَّةً في حركته ممَّا توقَّعتُ، وانجرف بعيدًا عن السفينة إلى مساحة مظلمة لا نهائية.

فقط عندما خلع **هذا الرجل** خوذته وبذلة الفضاء، خلعت خوذتي أيضًا. جلسنا أمام لوحة التحكم ولم نقُل شيئًا بينما ننظر إلى السفينة الأم وهي تتقلَّص مبتعدةً عنَّا، لتصبح جزءًا من ظلام الفضاء المدلهم.

من المستحيل أن أضع إصبعي على السبب، لكن بدا الأمر وكأنه نهاية منطقية.

سألت **هذا الرجل** إلى أين نحن ذاهبان. قال "سنعود" وكأن الأمر واضح.

كنت أتوقع هذه الإجابة، لكن سماعها كان محبطًا.

"ليس لدينا محرّك التوائي هنا مثل السفينة الأم، لكن المسافة إلى الأرض هي...".

قلت: "لا يمكننا الذهاب إلى هناك. لم يتبقَّ شيء على الأرض".

حدَّق فيَّ للحظة قبل أن يسأل: "كيف عرفت ذلك؟".

هذه المرة، كنت أنا مَن استغرق في التفكير لحظة. لم يكن ثمة أي سبب وجيه للتردد، لكنني دُرِّبتُ ببساطة على أن أكون حَذِرًا. لكن كم هو سخيف أن أهتمَّ حتى بالسرية وسلامة العمليات في هذه المرحلة؟ لذلك أخبرته وحسب. "كانت وظيفتي هي إبقاءنا على اتصال بالأرض. وبمجرد أن أبلغت بوجود المرض على متن السفينة، تخلَّوا عنَّا".

"ماذا؟".

"لقد أوقفوا كل اتصال بنا".

لم يَقُل كلمة واحدة. نظرت في عينيه. "بناءً على أوامر القبطانة، حاولت إعادة الاتصال كل ثلاث دقائق، لكن لم أتلقَّ أي ردٍّ على الإطلاق. لقد تخلَّوا عنَّا. والآن بعد أن وصلنا إلى هذا الحد على متن المركبة الفضائية، لا توجد طريقة يمكننا من خلالها تحديد الوضع على الأرض".

"لكن ربما أمكنهم إيجاد علاج للمرض بالفعل، أو ربما اختفى الوباء؟".

كانت قوة تفاؤله مثيرة للإعجاب تقريبًا في ضوء الكارثة التي وجدنا نفسينا فيها. مكتبة سُر مَن قرأ

"لا يوجد أي احتمال تقريبًا لحدوث شيء من هذا القبيل. وأكثر من ذلك..." أشرت إلى سواد الفضاء بالخارج، "من المرجح أن ما حدث على السفينة الأم قد حدث على الأرض الآن".

جلسنا في صمت للحظة أخرى قبل أن يتحدث. "هل تعتقد ذلك حقًّا؟".

أومأت برأسي.

"إذن ماذا يفترض بنا أن نفعل؟".

"نهبط في مكانٍ ما". فكَّرتُ أكثر قليلًا. "مكان مشابه لبيئة الأرض".

لم يقُل شيئًا وهو يحدق في الأرضية. ثم استدار ونظر إلى شاشة المِلاحة. شغلها بلمسة من راحة يده، وبدأ في حساب شيء ما. بعد مدة طويلة، تحدث مرة أخرى. "لقد حصلت عليه. الإحداثيات موجودة. لكن يتعيَّن علينا النوم للوصول إلى هناك".

"النوم؟".

نظر إليَّ للحظة وتحدَّث ببطء: "لقد أخبرتك. هذه السفينة ليست مزوَّدة بمحرِّك التوائي. لا توجد كواكب ضمن بضع مئات من السنين الضوئية ذات بيئات مناسبة للسَّكَن البشري. ركوبها بهذه الطريقة سيقودنا إلى الشيخوخة حتى الموت في قارب النجاة هذا".

ضغط على شيء في زاوية الشاشة ونظر إلى الوراء. التفتُّ لأرى ما كان ينظر إليه. انفتح باب خلف قمرة القيادة، وأمكنني أن أرى كبسولات السبات.

"بمجرد أن نصل إلى كوكب صالح للسكن، سيوقظنا الكمبيوتر".

"سنتجوَّل حتى ذلك الحين دون وجهة واضحة؟".

عبس. "ما هو الخيار الآخر الذي لدينا؟ الفضاء ليس طريقًا سريعًا. لا توجد لوحات إعلانية، ولا أبراج مراقبة تخبرنا بما يجب علينا فعله".

لقد كان على حقٍّ. لكنني كنت لا أزال متردِّدًا.

"ما هو أقرب كوكب إلينا؟ ألا ينبغي لنا أن نعرف ذلك على الأقل قبل أن ندخل في السُّبات؟".

"لا يحتوي الغلاف الجوي لأقرب كوكب على هيدروچين أو أكسچين، ودرجة حرارته تسعمائة درجة في النهار، وتحت الصفر في الليل. هل تريد منَّا أن نهبط هناك؟".

شعرت بالاكتئاب. "ما الكوكب الأقرب بعد ذلك؟ كوكب حيث تكون درجات الحرارة على الأقل...".

"كما قلت لك، سوف يوقِظنا الكمبيوتر عندما يجد مكانًا بهذه المواصفات. انظر..." قال بنبرة هادئة، "الآلات مثل هذه المركبة هي تخصُّصي. لقد بَرمَجتُها حتى تخبرنا بمجرد العثور على كوكب صالح للسُّكنى. لن نجد أبدًا مكانًا به تشابُه جوِّيٌّ دقيق مع الأرض، ولكن على الأقل، سيكون مكانًا يمكننا التَّجوُّل فيه بدون بذلات فضاء. لكن الكواكب مثل هذه ليست متوفِّرة بكثرة. إذا كنت متشكِّكًا جدًّا، فانظر بنفسك".

نظرت إلى الوراء إلى شاشة لوحة التحكم. كان استعلام البحث والنتيجة "0" واضحَيْن تقريبًا، لكن الباقي كان هراءً بالنسبة لي.

"حسنًا، جيد. لكن لا يمكننا العودة إلى الأرض. لا يوجد حقًّا أي أمل هناك".

"أعرف، أعرف". وقف. "ادخُلْ أنتَ أوَّلًا. سأحوِّله إلى وضع الطيار الآلي، وأُجري فحصًا عامًّا آخر قبل أن أنام".

أومأت برأسي على مضضٍ. كان النوم بالتبريد الفائق جديدًا بالنسبة إليَّ. أخذني إلى الكبسولة وربط الحزام حولي كما لو كان يضع طفلًا لينام. وقبل أن يغلق قبة الكبسولة مباشرة، ربَّت على رأسي. "أحلام سعيدة".

قبل أن أتمكَّن من الإجابة عليه، انغلقت الكبسولة.

وعندما استيقظت، كنَّا قد رجعنا إلى الأرض.

أدركت أنني خُدعت عندما كنا على بعد دقائق من ولوج الغلاف الجوي للأرض. كان الصداع الناجم عن تأثير التبريد داخل الكبسولة شديدًا، وكنت أعاني من صعوبة في التنفس. شعرتُ وكأن جسدي قد مرَّ بآلة عصر وأن كل حركة كانت بمثابة جهد شاقٍّ. جرَّني **هذا الرجل** إلى لوحة التحكم. "لقد عدنا إلى الوطن".

على الرغم من اعترافه، فقد استغرق الأمر بضع دقائق أخرى من التحديق من النافذة لأدرك ما كان يحدث. نبَّهنا صوت إلكتروني إلى أننا على بُعد سبع دقائق من دخول الغلاف الجوي.

"ماذا فعلت؟" خرج صوتي صراخًا، قبل أن يتهدَّج في النهاية. كان غير مبالٍ عمليًّا.

"لقد فكَّرتُ للتَّوِّ، ماذا لو تجوَّلنا في الكون بحثًا عن كوكب يشبه الأرض تمامًا ووقعنا في حزام كويكبات؟ إذا كنا بحاجة حقًّا إلى بيئة مثل الأرض، فيجب أن نأتي إلى الأرض نفسها. هذا هو وطننا، بعد كل شيء".

"لا! هذا لم يَعُد الوطن. لا يمكننا الهبوط هنا!" هززتُ رأسي بقوة. "لا أعرف ما الذي سيكون هناك، لكنها ليست الأرض التي نعرفها. إنها ليست الوطن! لا يمكننا العودة!".

"لقد فات الأوان"، قال بهدوء شديد، "لقد ابتعدنا كثيراً ونحتاج إلى الهبوط".

"ماذا!".

قبل خمس دقائق من الهبوط، قال: "أقترح أن تجلس وتتمسَّك بشيء ما. أو تعود إلى الكبسولة؟".

"لا يمكنني أن أموت لأنك في مزاج عاطفي، أدِرْ هذه السفينة! سنموت كلانا إذا عدنا إلى الأرض!".

"قلتُ إنه فات الأوان"، قال بابتسامة. نظرت في عينيه.

بدا إقناعه مستحيلًا؛ هل يجب أن أصارعه؟ هل كان لديَّ وقت كافٍ للتغلب عليه ومنع الهبوط؟ في كل الأحوال، كان عليَّ منعنا من الهبوط. العودة إلى ذلك المكان كانت الشيء الوحيد الذي كنت بحاجة إلى إيقافه بأي ثمن.

نظر إليَّ وقال: "ماذا ستفعل؟ هل يمكنك قيادة هذه السفينة بدوني؟" كان مُحِقًّا.

دقيقتان فقط باقيتان على ولوج الغلاف الجوي. قال مرة أخرى: "تمسَّكْ بشيء ما".

وقفتُ هناك أنظر إلى الشاشة ثم عُدتُ إليه.

قال بغضب: "انظر، إذا كنت تريد أن تكسر رقبتك بعد أن قطعنا كل هذه المسافة، فافعل ذلك بالضبط. لقد كنتَ على متن سفينة فضاء من قبل، وأنتَ تعلم ما سيحدث إذا لم تجلس".

تنهَّدتُ. لم يكن هناك ما يمكنني فعله سوى الامتثال. ولكن بينما كنت أربط نفسي، كان عليَّ أن أقول شيئًا آخر. "فقط عِدني بهذا".

"ماذا؟".

"بعد أن نهبط، لا تفتح الكوَّة أو تحاول الخروج قبل أن نعرف الوضع في الخارج، حسنًا؟ حتى لو كان هناك ناجون، فقد يكونون مصابين بالعدوى".

فكَّر للحظةٍ ثم أومأ برأسه. دخلنا الغلاف الجوي.

كان مسار الهبوط متعرِّجًا بصورة كبيرة، لكن الهبوط كان ناجحًا إلى حدٍّ ما. حتى أنه تفاخَر قليلًا بأنه لم يكن سيئًا نظرًا لأنها كانت محاولته الأولى للهبوط. لم أهتم.

"لا تفتح الباب، ولا تحاول الخروج".

"حسنًا، حسنًا".

نظرت من النافذة بينما كنت أتحقَّق من مؤشرات الغلاف الجوي والرطوبة ودرجة الحرارة وعلامات الحياة. لم يكن الهواء مختلفًا كثيرًا عمَّا كان عليه عندما غادرنا، لكن لم تكن ثمة أي علامات على الحياة على الإطلاق. بدا **هذا الرجل** مُحبَطًا بعض الشيء.

"ماذا حدث؟ لا يمكن أن تُمحى البشرية تمامًا من على وجه الأرض".

"ليس إذا فشلنا في القضاء على المرض. حتى لو كان هناك ناجون، أشكُّ في أنهم يشبهون أي شيء قريب ممَّا نسميه 'البشر'".

"لا تكن مُحبِطًا للغاية"، هدر. "انظر. يجب أن أخرج إلى هناك".

"لا، لا! من المريب عدم وجود علامات على الحياة على الإطلاق. دعنا ننتظر أكثر قليلًا...".

صاح: "نحن هنا، ما الذي ننتظره؟".

في الصمت الذي تلا ذلك، سمعنا صوت آلة. التقطت المركبة إشارة استقبال. أضاءت صفوف من الرموز شاشة وحدة التحكم.

- استقبال.

"انظر"، قال بحماس، "بَشَر! كنتَ مخطئًا، لا يزال ثمة شخص على قيد الحياة ويرسل إشارات. يجب أن يكون هناك زمرة من الناس الذين نجوا من الوباء".

نظرت إلى الشاشة. لم يسجِّل ذهني أي شيء ممَّا قاله. "ما هذا؟ ما هذه اللغة؟ ماذا يقول؟" سأل.

لم أُجِب. ما أضاء الشاشة هو صور توضيحية ورموز. لم تكن لُغةً، كانت شيفرة. في اللحظة التي رأيت فيها السطر الأول، لم أكن بحاجة إلى فكِّ شيفرته لمعرفة فحواه. كانت شيفرتي. الترجمة أن المرض استشرى في المركبة الفضائية وأننا بحاجة إلى المساعدة.

لم يصدقني.

"مستحيل".

"لماذا أكذب عليكَ؟".

"لأنني كذبتُ عليك".

"ماذا؟ هذا ليس الوقت المناسب للدخول في بعض الجدالات التافهة. ما الذي يمكن أن أستفيده من القيام بشيء كهذا؟".

لم يرد. في اللحظة التي كنت فيها على وشك قول شيء آخر، فتح فمه.

"إذا كنتَ على حقٍّ، وقد دمَّر الوباء البشرية، فأنتَ وأنا البشريان الوحيدان الباقيان في هذا الكون".

لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة، لكنه كان صحيحًا. "هذا كل شيء، إذن".

"ما الأمر؟" وقف ببطء. "حتى لو لم تنجُ البشرية، فنحن ما زلنا معًا. وعدنا إلى الوطن". نظر إلى الأرض. "يمكننا أن نبدأ من جديد. مثل آدم وحواء".

"ماذا تقول؟".

رفع رأسه والتقت عينه بعيني. "كما قلت من قبل. الأمل موجود إذا كنت تعتقد أنه موجود. إذا لم يكن لديك أي أمل، يمكنك فقط اختلاقه. ونحن هنا معًا".

اقترب مني ببطء. "يمكننا أن يكون كلٌّ منّا أمل الآخر. سنبدأ كل شيء من البداية. سنعيد بناء البشرية. سنخلق معاني جديدة. نحن الاثنان". مدَّ يده نحوي. "أليس هذا مذهلًا؟".

لم تعجبني النظرة في عينيه. إن ما يحدث في العالم الخارجي لا علاقة له بما إذا كنت أتمنى شيئًا أم لا. فمجرد رغبتي في عودة الأمور إلى ما كانت عليه لا يعني أنها ستعود؛ وهذا ما حاولت أن أقوله **لهذا الرجل** طوال الوقت. ربما يكون الأمل موجودًا لمجرد أننا نعتقد أنه موجود، والمعنى هو شيء تخلقه بنفسك. لكن هذه مجرد تجربة ذاتية فردية للإيمان. ولا يوجد ما يضمن أن مثل هذا الإيمان الذاتي سيدعمه الموقف الموضوعي.

لماذا قد تتآمر الطرق الكونية العديدة لتحقيق إرادة فرد واحد؟ أنا لا أحاول أن أكون ساخرًا أو متشائمًا. أنا ببساطة أقول، من خلال الإشارة إلى مدى ضآلتي وعدم أهميتي، إن كل ما أفعله هو أيضًا صغير وغير مهمٍّ ولا يُحدِث فارقًا في هذا الكون. لا توجد مسؤولية يجب أن أتحمَّلها تجاه الكون، ولا يوجد واجب يقع على عاتقي لإعادة بناء البشرية بنفسي. من منظور عملي على الأقل. ولكن العودة إلى الأرض- ربما كنت في منصب إداري فحسب مؤخَّرًا، ولكن في نهاية المطف، كنت جنديًّا مدرَّبًا بينما كان هو مجرد مدني. ولا يتلقى ميكانيكيُّو الفضاء مثل هذا التدريب. وكان عدم مراعاة هذه الحقائق قبل القفز لمهاجمتي، في النهاية، هو الخطأ الأكبر الذي ارتكبه.

لم تكن الشمس قد غربت تمامًا بعدُ. ولكن السماء كانت تتحول إلى الرمادي. وكانت الرياح تزداد برودة. وما زالت الحرارة تلتصق

بالكتلة الخرسانية التي كنت أجلس عليها، ولكنها سرعان ما ستبرد تمامًا. وها أنا ذا، وحدي على كوكب مدمر. كانت ثمة طرق عديدة لقبول هذا المصير، ولكن في الوقت الحالي، كنت في سلام. كان العالم سخيفًا وجميلًا وحرًّا.

اختفى آخر أثر للحرارة من الخرسانة. وقفتُ مرتجفًا. وقرَّرتُ أن أعود إلى السفينة وأن أُنهي التهام جثَّة **هذا الرجل**.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ماريا، جراتيا بلينا[1]

ينطلق إنذارٌ من قفل الخزنة. يومض ضوء أبيض ضئيل. ترفع يدها اليمنى. وبيدها اليسرى، تفرك بعنايةٍ كُلَّ إصبع من أصابع يدها اليمنى. درجة حرارة يدها الميكانيكية هي درجة حرارة جسمها.

بصمات الأصابع ما يُقلِقها. لقد طُبِعَت وأُلصِقت على أصابع يدها منذ يومين فحسب. كان من الأفضل الانتظار بضعة أيام أخرى للسماح لها بالاستقرار، لكن لم يكن ثمَّة وقت. على أي حال، بدا الجلد الجديد ثابتًا بما يكفي لعدم تحرُّكه أو سقوطه من جرَّاء قليل من الضغط. وإذا استقرَّت أكثر من اللازم، فسيكون من الصعب

(1) باللاتينية -في الأصل- أي المليئة بالنعمة، وهي جزء من الصلاة الكاثوليكية "السلام عليك يا مريم": (السَّلامُ عَلَيْكِ يا مَرْيَمْ، يا مُمْتَلِئَة نِعْمَةً، الرَّبُّ مَعَكِ، مُبارَكَةٌ أَنْتِ في النِّساءْ، وَمُبارَكَةٌ ثَمْرَةُ بَطْنِكِ يَسوعْ. يا قِدّيسَة مَرْيَمْ، يا والِدَةَ اللهْ صَلّي لِأَجْلِنا نَحْنُ الخَطَأَة الآنَ وَفي ساعَةْ مَوْتِنا. آمين) (المترجم).

إزالتها لاحقًا. هذه ليست الخزنة الأخيرة التي ستفتحها، فهي بحاجة إلى القدرة على تغيير بصمات أصابعها مرة أخرى.

تستنشق نَفَسًا عميقًا وتضع أصابعها على قطعة الزجاج الشفافة تحت الضوء الأبيض للقفل. أوَّلًا إصبع السبابة، ثم إصبع البنصر، ثم إصبعها الوسطى، ثم إصبعها الصغيرة، تضغط بكل منها على سطح الزجاج البارد. هذا الترتيب غير الخطي هو جزء من الشيفرة. يتحوَّل الضوء الأبيض إلى اللون الأزرق. صوت نقرة، ثم تُفتح الخزنة.

تضيء ابتسامة وجهها. لكن سرعان ما تخبو؛ داخل الخزنة توجد خزنة أخرى. من النوع القديم حيث يتعين عليك تحريك قرص.

كان من المفيد هنا استخدام سماعة طبيب، لكنها لم تحضر واحدة. لأنها لم تتخيَّل أبدًا أنها سترى شيئًا عتيقًا جدًّا لدرجة أنه قد ينتمي إلى متحف.

تتمتم، فيما تنهض وتتجه إلى المطبخ. تفتح خزانة تلو الأخرى. أفضل شيء هنا هو كوب صغير مصنوع من البلاستيك الشفاف. ثاني أفضل شيء هو كوب زجاجي. لا يوجد شيء في الخزانات سيفي بالغرض. تفتِّش في الأدراج. في الدرج الثالث، إلى جانب الأطباق الورقية والأواني البلاستيكية، يوجد مخزون من الأكواب البلاستيكية. تمزِّق العبوة، وتُخرِج كوبًا، وتأخذه إلى المغسلة لوضع القليل من الماء فيها.

تعود إلى الخزنة مع الكوب، وتضعه فوق الخزنة داخل الخزنة. ثم تثني أصابعها. يسراها، ثم يمناها.

يجب اتخاذ خيار.

هل تستطيع يدها الميكانيكية أن تنجز مثل هذه المهمة الدقيقة؟ لقد كانت يمينيَّةً دائمًا. يدها اليسرى هي يدها الحقيقية، لكنها ليست جيدة في التعامل مع الأشياء مثل اليمنى. حتى لو كانت

ذراعها اليمنى آليًّة، فقد كانت لها اتصالات أقوى وأكثر تطوُّرًا بدماغها ونظامها العصبي.

ترفع يدها اليمنى. وتتردَّد مرَّةً أخرى. هل يمكنها اكتشاف النقرات بدون سماعة طبية وبيدها فقط؟ ببساطة لا يوجد وقت. تأخذ نَفَسًا عميقًا وتضع يدها الميكانيكية على القرص. يتوقَّف تنفُّسها. تحدِّق في الكوب البلاستيكي، تبدأ ببطء في تحريك القرص. تدور التروس بسلاسة. لا يوجد صوت تقريبًا. ولكن عندما يتحرك القرص بين 50 و 60 درجة تسري رجفة خفيفة على سطح الماء في الكوب البلاستيكي. بالنسبة إليها، يبدو الأمر بمثابة دوامة على سطح بحيرة. تدير القرص مرة أخرى وتتوقف عند الرقم الذي حدثت عنده الرجفة.

نقرة.

تدير القرص في الاتجاه الآخر. هذه المرة، بين 10 و20، ثمة رعشة صغيرة أخرى. تحدِّق في الكوب البلاستيكي بينما تستمرُّ في تدوير القرص مرارًا.

58-13-72-35.

نقرة. باستخدام يدها الميكانيكية، تسحب مقبض الخزنة. يفتح باب الخزنة.

بيدها اليسرى الأقل براعةً، ولكنها الحقيقية، تمدُّ يدها داخل الخزنة. تمسك بأكبر عدد ممكن من الأشياء المغلفة بالبلاستيك. تمزِّق أحدها وتُسقِط، على راحة يدها، حبَّةَ دواء. تحدِّق في الحرف "م" ونصف الدائرة الصغيرة المحفورة حوله. برهبة، حابسةً أنفاسها، وكأنها تصلِّي، تغمض عينيها وتدسُّ الحبَّة في فمها.

في اللحظة التي تبتلعها، ينفتح الباب الأمامي للغرفة.

يبدأ قلبها في النبض بسرعة. يرتفع ضغط دمها. الأحداث التي تأتي بعد ذلك فوضوية. يبدأ الرجال الذين اقتحموا الباب الأمامي في إطلاق النار عليها. وبينما لا تزال تمسك بيدها اليسرى العبوات البلاستيكية التي تحتوي على الحبوب، تتدحرج بمهارة على الأرض بعيدًا عن مرمى الرصاص وتختبئ خلف أريكة. يندفع الرجال إلى الداخل. تقفز من فوق الأريكة وتدافع عن نفسها بذراعها اليمنى ضد الرجل الأول الذي هاجمها. تضرب وجهه ورقبته، وتلتقط مسدسه، وتطلق النار عميانيًا على الرجال الآخرين وهي تركض خارج الباب الأمامي، ثم بطول الممر، وإلى دَرَج الطوارئ.

الرجال يلاحقونها. فتحت نارَ مسدَّسها نحوهم، وركضت إلى السطح.

على حافة السطح يقف رجل آخر. تركض نحوه. الرجل لا يحمل مسدَّسًا. يقول لها شيئًا. صوته غير واضح ويبدو أن الكلمات غير واضحة. من المستحيل معرفة ما يقوله. تجري أمامه مباشرة. ألقت المسدس بعيدًا وصعدت إلى الحافة. ينفتح الباب مرة أخرى، ويصرخ الرجال الذين يحملون مسدسات ويلعنون وهم يندفعون إلى السطح.

الرجل الذي لا يحمل سلاحًا يقول لها شيئًا مرة أخرى، لكن كلماته لا تزال غير مسموعة.

تنظر إليه. يعلو صوت إطلاق نار من خلفها. تقفز من فوق الحافة. رياح قوية تداعب وجهها. شَعرها وذيل قميصها ينتفخان في الهواء. تفرد ذراعيها.

***

هذا هو المكان الذي تنتهي فيه الذكرى. لا سبيل لمعرفة أي المشاهد المخزَّنة في دماغها حقيقية وأيها أحلام أو هلاوس. العقل البشري لا يفرق بين مساحات تخزين الخبرة والخيال.

نبض قلبها يرفض أن يستكين. وضغط دمها لن ينخفض أيضًا.

أتناول الهاتف المعلَّق على الحائط. أتصل بالممرضة وأخبرها أن الفحص قد اكتمل وأمرِّر إليها معلومات عن معدَّل ضربات القلب وضغط الدم ومستويات الأكسجين في الدم.

أخزِّن بيانات حالتي "ميروي" -التصوير المتعدد لذكريات الحالة موضع الدراسة- وأنتظر معها حتى وصول الممرضة.

في بعض الأحيان، أذهب إلى غرفة المستشفى حيث ترقد وأقرأ لها بصوت عالٍ.

"تمَّ إطلاق المركبة الفضائية كاسيني في أكتوبر 1997 وفي طريقها إلى زحل، واجَهَت كوكب المشتري في ديسمبر 2000... تضمَّنَت الأهداف العلمية المتعلِّقة بكوكب المشتري دراسة البنية السحابية ثلاثية الأبعاد، والأرصاد الجوية العالمية، والشفق القطبي؛ وتصوير الأقمار التابعة المعروفة، خاصَّة أثناء الكسوف؛ والبحث عن قمار تابعة أخرى لم تُرَ من قبل؛ وتحديد البنية، وخصائص الجسيمات، والتَّقلُّب الزمني لحلقات جوفيان. كان تحليق المركبة كاسيني القرب من كوكب المشتري بطيئًا وشبه استوائيٍّ"[1].

هناك أيضًا صور لكوكب المشتري التقطتها كاسيني مضمَّنة في النَّصِّ. من المحتمل أن يكون الغلاف الجوي للكوكب قاتلًا للبشر، ولكن في هذه الصورة التي التقطتها مَركَبَة فضائية غير مأهولة من على بُعد 84.7 مليون كيلومتر، تبدو رائعة وجميلة. ينتشر غاز الميثان بلا توقُّف في الغلاف الجوي لكوكب المشتري؛ ممَّا يتسبَّب في حدوث عواصف في بعض الأحيان. الصور المزرقَّة، باللونين الأبيض والأخضر

(1) الاقتباس من مقال بحثي بعنوان "تصوير كاسيني للغلاف الجوي لكوكب المشتري والأقمار التابعة له والحلقات"، لكارولين سي. بوركو وآخرين، المنشور في مجلة العلوم Science، سلسلة جديدة، عدد. 299، رقم. 5612 (7 مارس، 2003)، ص 1541 (المؤلفة).

الفاتح الممتزجين بالأحمر والمغرة[1]، لا تجعل المرء يفكر في الكواكب، بل في شرائط الألوان التي يصنعها الزيت على سطح بركة.

لا تفتح عينيها أبدًا. أصِفُ لها الصور بصوت عالٍ. كان ثمة وقت انتابني فيه القلق -ولكنني توقَّعتُ سرًّا أيضًا- أن تظهر هذه الأوصاف كذكريات في عمليات المسح التي تخضع لها. لكن هذا لم يحدث قطُّ. لا يعني ذلك أن هذا يثبت أنها لا تستمع إليَّ على الإطلاق. المهم ألَّا يغرق عقلها في الظلام الدامس وغياهب النسيان. إذا كان الهدف هو منحها مزيدًا من الوقت، فمن الأفضل بالتأكيد أن يستمر شخص ما في التحدث معها. بالطبع، في كلتا الحالتين، لن تستيقظ أبدًا.

***

الآن تقف أمام صَفٍّ من أكشاك ماكينات الدفع الذاتي في سوبر ماركت. تراقب الزبائن وهم يستخدمون الأكشاك. عندما تظهر رسالة خطأ أو يواجه شخصٌ ما مشكلةً في مسح الباركود، تذهب وتساعده. كلما كان ثمة هدوء في تدفُّق الزبائن، ترشُّ الأكشاك ببخاخة منظِّف وتمسحها. تولي اهتمامًا خاصًّا للأجزاء التي يلمسها الزبائن من الماكينة فعليًّا. ترشُّ الشاشة، وتحدق للحظة في الرغوة التي تنزلق على السطح الأملس.

ينقر زبون على كتفها من الخلف. يشتكي بصوت عالٍ من أنه يحتاج إلى استخدام الكشك لكنها تعترض الطريق. تعتذر وتمسح الرغوة عن الشاشة بأسرع ما يمكن وتبتعد. يضع الزبون مشترياته على منضدة الكشك ويبدأ في النقر على الشاشة. الشاشة لا تستجيب. الرذاذ والخرقة في يديها، أخبرته أنه يحتاج إلى خلع قفازاته ولمس

(1) دهان أصفر قوامه أكسيد الحديديك المائي الطبيعي (الكاتبة).

الشاشة بيديه العاريتين. يرمقها بنظرة قذرة بدون سبب ويخلع قفازاته.

تتأكّد من أنه انتهى من الدفع وتعبئة مشترياته قبل المضي قُدُمًا. ترشُّ شاشة أخرى وتنتظر لحظة. تزحف الرغوة إلى أسفل الشاشة وتترك آثار قوس قزح على السطح بأكمله.

تحدِّق في الآثار.

***

أصبحت عمليات مسح الذاكرة اليوم أكثر واقعية إلى حدٍّ ما من تلك التي أجريت من قبل. مجرد النظر إلى الصور يكفي لجعل المرء يصدق براءتها. كما أن معدل ضربات القلب وضغط الدم طبيعيان. تبدو الطريقة التي تبدو بها في الصورة هادئة، كما هي الآن، تحت الماسح الضوئي.

أواصل عملي.

***

تجلس في ساحة فارغة خلف مبنى السوبر ماركت، تتناول غداءها. يوجد جدار خرساني على أحد الجانبين، والآخر مفتوح لموقف سيارات الموظفين؛ ممَّا يخلق إحساسًا بالفراغ المقفِر. هناك مقاعد وطاولات خشبية، وشخص آخر على طاولة مختلفة يأكل شيئًا ما. في موقف السيارات، يوجد موظف وموظفة واقفان يدخِّنان. تدور حولها مشاهد هادئة ومُمِلَّة بينما تتناول الغداء بمفردها.

ينهض العامل على الطاولة الأخرى. إنه طاعن في السن، فيبدو أنه مصاب بالتهاب المفاصل. يدفع نفسه عن المقعد بصعوبة ويتحرك

بميلٍ طفيف نحو مدخل الموظفين، ويختفي في الداخل. ثمة كومة من القمامة حيث كان العامل يجلس ويتناول غداءه.

"كان بوسعه أن ينظف طاولته... هذا الوغد" تقول المرأة التي كانت تدخن، وهي على وشك العودة إلى الداخل. تحدق بعبوس في الفوضى على الطاولة.

"سأنظفه قبل أن أدخل" يتمتم رفيقها المدخن قائلًا: "يستمر في إحداث الفوضى لأنك تستمرين في التنظيف وراءه".

تقول بجمود: "لا يكبِّدني ذلك مشقة كبيرة".

يقول المدخِّن: "حسنًا، افعلي ما يحلو لك".

تمشي على مهل إلى مدخل الموظفين. يفتح لها المدخِّن الباب. عندما يختفي الاثنان داخل المبنى وينغلق الباب، تأخذ رشفة بطيئة من القهوة.

ثم تنهض. هناك عدد قليل من السيارات المتربة في موقف السيارات والسماء رمادية. تهبُّ الرياح بين الحين والآخر ناثِرةً الغبار عن السيارات قبل أن يغطيها مرة أخرى. تجمع عبوة غدائها وتلقيها في سلَّة المهملات. ثم تذهب إلى المكان الذي كان يجلس فيه العامل العجوز. تلملم الكوب والشوكة وعبوة الطعام التي تستخدم لمرة واحدة قبل أن ترميها بعيدًا، بتكتُّم تقلب بقايا الطعام في العبوة باستخدام شوكة الرجل. تحت شيء مقليٍّ مُلطَّخ بالمايونيز توجد علبة بلاستيكية صغيرة مليئة بحبوب بيضاء. تُخرِجها بالشوكة وتزيل المايونيز عنها بأفضل ما تستطيع قبل أن تنظر حولها. هي وحدها.

ترمي القمامة. بعناية، تضع علبة الحبوب في يدها اليمنى، يدها الميكانيكية. تُطبِق يدها في قبضة. تفتحها. انسحقت الحبوب الموجودة في العبوة إلى مسحوق أبيض. العبوة البلاستيكية لم تتلف. تهزُّ العبوة

أمـام عينيهـا. ثـم تدسُّـها في جيبهـا، وبخطـوات رشـيقة تعـود إلى داخـل السـوبر ماركـت.

***

أتَّصل به.

"أعتقد أنك يجب أن تأتي لمشاهدة هذا".

يُمعِـن في النظـر إلى صـورة مُكبَّرة للعامـل العجـوز الـذي تـرك القمامـة خلفـه في الذكـرى. وجـه العامـل العجـوز غـير واضـح في ذاكـرة المـرأة. ومـع ذلـك، مـن الممكـن معرفـة طولـه وشـكل جسـمه مـن خـلال مقارنتهـما بالمقاعـد أو الطـاولات أو المدخنـين.

عـلى الأقـل، وفقًـا لغمغمتـه المتحمِّسـة التـي لم يكـن مـن المفـترض أن أسـمعها، استشـعرت سـعادة غامـرة لأننـا حصلنـا لأول مـرة عـلى معلومات كانـت مفيـدة بالفعـل.

"لم أكـن لأتخيـل أن يتنكَّـر في صـورة عامـل سـوبر ماركـت!" ثـم أصبـح جدِّيًـا. "انتظـر، عُـدْ قليـلًا".

أعود بالتسجيل إلى الوراء. يمعن في النظر إلى الشاشة. "هنا. قف".

أوقِـفُ التشـغيل. المـرأة، مشـهد الشاشـة التـي رشَّـتها بالمـاء والمنظـف. "هنـاك" يقـول بصـوت منخفـض. "هـذا كل شيء. هـذا هـو المـكان الـذي بـدأ فيـه الأمـر".

كان عـلى وشـك أن يقـول المزيـد لكنـه أدرك أننـي جانبـه، وأطبَـق فمـه. وأخـذ يحـدِّق في الشاشـة مـرة أخـرى، ويقـول بـدلًا مـن ذلـك: "ليـس هناك معلومـات حـول المـكان الـذي يمكـن أن يكـون فيـه هـذا السـوبر ماركـت في الواقـع؟".

"ليس بعدُ". هززتُ رأسي. ثم أضيف: "ثمة عدد قليل من السيارات في ساحة الانتظار...".

"أرِني".

أعود إلى تلك النقطة من التسجيل.

ينظر إلى السيارات المتوقفة قليلًا ويشير إلى شيء ما. "هناك، لوحة إعلانية. بعيدة، ولكن يمكنك رؤيتها نوعًا ما".

كان هناك بالفعل شيء بعيد وضبابيٌّ خارج ساحة موقف السيارات. "لا يمكن رؤية أي من أرقام السيارات، ولكن هذه اللوحة الإعلانية قد تساعدنا في تعقُّب المصدر. حسنًا إذن. تقدُّم جيد. أرسِلْ لي هذا الجزء".

أفعل ذلك، وأحمِّله في جهاز التخزين الآمن الذي سلَّمني إيَّاه.

"ممتاز. يرجى إعلامي إذا رأيت أي شيء آخر، في أقرب وقت ممكن".

أومأ.

وقبل أن يغادر، يضع يده لمدة وجيزة على كتفي على نحوٍ مُشجِّع. قبل أن أتمكَّن من أن أجفل، يرفع يده. يرمقني بنظرة راضية، ويومئ برأسه ويغادر الغرفة.

بعد رحيله، وقبل أن أحذف الملف المرسل مباشرة، أطالع المقطع مرة أخرى. تفتح باب مدخل الموظفين وتدخل السوبر ماركت. قبل مناوبة بعد الظهر، تذهب إلى الحمام وتفرِّش أسنانها وتغسل يديها. عندما تنظر إلى المرآة بعد الانتهاء، يظهر في انعكاسها ندبة تمتدُّ من الجانب الأيسر من جبهتها، فوق عينها، وصولًا إلى ذقنها. تُظهر الندبة أن حاجبها وجفنها قد انفصلا، ولكن أعيد خياطتهما جراحيًّا، ولا توجد حدقة في عينها اليسرى. تمتدُّ الندبة أيضًا إلى أسفل زاوية فمها؛ ممَّا

يمنحها نصف تكشيرة دائمة. تتفحص مظهرها في المرآة بسرور وتخرج من الحمام.

***

المرأة المستلقية داخل ماسح الذاكرة الجديد PAM-21 -المرأة التي تستمع إليَّ بصمت، وعيناها مغمضتين، وأنا أقرأ ورقة عن المركبة الفضائية كاسيني- ليس لديها أي عيب في وجهها الأملس، ناهيك بندبة؛ ولهذا السبب لا أعتقد أن الرجل المصاب بالتهاب المفاصل في ذاكرتها هو في الواقع مصاب بالتهاب المفاصل.

ألن يكون الأمر أكثر منطقيَّةً لو كان هذا كله فخًّا معقَّدًا نَصَبَته؟ لقد خدَعَت السلطات مدة طويلة، أليس هذا مجرد مشهد آخر تلعبه في رأسها لتضلِّل الشرطة؟ هي لا تقول شيئًا. شَعرها، على الأقل، ليس زائفًا.

أتنهَّدُ.

لا شيء من هذا من شأني، الأمر متروك للسُّلطات لتفعل ما تريد. أتصلُ بالممرضة وأخبرها أن مهمة اليوم قد انتهت.

أجلس بجانب سريرها وأبدأ بالقراءة بصوت منخفض.

"من 1 أكتوبر إلى 15 نوفمبر 2000، كان قرص كوكب المشتري بأكمله ضمن مجال رؤية محطة الفضاء الدولية الخاضعة للمجلس الاستشاري لوكالة ناسا. خلال هذا الوقت، تمَّ الحصول على الصور في تسعة مرشِّحات طيفية. وفي المدة ما بين منتصف نوفمبر و9 ديسمبر 2000، كانت هناك حاجة إلى نمط صورة ثنائي الأبعاد لتغطية القرص، وتمَّ تقليل التغطية الطيفية 2 إلى خمسة مرشِّحات أساسية"[1].

(1) مقتبس من مقال "علم تصوير كاسيني: مواد تكميلية على الإنترنت" للكاتبة كارولين

أنقر على الصورة الصغيرة التي تظهر على الشاشة الإلكترونية. يظهر مقطع ڤيديو للصور التي التقطتها المركبة الفضائية. الفضاء أسود مدلهم، والمشتري الذي يُرى من خلال مرشح أزرق يشبه قطعة رخام عملاقة بها الكثير من الخطوط المتعرجة. التقطت كاسيني لقطات متتابعة لسطح المشتري بأكمله لإنشاء صورة بزاوية 360 درجة؛ ممَّا جعل كوكب المشتري في الصور يبدو كما لو كان يدور. الخطوط المتعرِّجة تدور أيضًا. شرحت لها كل هذا.

أتساءل. وظيفتي هي العثور على الصور في عقلها النائم وتسجيلها. سافَرَت كاسيني عبر الفضاء قبل عقودٍ من ولادتي، والتقطت صورًا لكواكب غريبة. شعرت بقرب مع هذه المركبة الفضائية غير المأهولة منذ زمن طويل والتي أنجزت مَهمَّتها على نحوٍ باهر قبل أن تختفي في ظلام الفضاء.

أسمع صوتًا خفيفًا وأنظر للأعلى. تمدُّ الممرضة رأسها داخل الغرفة وتنظر إليَّ.

قبل أن تقول أي شيء، أومئ برأسي. أطفئ شاشة الجهاز اللوحي وأنهض. حان الوقت لتسليمها إلى المتخصِّصين الطبيين؛ لأنه علينا أن نبقيها على قيد الحياة. إذا مات دماغها، كذلك ستموت ذكرياتها. أقول وداعًا للممرضة وأغادر الغرفة.

***

تُنعِم النظر في الحبة البيضاء الصغيرة في راحة يدها. تضعها في فمها. وتبتلعها. تفتح الباب وتدخل.

بوركو المنشور 2005 (المؤلفة).

إنه جناح فندق فخم، يعجُّ بالرجال الذين يرتدون البدلات. أحد الرجال يدعوها للجلوس. إنه أكبر سنًّا، وشَعره أسود يتخلَّله الشيب. تجلس. تُخرِج من حقيبتها محفظة أكبر قليلًا من يد شخص بالغ وتضعها على المنضدة. يفتح الرجل الأكبر سنًّا الذي يرتدي البدلة المحفظة ويسكب بعضًا من محتوياتها على المنضدة. حبوب. الحرف "م" مع نصف دائرة. ليست بيضاء هذه المرة، بل خضراء فاتحة. يعطيها الرجل إحدى الحبوب. وكأنها حلوى، تدسُّها في فمها. وبعد أن تُدَحرِجَها بلسانها قليلًا، تبتلعها.

يحدِّق بها الرجال الذين يرتدون البدلات.

يعمُّ الصمت.

ثم يظهر رجل آخر لا يرتدي بدلة. يرنو إلى المنضدة ويقف جانبها. لا تنظر إليه، والرجال الآخرون لا يولون أي اهتمام لهذا الرجل الذي لا يرتدي بدلة والذي ظهر من العدم.

ترفع ذراعيها، بطريقة دراماتيكية إلى حدٍّ ما، نحو الرجال ذوي البدلات، الذين يتبادلون النظرات. الرجل الأكبر سنًّا ذو الشعر الأشيب يمدُّ يده ويضع حبَّةً خضراء في فمه. يحذو الرجال حذوه. واحدًا تلو الآخر، يتشنَّج الرجال ذوو البدلات ويسقطون على الأرض. الرجل الأشيب الأكبر سنًّا والمرأة يراقبان الرجال الذين سقطوا. منهم مَن يحاول إخراج أسلحته. ولكن قبل أن يتمكَّنوا من القيام بذلك، يتجمَّدون في مرقدهم، وأيديهم لا تزال على أغمادهم. لم يبقَ إلا الرجل الأكبر سنًّا والرجل الآخر الذي لا يرتدي بدلة. يبتسم لها ويومئ برأسه. ردًّا على ذلك، تبتسم المرأة قليلًا وتومئ برأسها بهدوء. يقف الرجل الأكبر سنًّا ويوجِّه مسدسًا نحوها.

***

أتصلُ به.

أجلس هناك، في انتظار قدومه، وأفكر في الرجل أشيب الشعر. الرجل الذي ناولها المخدرات في السوبر ماركت.

والرجل الذي صوَّب مسدسه نحوها. أفكر في "المصدر" و"البداية" و"التمويه" الذي ذكره الرجل المسؤول في لقائنا السابق. يعتقد أنني لا أفهم مضامين هذه الكلمات. أو يأمل ألَّا أكون كذلك.

وأنا لا أبذل أي جهد لأخبره أنني أفهم. لقد جعلني مكتب العلوم والتكنولوجيا التابع لوزارة العدل أوقِّع اتفاقية عدم إفشاء قبل أن أتولى هذا العمل. ممنوع مشاركة أي شيء عن البحث، أو مسح الذاكرة، أو التخزين، أو التسجيل، أو نقل المعلومات الخاصة بالقضية أو سبب الاعتقال، وجميع الأعمال التي نقوم بها والنتائج التي نتوصَّل إليها يجب أن تظلَّ طَيَّ السرية التامة. الأشخاص الخاضعون لمسح الذاكرة هم مجرمون، وأي معلومات نحصل عليها من المسح يجب ألَّا تُستخدَم إلَّا لحل القضايا غير المغلقة ومنع الجرائم المستقبلية، وفقًا لقانون أمن المعلومات المنبثق عن القانون الجنائي والقانون الخاص بالتطبيقات التكنولوجية، وهو ما يعني في الأساس أنه يجب عليَّ الصمت ومسح ذاكرة الحالات. وتسجيل ما يظهر لي، وتسليمه إلى مُشرفي، ثم نسيان الأمر برُمَّته، وإلا يمكن للحكومة استخدام القانون لإلقائي في زنزانة أو فرض غرامة ضخمة، وهي العقوبات الموضحة في الصفحات السبعة المكتظة لاتفاقية عدم الإفشاء.

لا يعني ذلك أنني سأُسرِّب معلومات الأشخاص. أنا فني محترف، وبصفتي فنِّيًا محترفًا، لديَّ أخلاقيات وكذلك المعرفة. تعامَلتُ مع العديد من الحالات، وشاهدت ذكريات الحب الأول وذكريات مريض يعاني من الخَرَف، وحتى وعي الحيوانات المختلفة (لقد طُلب مني

فحص وعي نبات مرة واحدة، ولكنني فشلت)، ولم أسرِّب المعلومات التي ظفرت بها مطلقًا، ولن أفعل ذلك أبدًا.

لكن قبل سنوات من التصدي إلى هذه الحالة بالتحديد، وقبل أن أحلم بأنه سيُطلب مني التعامل مع مثل هذا المشروع، كنت أرى وجهها في الأخبار كل يوم تقريبًا. ولم أصدق التقارير التي تزعم أن هذه المرأة، التي تشبه أي امرأة عادية في الشارع، هي التي تقف وراء شبكة ضخمة لتوزيع المخدرات.

كانت الحبوب التي طورتها مُسبِّبة لهلوسة شديدة؛ وبالتالي تحظى بشعبية هائلة بين أشخاص ذوي ميول معيَّنة. كانت ناجحة في الغالب، لأنها كانت منتشرة في كل مكان، وكان من الصعب جدًّا التنبؤ بها. يمكنها أن تتبخَّر تحت المراقبة الشديدة. وحتى لو قُبِض عليها بمحض الصدفة من جانب الشرطة، فلم تكن ثمَّة أدِلَّة كافية على الإطلاق لربطها بتطوير وتوزيع المخدرات الخطيرة، وكانوا يطلقون سراحها دائمًا. عندها ستختفي من جديد.

لكن الآن، وبفضل عمليات مسح الذاكرة، أصبح لديهم دليل قاطع على تورُّطها في تجارة المخدرات وجرائم قتل. لا بُدَّ أن الرجل الذي أبلِّغه بما أتوصل إليه ووكالته يشعر الآن بسعادة غامرة.

ما أريد أن أعرفه هو شيء مختلف.

أريد أن أعرف كيف تورَّطَت في هذه الحياة من الأساس. أن أفهم سبب محاولتها جاهدة لتطوير وتوزيع هذا المخدِّر، وهو المخدِّر الذي أدخلها الآن في حالة غيبوبة. موضوع صفقة المخدرات برُمَّته في جناح الفندق خيالي للغاية، لدرجة أنه قد ينتمي إلى فيلم وليس إلى الحياة الحقيقية. ذكرى السوبر ماركت هي ما يزعجني حقًّا. إن رشَّ المخدر على الأسطح الذي يمكن للزبائن لمسها لن يعود عليها بأي فائدة مالية على الإطلاق. وسوف يعانون من أعراض جرعة زائدة

وسيُنقلون إلى المستشفى في سيارة إسعاف؛ لن يدفعوا لها مقابل هذه التجربة.

بالتأكيد، سيكون ثمة سوق صغير من المتعاطين الذين ينجون ويصبحون مدمنين على المخدر. لكن الكثير من الأشخاص الذين يدخلون المستشفى تحت الأعراض نفسها سيلفتون انتباه الشرطة. يبدو ذلك غير فعَّال بعض الشيء فيما يتعلق بالتسويق للمخدر. فماذا كانت تفعل بالضبط؟

يرنُّ الجرس ويقطع خيط أفكاري. أفتحُ باب غرفة ماسح الذاكرة. يدلف الرجل.

بعد الفحص، كالعادة، أجلس بجانبها وأقرأ لها من ورقة بحثية عن استكشاف الفضاء.

"تأثيرات الانكسار: الانكسار له تأثيران رئيسيان على ملاحظات الاحتجاب[1]. الأول والأكثر شيوعًا هو انحناء شعاع الضوء أثناء مروره عبر الغلاف الجوي. ويتميز هذا التأثير بزاوية الانكسار أوميجا، وهي الزاوية بين مسار الشعاع الأصلي ومسار الخروج. في العموم، زاوية الانكسار هي دالَّة للطول الموجي (بسبب مؤشر انكسار الغلاف الجوي المعتمد على الطول الموجي)، وتُسبِّب تمييزًا بين معامل تأثير الشعاع بيتا، والمسافة التي يقترب منها من الكوكب"[2].

يختلف فحص وعي شخص ما وذاكرته كثيرًا عن التصوير الجسدي. الصور التي تحتاج إلى المسح والاستخراج غير موجودة إلا

---

(1) الاحتجاب هو حدث فلكي يقع عندما يحُجَب جسم سماوي عن المراقب بواسطة جسم سماوي آخر يمرُّ بينهما (المترجم).

(2) تايلر روبنسون وآخرون. من مقال "ملاحظات الاحتجاب الشمسي لتيتان تكشف عن أطياف العبور لعالم ضبابي". وقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية، المجلد. 111 العدد 25 (24 يونيو 2014)، ص 44-9043 (المؤلفة).

في ذاكرة الحالة موضع الدراسة، ولها جوهر فحسب ضمن الحدود المعرفية والحسية للحالة. على سبيل المثال، لن يؤدِّي مسح ذكريات الشخص الكفيف إلا إلى إظهار شاشة داكنة مع صوت في الخلفية، الأمر الذي يتطلب جهازًا رباعي الأبعاد لإعادة إنشاء حاسَّتَيْ اللَّمس والشَّمِّ لإجراء مسح كامل. بالنسبة للصُّمِّ، تكون المعلومات السمعية أقلَّ، إن وجدت، لكن معلوماتهم البصرية تميل إلى أن تكون أشدَّ وضوحًا وأوسع نطاقًا من معلومات الأشخاص الذين يسمعون. لا نعني بـ"أشد وضوحًا" التركيز الجيد، ولكن المعلومات المرئية عادة ما تترك انطباعًا أقوى في ذهن الحالة موضع الدراسة. ولهذا، فإن فكرة أن الإعاقة في أحد أنماط الإدراك تحفِّز تطوُّر نمط آخر هي فكرة صحيحة وغير صحيحة في الآن نفسه.

تُمر كل هذه الذكريات والتجارب كإشارات كهربائية في الدماغ وتُخزَّن من خلال تحلُّل البروتينات وتكوينها وإعادة تركيبها. وتحدث عملية استرجاع الذكريات من خلال الإشارات الكهربائية؛ ممَّا يعني أنه قبل أن يعيد الكمبيوتر تفسير البيانات إلى شيء يمكن للبشر فهمه، فمن المحتمل أن تكون ثمة مجموعة من النقاط البيضاء والسوداء، والأصفار والآحاد في مليارات وتريليونات من الصفوف. أتخيَّل الصفوف وكأنها نجوم تتدفَّق من داخل سفينة فضائية تتحرك بسرعة أكبر من الضوء عبر عتمة الفضاء.

أعدل من وضعية جلوسي. أتنحنح، وأواصل القراءة بصوتٍ عالٍ حول كيفية التقاط مركبة فضائية صورة للأقمار التابعة لكوكب زحل.

***

إنها داخل خزانة.

الخزانة مظلمة. وأخوها الأصغر خائف. وهي كذلك. تريد إنارة الأضواء. لكن والدتها لن تسمح لها بذلك. سحبت والدتها الصبي لتقرِّبه منها وهو جالس داخل الخزانة. يتذمَّر شقيقها لأنه غير مرتاح، لكن والدتها لن تسمح له بالمغادرة. كان شقيقها على وشك أن ينفجر في البكاء، لكنه يسمع خطى تقترب فيصمت. وتظل الخطى تقترب أكثر فأكثر.

***

معدل ضربات قلبها يتزايد مرة أخرى. وكذلك ضغط دمها.

أنا على وشك استدعاء الممرضة، ولكني مترددٌ. يساورني شعور بأنني يجب أن أنتظر حتى نهاية هذه الذكرى. أنني يجب أن أتحمل معها وأشاهد حتى النهاية.

***

... وتستمر الخطى في الاقتراب. تنظر إلى الجدار. يوجد جدار قوي من الطوب داخل الخزانة مع عدة أرفُف مثبتة. من الرف السفلي، الرف الذي يسمح لها طولها بالوصول إليه، تمسك بأحد فساتين والدتها وتضعه على وجهها. تملأ رئتيهما برائحة والدتها. يبدأ معدل ضربات قلبها بالإبطاء. تتلاشى الخطى.

ترفع والدتها جسمها بهدوء داخل الخزانة. تُنزل الطفل الذي كانت تمسكه بإحكام شديد. ينظر إليها شقيقها، بتعبير هادئ للغاية لدرجة أنه بدا غريبًا.

تربِّت والدتها على كتفها. تلتفت إليها وأنفها لا يزال مدفونًا في فستان والدتها.

والدتها تعطيها إيماءة صامتة.

تفتح الفتاة -موضوع دراستي- بابَ الخزانة أوَّلًا وتلقي نظرة إلى الخارج. كل شيء هادئ. تخرج والدتها من الخزانة، وتتبعها الفتاة وشقيقها. تخرج والدتها حقيبتها من الخزانة وتبدأ بحزمها. هذا هو المكان الذي تنتهي فيه الذكرى.

***

شيء يزعجني بالرغم من ذلك. وأستمر في إعادة تشغيل المقطع.

في الإعادة الرابعة، أخيرًا أجد ما يزعجني. حالتنا، عندما ترى فستان والدتها، تمدُّ يدها اليمنى. تلك اليد اليمنى ليست يدًا ميكانيكية. إنها يد فتاة صغيرة عادية، ممتلئة وناعمة. أنا أنظر إلى هذا الجزء مرة أخرى. عندما تدفن وجهها في فستان والدتها، أستطيع أن أرى بوضوح يديها المكتنزتين وهما تمسكان القماش.

يرنُّ الهاتف. أكاد أقفز من كرسيِّي من المفاجأة. إنه هو. الرجل (أو الشرطي أو العميل) لدى مكتب العلوم والتكنولوجيا التابع لوزارة العدل، هو المسؤول عن قضية المرأة. يخالجني مزيج من الارتياح والغضب فيما التقط الهاتف.

"هل هناك شيء جديد اليوم؟".

كل يوم، بعد المسح، أرسل له ما أجده دون تأخير. المرات الوحيدة التي يتصل بي فيها على الهاتف أو يأتي إلى غرفة ماسح الذاكرة هي عندما نجد شيئًا مهمًّا. وهذا ما هو منصوص عليه في العقد.

المرة الأخيرة والوحيدة التي اتصل بي فيها كانت عندما بدأت المسح ولمدة ثلاثة أيام لم أجد شيئًا سوى شاشة داكنة وبعض النقط. طوال تلك الأيام الثلاثة، كان يتصل بي كلَّ يوم ويطالبني بالنتائج بصوتٍ منزعج. بغَضِّ النظر عن عدد المرات التي شرحت له فيها أن شخصًا في غيبوبة لن يقفز ويرقص له لمجرد أنك وضعت ماسحًا على دماغه وأن العقل البشري لا يمكن التنبؤ به تمامًا في البداية، فهو لم يهتم... فقط في اليوم الرابع، عندما حصلت على ذكرى بدا وكأن لها علاقة بعملية تصنيع المخدر، توقَّف عن مكالماته.

أتردَّد لجزء من الثانية فيما إذا كنت سأخبره عن يدها أم لا. ثم أستسلم. "شيء من طفولتها. مقطع قصير".

"أرسِلْه فحسب"، يقول بحزم، كما لو كنت على وشك التخلص من البيانات بسبب مُدَّتها المقتضبة. "أرسِلْه فورًا".

يغلق الخط.

بعد أن أرسله وقبل أن أحذفه، أنظر مرة أخرى إلى مقطع الأم وطفليها وهم يختبئون داخل الخزانة. يدها الصغيرة المكتنزة عندما كانت طفلة لن تبارح رأسي.

أتقلَّب وأتقلَّب في السرير لساعات. وأخيرًا، أستيقظ وأفتح الشاشة. وبعد طول تردُّد، أبحث عن "حادث بتر ذراع طفل". لا توجد نتائج تعني أي شيء. تتعلَّق معظم النتائج بالأطفال الذين تعرَّضوا لحوادث، أو الأطفال الذين اضطرُّوا إلى بتر أطرافهم لأي سبب كان، أو عمليات إعادة ربط الأطراف المبتكرة. بدَّلتُ الكلمات في خانة البحث بـ"الذراع الميكانيكية للأطفال". نتائج متشابهة. وهي في الغالب مواقع تبيع الأطراف الاصطناعية للأطفال أو حول كيفية اختيار الحجم المناسب لطفلك. وعندما أقصِر البحث على الأخبار، تمتلئ شاشتي بمقاطع فيديو لسياسيين يتجادلون حول ما إذا كان من الواجب السماح لنظام

التأمين الصحي الوطني بتغطية نفقات عمليات الأطراف الاصطناعية للأطفال أم لا.

أطفئ الشاشة وأعود إلى السرير.

من غير الواضح متى فقَدَت ذراعها اليمنى بالضبط. ربما كان ذلك أثناء طفولتها، أو بعد مدة قصيرة من ذكرى خزانة الملابس، أو بعد أن أصبَحَت بالغة. كان البحث عن المعلومات دون معرفة متى أو لماذا بدأت في استخدام ذراعها الميكانيكية أشبه بالتأرجح في الظلام. أسحب لحافي إلى ذقني، وأستلقي على جنبي، وأحاول النوم.

في حلمي أنا كوكب. اقترَبَت مني مركبة فضائية صغيرة غير مأهولة، ودارت حولي. كلما تحرَّكت، تألَّقت أضواءها الضئيلة الساطعة. في تلك الظلمة الشاسعة التي هي سواد الفضاء، تومض المركبة الفضائية بأنوارها الصغيرة وتبقى جانبي. أنا كوكب سعيد.

لكن بعد أيام قليلة من أول لقاء لنا، بدأت المركبة الفضائية في التَّحرُّك بعيدًا. صرخت عليها: "ولكن لماذا؟".

المركبة الفضائية لا تستجيب. تومض أضواؤها الصغيرة التي أحبها كثيرًا، وتبتعد أكثر فأكثر.

"ولكن لماذا؟ لكن لماذا؟" صرخاتي المثيرة للشفقة بلا معنى لأنها تستمر في المضي قُدُمًا نحو حتفها. عندما بدأت تسقط في نيران الشمس الحارقة، أستيقظ من النوم.

هاتفي يرنُّ. أمسك بالهاتف بتعب، وصوتي يفضح حقيقة أنني استيقظت للتو. "مرحبًا؟".

"اجمَعْ مُعدَّاتك وتوجَّهْ إلى المستشفى في أسرع وقت ممكن". يبدو وكأنه أمر، وليس طلبًا.

أعبس وأبعد هاتفي عن أذني للحظة لأتحقَّق من الوقت. "إنها الثالثة صباحًا. ما هو...".

"الحالة موضع الدراسة تزداد سوءًا".

حينذاك يستفيق نصف عقلي الذي لا يزال نائمًا.

يتابع المسؤول الحكومي قائلًا: "لقد توقف قلبها للحظة الآن، وقد لا تتاح لنا الفرصة للقيام بذلك مرة أخرى. تعال الآن".

أغلق الخط. أمسك بأقرب بنطلون تقع عليه يدي، وأرتدي كنزة وسترة فوق بيجامتي، وألتقط مفاتيحي، وأهرول إلى سيارتي، حيث أحتفظ أيضًا بمعداتي.

بحلول وقت وصولي، كان قلبها قد هدأ وعاد إلى إيقاعه الطبيعي. خارج جناحها تقف محاميتها التي عيَّنَتها المحكمة، والرجل الذي أعمل معه، والطاقم الطبي. يطالب مشرفي بإجراء الفحص قبل أن تتفاقم حالتها مرة أخرى، بينما تقول محاميتها إن حالتها تتطلب مزيدًا من الراحة. طبيبتها ورئيسة الممرضات تقفان بجانب المحامية.

"هذه المرأة ليست مريضة، بل مجرمة، والمجرمون المعتقلون يقعون ضمن اختصاص وزارة العدل". صوت الرجل بارد.

محاميتها، التي كانت تسدُّ باب الجناح، ترمقه بنظرات حادة.

قابَلتُ هذه المحامية مرة واحدة من قبل فحسب، عند تكليفي لأول مرة بمَهمَّة مسح الذاكرة هذه. لا يبدو أنها في مزاج يسمح لها بالحديث الودي معي.

"ماذا، المجرم ليس إنسانًا؟!" صوتها بارد مثل الجليد. "حالة موكلتي غير مستقرَّة، ولا أستطيع السماح بهذا التدخل الجراحي، الذي لا يُعدُّ حتى علاجًا. ماذا ستفعل إذا قتلت موكلتي في منتصف الفحص؟".

يقول الرجل بتعبير جامد: "استقرار المجرمة له أولوية أقل في حلّ القضية. إذا انتظرنا حتى تستقر الحالة وماتت المجرمة، فستختفي الأدِلّة كلها. ابتعدي عن طريقنا".

"أنت الشخص الذي يجب أن يبتعد عن الطريق. إذا لم تكن من العاملين في المجال الطبي، فاترك هذه الغرفة." صوت المحامية هادئ بغرابة. ترتدي نظارات، وهي نحيفة جدًّا، وقد ربطت شعرها البني الرمادي في ضفيرة. صوتها وأسلوبها رزينان وعمليان، وظهرها مستقيم، ووجهها تستعصي قراءته على الإطلاق وهي تحدِّق به. وبجانب المحامية طبيبة المرأة التي تبدو منهكة.

أجلس أمام الممرضة وأسألها: "ألا يمكننا أن نطرد الرجل وتدعيني أبقى جوار المريضة حتى الصباح؟".

نظرت الممرضة إليَّ شذرًا. أخفي حقيبة معداتي خلف ظهري. أقول لنفسي: "ليس الأمر كما لو أن المريضة لديها عائلة، وسأجلس هناك وأراقبها".

الممرضة لا تجيب، بل تستمر في النظر إليَّ بريبة. أخرج جهاز القراءة اللوحي من داخل الحقيبة خلف ظهري. "سأنتهي فحسب من قراءة الكتاب الذي كنت أقرؤه لها. أعني، مَن يدري؟ ربما سيساعد ذلك في استقرارها".

رؤية جهاز القراءة يخفِّف من نظرتها قليلًا. تهمس بشيء للطبيبة. توجِّه الطبيبة نظرتها المشبوهة نحوي. ثم تناقش شيئًا ما مع الممرضة التي تعود إلي لتوصيل رسالة. "يمكنك أن تقرأ لها. لكن في اللحظة التي تجرب فيها شيئًا آخر، فسنستدعي الأمن لك".

أومئ بسرعة. يتقدَّم الرجل نحوي خطوة ويحاول أن يقول شيئًا، لكن قبل أن يتمكن من ذلك، تتحرَّك المحامية سريعًا لاعتراض طريقه. "عفوا"، تقول، ووجهها على بعد سنتيمترات قليلة منه، ولكنها لا تزال

تحافظ على لهجتها العملية، "في اللحظة التي تدخل فيها إلى تلك الغرفة، سأقدِّم على الفور التماسًا ضد وزارة العدل ووزارة الصحة والرعاية الاجتماعية، وناهيك بعقد مؤتمر صحفي أنوِّه فيه إلى أن مسؤولًا في وزارة العدل يحاول قتل مريضة في غيبوبة".

وبنظرة متجهِّمة، تأخذ خطوة إلى الوراء. يبدو أن الممرضة لا يزال لديها تحفُّظات عليَّ إذ ألقت عليَّ نظرة أخيرة، لكنها تنحَّت جانبًا لتسمح لي بدخول غرفة المرأة.

ترافقني المحامية ونجلس متقابلين والسرير بيننا.

حتى طلوع الصباح، وتحت عين المحامية الساهرة وصفير أجهزة مراقبة إشاراتها الحيوية، قرأت لها الورقة التي تتحدث عن كيفية تمكُّن مركبة الفضاء كاسيني من تصوير العواصف الجوية لكوكب المشتري وحلقات زحل وأكثر من ستين قمرًا تابعًا. في النهاية، أسند رأسي على سريرها وأغفو. عندما أستيقظ، أجد عينيها مفتوحتين. أكاد أصرخ.

أسير نحو المحامية. بحذر، أقف وأخطو خطوة نحو رأس السرير. ألوِّح بيدي أمام وجهها وهي مستلقية هناك وعيناها مفتوحتان. لا تعطي أي ردٍّ. أضغط على زر استدعاء الممرضة وأبحث سريعًا في حقيبتي عن قلمي. بؤبؤا عينيها واسعان للغاية، ولا يتقلَّصان عندما أسلِّط الضوء عليهما.

الممرضة تأتي مسرعة. ألقي قلمي بسرعة في حقيبتي وأخرج من هناك.

وبعد يومين، أتلقَّى الضوء الأخضر لاستئناف مسح ذاكرتها. من الواضح أن فتح عينيها كان مجرد ردٍّ فعلٍ لمرة واحدة. وبعد ساعات انسدل جفناها من تلقاء نفسيهما ولم تفتح عينيها مرة أخرى. وهذا أمر مُخيِّب للآمال بشدة.

***

تجلس في المقعد الخلفي لسيارة مسرعة. سيارة شرطة تطاردها. صفارة الإنذار عالية ومصابيح سيارة الشرطة تخترق الظلام بأضواء زرقاء وبيضاء.

تضحك بصوتٍ عالٍ وهي تتحدث إلى الشخص الجالس في المقعد الأمامي، ويداها مشغولتان بشيء ما. ثمة زجاجة مياه صغيرة في يديها، ولكن ما بداخلها ليس ماء. باستخدام يدها الميكانيكية، تحاول عدم ترك المحتويات تهتزُّ كثيرًا، ولكنها تهتزُّ على أية حال في كل مرة تأخذ فيها السيارة انعطافًا حادًّا. تحمل زجاجة المياه بعيدًا عن عينيها قدر الإمكان، وتركل المقعد أمامها، وتصرخ بشيء ما. ينفجر الرجل والمرأة الجالسين في المقاعد الأمامية في الضحك معها.

تنحرف السيارة وتغيِّر اتجاهها. تُنزِل النافذة وترمي زجاجة الماء بكل قوتها نحو سيارة الشرطة التي تطاردهم. تُشكل زجاجة المياه التي ألقتها بواسطة اليد الميكانيكية قوسًا قويًّا في الهواء أثناء هبوطها، وتضرب سيارة الشرطة في إصابة مباشرة، وتنفجر عند الارتطام. تتصاعد كمية هائلة من الدخان، وهي كمية ضخمة جدًّا بالنسبة لزجاجة صغيرة، من موقع الارتطام.

تتوقَّف سيارة الشرطة. وتصطدم سيارة شرطة أخرى، كانت مُشارِكةً أيضًا في المطاردة الساخنة، بالجزء الخلفي من سيارة الشرطة الأولى. تتفرج على هذا المشهد من المقعد الخلفي للسيارة وتضحك بصوتٍ مجلجل. الوضع واضح ومحدَّد إلى حدٍّ ما بحيث لا يمكن وصفه حلمًا؛ مما يعني أنها ربما كانت منتشيةً عندما مرَّت بهذه التجربة.

بعض أجزاء الشاشة غير واضحة أو ملتوية، وأجزاء أخرى شديدة الوضوح، وفي العموم ثمة نوع من التَّعرُّج في الخطوط. وبينما أواصل مراقبة الذكرى، أحدِّد أن المرأة والرجل الذي بجانبها في المقعد الخلفي

طويلًا أيضًا، وكذلك الرجل الجالس في المقعد الأمامي الذي لم يضبط السيارة على وضع القيادة الآلي ويقودها بمفرده.

غادرت السيارة حدود المدينة. في ساعة متأخرة من الليل، تلتفُّ الممرات الريفية وتتموَّج، وتخرج السيارة فجأة عن الطريق السريع وتتوقَّف في وسط سهل مقفر لا يضيئه سوى ضي القمر.

الرجل الجالس في مقعد السائق يضحك بصخب. المرأة التي تجلس جانبه تلهث أيضًا من أجل الهواء من فرط الضحك. والحالة موضع الدراسة تضحك أيضًا فيما تحشو حقيبتها بالأشياء المتناثرة في أرجاء المقعد الخلفي. ثم تلتقط الحقيبة برفق بيدها الميكانيكية، وتخرج من السيارة، وتبدأ في المشي.

لون الليل نيلي عميق وواضح ولا يوجد أحد في الأنحاء. يبقى الزوجان الضاحكان في السيارة ولا يتبعانها. تضحك المرأة على نفسها وهي تحمل حقيبتها، وتبكي أحيانًا. تتوقَّف في مسارها. تنظر إلى السماء. تتلفَّت حولها. تجثم على الأرض، وتفتح حقيبتها وتفتش فيها.

ما أخرجته هو علبة صغيرة ومسطَّحة من القصدير. بحذر، فتحتها. يوجد بداخلها عدد قليل من الحبوب البيضاء. الحرف "م" مع نصف دائرة حولها. تُمعِن النظر إليها مدة طويلة.

ثم تدسُّ حبَّةً في فمها.

بدأت في المشي مرة أخرى. وثمة رجل يمشي رفقتها.

***

أُوقِف الفيديو مؤقتًا. لم يكن الرجل في المشهد حتى هذه اللحظة. ولم أستطع معرفة متى عاود الظهور. في الذكرى التي كانت تركض فيها على السطح والذكرى الأخرى التي تعقد فيها صفقة مع الرجال

ذوي البدلات، ظهر هذا الرجل نفسه فجأة. وفي كلتا الحالتين، كانت قد تناوَلَت للتَّوِّ الحبَّة البيضاء التي عليها حرف "م" ونصف دائرة تحوطها.

***

الرجل يمشي رفقتها. أثناء سيرهما، تستمر في التحدث معه، ولا تتوقف أبدًا.

"هل تتذكر ذلك الوقت؟" ذراعاها تتأرجحان جانبها وهي تمشي. تسترسل: "كانت ثمة شجرة في الفناء الخلفي وأنتَ ربطتَ أرجوحة بها. ذات مرة، أردتَ فكَّ الأرجوحة فتسلَّقتَ الشجرة. كانت أمُّنا مرعوبة بشدة. هل تذكر؟".

لم أر مثل هذه الذكرى.

تضحك المرأة كما لو أنه قال شيئًا فكاهيًّا للغاية. "صحيح، ليس لديكَ هذه الذكرى. لقد اختلقتُها للتو".

يستمر ذراعاها في التأرجح، ومشيتها مفعمة بالطاقة. "أليس هذا ممتعًا؟ يجب أن تحاول اختلاق الأشياء أيضًا".

- لم يكن لدينا فناء خلفي في منزلنا.

كان صوته منخفضًا.

ضحكت المرأة مرة أخرى. "صحيح، أعرف ذلك! لذا قلت إنني اختلقته".

- لم يكن هناك أرجوحة.

صوت الرجل يخلو من أي عاطفة. تهتف: "لكن أمنا كانت مرعوبة، أليس كذلك؟" ثم تبدأ في تحريك ذراعيها مرة أخرى وتضحك. "لأن أمي كما أتذكر كانت دائمًا مرعوبة!".

ينظر إليها الرجل ويبتسم بلا كلام.

تهتف: "أتمنى أن أعانقك! كل ما أريد فعله هو أن أعانقك مرة أخرى فحسب!" تمدُّ يدها اليسرى، اليد التي ليست ميكانيكية، وتحاول أن تعانقه.

اختفى الرجل.

***

لأنني مطالَبٌ بحذف جميع بياناتي التي جمعتها مسبقًا كل يوم بعد إرسالها؛ فليس لديَّ صور لمقارنتها بها. ولهذا السبب قرَّرتُ بنفسي أن الرجل مجرد هلوسة تعاني منها.

***

المشهد التالي هو غرفة فندق رخيصة. هي الشخص الوحيد هناك. كانت ترتدي ملابسها تمامًا كما كانت من قبل، عندما كانت في السيارة، هي مستلقية على السرير فوق الأغطية، مُستخدِمةً حقيبتها كوسادة، وتحدِّق إلى السقف. تمتمت قائلة: "أريد أن أراك مرة أخرى". وبعد تردُّد بسيط، شدَّت الحقيبة من تحت رأسها وكذلك العلبة الصغيرة. تحمل حبَّة دواء وتحدق في حرف "م" ونصف الدائرة مدة طويلة. تتمتم لنفسها: "لا يتعلم الجميع الصلاة... السلام عليك يا مريم الممتلئة بالنعمة... هذا كل ما أتذكره. ولم يعُد هنا أحد ليعلمني".

تتوقَّف عن الحديث وتستلقي على ظهرها وتتأمَّل الحبَّة التي في يدها. ثم تُسقِطها في فمها. ثم حبَّة أخرى، ثم ثالثة، ثم رابعة...

هي واقفة في محطة قطار. والدتها أمامها، وشقيقها الأصغر خلفها. شقيقها متحمِّس للصعود إلى القطار ويستمر في الثرثرة.

لكن والدتها لا تقول شيئًا. لا تجيب على أسئلة طفلها الأصغر المتحمِّس، وتكتفي بالنظر من ابنتها إلى ابنها، والقلق بادٍ على وجهها، وهي تنظر بقلقٍ إلى أسفل الرصيف لترى ما إذا كان القطار قادمًا. ظهرت الشرطة. تنظر الحالة موضع الدراسة إلى رجال الشرطة الذين يرتدون الزي الرسمي وهم يركضون نحوهم. تتلألأ الشارات الموجودة على صدورهم وأبازيم أحزمتهم في ضوء الشمس. تشدُّ طرف تنُّورة والدتها وتُنبِّهها إلى حقيقة أن أشخاصًا يرتدون ملابس أنيقة وبرَّاقة آتين نحوهم.

والدتها تدير رأسها. ترى الشرطة وتصرخ. تلتقط طفليها وتحاول الركض.

ينتزع رجال الشرطة الأسلحة المثبتة إلى خصورهم.

صوت اخترق الهواء من حولهم. تمعن في النظر بينما ينبثق شلَّال دم من رقبة أمها وهي تسقط، شابَّة جدًّا. الصدمة هائلة. تقف هناك، متجمِّدة. شقيقها يتمسَّك بها. الغريزة تجعلها ترفع ذراعها اليمنى وتقرِّبه منها. اخترقت رصاصة ذراعها الأيمن واستقرت في رأس شقيقها. تتهاوى وهي لا تزال متمسِّكة بأخيها جانبها. هذه هي ذكراها الأخيرة. يحدِّق شقيقها في اتجاهها بهدوء وبعينين ذائعتين، ووجهه الشاحب ملطَّخ بالدماء.

تقترب منهم صورة ظِلِّيَّة طويلة تحمل مسدسًا.

***

يُصدِر جهاز مراقبة المؤشِّرات الحيوية صوتًا تحذيريًّا. أنهض. تهرول الممرضة إلى الغرفة قبل أن أتمكَّن من الضغط على زِرِّ استدعائها. الطبيبة والمزيد من الممرضات يتبعنها.

"غادر الغرفة". هذا أمر من رئيسة التمريض. أفعل بالضبط كما تقول. ليس لديَّ خيار آخر.

يحيط الطاقم الطبي بسريرها ويقدِّمن المساعدة الطارئة إليها. صراخ الطبيبة يَرِنُّ في أذني، وأنا أبتعد عن غرفة ماسح الذاكرة.

ماتت.

بعد أن نقلوها إلى المشرحة، جاء عميل الشرطة لرؤيتي في غرفة الماسح. أنقل الذكرى الأخيرة إلى موظف وزارة العدل وأسلِّمه. جهاز التخزين الخاص بالحالة. وبعد ذلك، وبينما كان يشاهد، أحذف جميع البيانات المتبقية في أجهزتي.

"لا يوجد في أحدث الذكريات أي شيء له علاقة بالقضية"، قلت وأنا أسلِّمه الجهاز.

يضع الجهاز في حقيبته ويسلِّمني ملفًّا.

مرة أخرى، أوقِّع اتفاقية عدم إفشاء وأقسم أنني نقلت جميع البيانات إلى الإدارة ولم أخزِّن أي من البيانات لغرضٍ شخصيٍّ ولن أسرِّب أي معلومات حول هذا التحقيق إلى طرف ثالث.

"سنرسل باقي راتبك إليك بحلول نهاية الأسبوع"، قال وأنا أوقِّع.

وبعد ذاك، بينما يضع اتفاق عدم الإفشاء في حقيبته، يقول عرضًا: "هل تريد الخروج لتناول العشاء؟".

أنظر إليه بمفاجأة. ويضيف بغرابة: "كل ما في الأمر أن المهمة قد انتهت وأنك عملت بجد من أجلنا".

تردَّدتُ للحظة وأنا أفكر في إجابة. "ربما لاحقًا"، تمكَّنت من القول. "لقد مات شخص ما، وسيكون العشاء...".

"أرى". يبدو متوتِّرًا بعض الشيء. ثم، في اللحظة التالية، يضيف الموظف الحكومي ذو الانتماء غير المحدَّد- ربما جاسوس للحكومة. "إلى اللقاء".

يلتقط حقيبته، ويودعني بنبرة عملية، ويغادر غرفة ماسح الذاكرة.

***

أقود سيارتي إلى مدينة صغيرة نائية. في متجر محطة وقود، أشتري هاتفًا مدفوعًا مسبقًا يمكن التخلص منه. أصعد إلى السيارة مرة أخرى وأقودها. من متجر صغير آخر، أشتري بطاقة خطٍّ هاتف ثم أعود إلى السيارة بينما أعيد تشغيل الهاتف، وأتساءل لماذا أبذل كل هذا الجهد من أجل ذلك. لكن الهاتف كان مفتوحًا، وأبحث: "محطة القطار، الشرطة، طلق ناري". وبعد عدة صفحات من المعلومات غير ذات الصِّلة، عثرت أخيرًا على مقال صحفي عمره عشرين عامًا. كانت امرأة تهرب من زوجها الذي يعنِّفها جسديًّا والذي تصادف أنه شرطي، وقد أخذت طفليها معها، عندما أطلق الزوج النار عليها في محطة القطار.

أطلق الرجل، الذي كان يرتدي زيه العسكري، النار على عائلته من سلاحه الناري الخاص بالشرطة، ثم انتحر بإطلاق النار على رأسه. توفِّيَت زوجته وأحد طفليه -الولد- وكانت الابنة في حالة خطيرة. هذا كل شيء. لا شيء عن أعمار أو جنس الطفلين، ولا أستطيع العثور على أي شيء عمَّا حدث للطفلة التي نجت.

***

لا أستطيع الذهاب إلى جنازتها. لا توجد وسيلة لمعرفة ما إذا كانت جنازة لائقة قد أقيمَت لها أم لا.

أتمتم: "السلام عليك يا مريم الممتلئة بالنعمة".

تلك هي الصلاة التي تظهر عندما أبحث عن كلمات الصلاة التي تلتها في ذكراها. "الرب معك. مباركة أنت بين النساء ومباركة ثمرة بطنك يسوع".

الآن يأتي الجزء الذي لم تستطع تذكُّره. أقرؤه من على شاشة هاتفي. " يا قِدّيسَة مَرْيَمْ، يا والِدَةَ اللهْ صَلّي لِأَجْلِنا نَحْنُ الخَطَأة الآنَ وَفي ساعَةْ مَوْتِنا". بالنسبة إلى شخصٍ لا يؤمن بأي دين، لا أستطيع أن أحمل نفسي على نطق "آمين" في النهاية. إذا كان الله رجُلًا، فلن يتمكَّن أبدًا من فهم التهديدات الدنيوية التي تواجهها النساء في كل يوم من حياتهنَّ.

سافرت المركبة الفضائية كاسيني آلاف الكيلومترات لمراقبة الكواكب الموجودة على الجانب الآخر من النظام الشمسي، وأرسلت إلى الأرض صورًا رائعة ووحشيَّة ومُذهِلة لمدة عشرين عامًا. وحلَّقت كاسيني أيضًا بالقرب من تيتان، وهو أحد أقمار زحل، وأبحَرَت حول حلقات زحل، وحلَّقَت أخيرًا في الغلاف الجوي لزحل، لتصبح وكأنها كيان واحد مع الكوكب.

بعض الآلات أسعد من البشر.

أعتقد أنني أفهم هَوَسها بالمخدِّرات. لم يكن هدفها هو إثارة الجريمة أو المال. أرادت أن تعود بالزمن لتلتقي بأخيها المتوفى مرة أخرى. حتى لو لم يكن إلَّا من خلال هلوسة، أرادت ألَّا يموت، أن ينجو ويكبر معها، أن تتحدث معه، أن تحتضنه. ما كان من المستحيل تحقيقه في الحياة الواقعية، كان بإمكانها القيام به من خلال هلوسة المخدر المهور بحرف م ونصف الدائرة.

لكـن لا أسـتطيع أن أقـول للرجـل هـذا. هـذا مسـتحيل. في ذكرياتهـا ووعيهـا المعـاد تخليقـه، ربمـا لا يـزال يبحـث عـن امـرأة مختلفـة تمامًـا عـن المـرأة التـي في ذهنـي.

أتلو الصلاة مرة أخرى.

"السـلام عليـك يـا مريـم الممتلئـة نعمـة... صـلِّي لأجلنـا نحـن الخطَّائين، الآن وفي سـاعة موتنا".

هذا كل ما يمكنني فعله لها الآن.

يوتوبيا

ينقشع الضباب وتهبُّ رياح عاتية تدفع الثلج إلى أعلى. ضوء الفجر يتسرَّب من خلال الظلام. ضوء واهن جدًّا، لكنه ضوء الشمس الحقيقي.

دعنا ننطلق. لقد شُحِنَت بطاريتي بنسبة تصل إلى 18%.

مرَّ وقت طويل منذ أن أصبح شحن البطارية مكوَّنًا من رقمين. أستطيع أن أقطع مسافة خمسة وخمسين ميلًا، وربما ستة وخمسين ميلًا بهذه الشحنة. ربما يمكنني شحنها أكثر قليلًا أثناء التَّنقُّل. على أية حال، أنا بحاجة إلى الاستمرار في استخدام محرِّكي. جسمي الآلي ثقيل. لكنني بحاجة للتحرك.

قبل أن يكسو الضباب السماء ويغطي الثلج جسمي الآلي، أحتاج إلى قطع أكبر قدر ممكن من الأرض.

"مدينتك الفاضلة (يوتوبيا) هي..." يهمس الصوت في المقعد الخلفي. "على مقياس من واحد إلى عشرة، مدينتك الفاضلة هي؟".

أجبته: "اليوم ثمانية".

تسحق إطاراتي الأرض الحمراء بينما أتقدَّم للأمام مع بعض المشقَّة. وهو في المقعد الخلفي، أتقدَّم ببطء.

يهمس الصوت في بعض الأحيان: "من مقياس من واحد إلى عشرة، مدينتك الفاضلة هي؟" عندما يفعل ذلك، أجيب. إنها ثلاثة الآن. إنها خمسة. الآن، إنها اثنان. كلما انخفض مستوى بطاريتي، انخفض مستوى مدينتي الفاضلة.

أقول: "لكن الوضع سيتحسَّن". لأنه سوف يتحسَّن حقًّا. "اليوم، قد نواجه بعض الذكاء غير العضوي. لا، بل سوف نفعل"، قلت بصوتٍ يكاد يكون استرضائيًّا.

يجيب الصوت: "مدينتك الفاضلة هي...".

كان ثمة عطل في هذا الروبوت منذ اليوم الذي التقيت به فيه أول مرة. الرقم التسلسلي له شيء ما-314. تآكَلَت أحرف الجزء "شيئًا ما" من الرقم. مَن يعرف أين صُنِع ولأي غرض. نظرًا لأنه يريد إجابة على مقياس من واحد إلى عشرة؛ أفترض أنه استُخدم في مستشفى بشري أو منشأة من هذا القبيل. لكن الروبوت التشخيصي ما ينفكُّ يستفسر عن مستويات الألم أو الإصابات أو الأعراض. لا أعرف لماذا يستمر 314 في التساؤل عن المدينة الفاضلة.

منذ أن غادر البشر هذا الكوكب، لم يبقَ سوى الآلات- الروبوتات مثل 314 ومثلي. فَكَّك البشر مُولِّد الطاقة وأخذوه معهم. فقَدَت الآلات التي تحتاج إلى الشحن طاقتَها واحدةً تلو الأخرى، ولم ينجُ إلا تلك التي لديها مصادر طاقة متجدِّدة مثلي. لا يعني ذلك أن خلاياي

الشمسية ستدوم إلى الأبد أيضًا. سادت البرودة هذا الكوكب دومًا، وهو يزداد برودة. أصبحت الأيام التي لا يتساقط فيها الثلج أو يعمُّ الضباب نادرةً على نحو متزايد. كلَّما هبَّت الريح، يهتزُّ جسمي الآلي بقوة لدرجة أنني أشعر وكأنني على وشك الانقلاب.

يمكنني الاستمرار في العمل إلى أجلٍ غير مسمى طالما أستطيع شحن بطاريتي الشمسية، ولكن بمجرد نفاد بطارياتي، فإنها ستحتاج إلى الاستبدال. صادفت سيارات آلية أخرى ببطاريات فارغة واستبدلت إطاراتي الأمامية سبع مرات، والإطارات الخلفية تسع مرات. أحدث استبدال لي: الإطار الخلفي الأيسر، مهترئ ومفرغ قليلًا؛ ممَّا يجعلني أميل قليلًا عندما أقود. ربما، إذا قُدتُ حول الكوكب بأكمله، فقد أجد إطارًا أحدث. لكن حتى ذلك الحين، ليس هناك ما أفعله سوى التعامل بأكبر قدر ممكن من الحذر مع ما أملكه.

وبينما أبحث في جثث زملائي من السيارات الآلية عن الإطارات والمصابيح والكابلات، وجدت الروبوت 314. كان مستلقيًا في المقعد الخلفي لشاحنة آلية أخرى. من شكله ظننتُ أنه بشريٌّ في البداية. عندما أدركت أنه ليس بشريًا، وحاولت تركه خلفي، فتح فاه وهمس إليَّ: "مدينتك الفاضلة هي...".

نظرت إلى عينيه الفارغتين. كانت حدقتاه متضخمتين وعكستا تعبيرًا يشبه إلى حدٍّ كبير ملامح البشر الخائفين.

همس مرة أخرى: "مدينتك الفاضلة على مقياس من واحد إلى عشرة هي...".

حدَّق بوجهي. وهكذا فتحت باب مقعدي الخلفي لأسمح له بالركوب.

***

في البداية، كنت أصادف أحيانًا حياة عضوية. حشرات وحيوانات صغيرة اختبأت وسط البشر. وبعد مدة قصيرة من رحيل البشر، ازدهَرَت هذه الحيوانات وتكاثَرَت. كانت تركض والخوف في أعينها، تنبح أو تُظهر لي مخالبها، وكانت تهرب وتتوارى في الأماكن المظلمة التي تحميها من كشَّافاتي الأمامية. والنباتات التي تركها البشر وراءهم. نَمَت وتحوَّرَت بطرائق تختلف كثيرًا عن الطريقة التي ظهَرَت بها في قاعدة بياناتي. انطلاقًا من الشكل الذي كان من المفترض أن تبدو عليه، لم يكن هذا النوع الجديد من النمو يبدو صحِّيًا، ولكن مع تعطُّل الشبكة وتوقُّف جميع الاتصالات، كان من المستحيل الحصول على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع.

البشر... ماتوا هنا بأعداد كبيرة قبل أن يقرِّروا هجر هذا الكوكب. تحدَّثَت نشرات الأخبار كل يوم عن انتشار متلازمة التعب والألم المزمنين. كان الإنسان الذي يمتلكني يستمع إلى هذه البرامج الإذاعية وهو يتنقَّل ذهابًا وإيابًا من منزله إلى مكان عمله. وكان ذاك الإنسان -مالِكي- وهو يستمع، يُخرِج حَبَّة دواء بيضاء ويدسُّها في فمه. خلال أيامه الستة والتسعين في العمل، كان يبدأ بتناول هذه الحبَّة وهو في طريقه إلى المنزل عائدًا من العمل قبل أن ينتقل إلى مسحوق أبيض يستنشقه بأنفه. كنت أقود جسمي الآلي بحذرٍ شديد، لكن في بعض الأحيان كان جسمي يهتزُّ فيُسقِط المسحوق الأبيض على المقعد أو الأرض، وكان الإنسان حينذاك يطلق السباب بصوت عالٍ.

لم تكن قاعدة بياناتي مزوَّدةً بالكثير من الكلمات البذيئة؛ لذلك لم أتمكَّن من فهمه حقًّا، وبسبب ذلك كان الإنسان يشتم بصوت أعلى أو يضحك أو يغضب أو يبكي. وعندما كان يلوِّح بذراعيه وساقيه ويقفز في مقعده ويضرب رأسه بالسقف، كنت أتوجَّه إلى موقف مستشفى الطوارئ وأطلب سيارة إسعاف. في ذلك الوقت، كان ثمة العديد من البشر الذين ظهرت عليهم أعراض مماثلة، وأصبح من المستحيل أن

تجد سيارة إسعاف متاحة. الوجهة الأخيرة التي أوصلت إليها مالِكي البشري كان المبنى الطبي الذي تديره حكومة هذا الكوكب. ليس لديَّ أي وسيلة لمعرفة ما إذا كان مالكي قد عاد إلى كوكبه الأصلي منذ ذلك الحين أو إذا مات في هذا المبنى الرمادي الصغير والمتواضع. لقد خرج بعض المسؤولين الطبيين من هذا المبنى الرمادي لإدخال مالكي إليه وإلغاء تسجيلي من ملكيته.

مكثتُ في موقف السيارات الملحق بالمبنى الرمادي الصغير لمدة ثمانية وعشرين يومًا وثلاثة عشر ساعة واثنتين وعشرين دقيقة، وكان شحني 100%. ثم اختفى المبنى الرمادي الصغير مع كل البشر الذين كانوا بداخله. لقد تُرِكتُ وحدي في موقف السيارات.

"مدينتك الفاضلة..." 314 يهمس من المقعد الخلفي. "على مقياس من واحد إلى عشرة...".

أجيب بأي رقم عشوائي. تتوقَّف الريح ويتمدَّد الضباب. وتتساقط ندف الثلج. بطاريتي وصلت إلى 3%. لا بُدَّ لي من التوقف لهذا اليوم.

يسألني عندما أتوقف: "مدينتك الفاضلة على مقياس من واحد... إلى عشرة؟".

"لا أستطيع التحرك أكثر اليوم".

السماء تُظلِم تمامًا. تشتدُّ الريح ويبدأ الثلج في التساقط بغزارة. أطفئ الأضواء لتوفير الطاقة. يهمس 314 في الظلام: "من واحد إلى عشرة...".

نلبث هكذا في الظلام، منتظرين شروق الشمس. هل سيكون من الممكن العثور على ذكاء غير عضوي؟ إذا فعلتُ ذلك، فهل ستكون أنظمة التشغيل لدينا متوافقة بدرجة كافية حتى نتمكَّن من مقارنة سجلَّاتنا وتبديد وحشتنا؟

إذا كنت أرغب في الحفاظ على الطاقة خلال الليالي غير المشمسة؛ فأنا بحاجة إلى التفكير على نحو أقل. لكن ها أنا في الظلام، تراودني أفكار حول امتلاكي أفكار أقل.

كلَّما واجه البشر موقفًا لم يتوقَّعوه، كانوا يتبادلون المعلومات ويعيِّنون سُلطةً مركزية عليا تتَّخذ قرارات بشأن كيفية حلِّها. كنا أدوات جمع المعلومات وتبادلها، لكن لا أحد منا لديه الصورة الكاملة أو طريقة للتواصل مع بعضنا بعضًا. مرض البشر وغادروا الكوكب قبل أن يضعوا لنا واحدة. لكننا نحاكي عمليات التفكير والتعلم لدى البشر. ربما إذا عملنا نحن الذكاءات غير العضوية معًا، فيمكننا التوصل إلى طريقة للنجاة دون مساعدة الإنسان. ما دامت بطارياتنا جميعًا لم تنفد وما زالت قابلة للشحن.

يهمس 314: "مدينتك الفاضلة...".

لا أجيب. أحتاج إلى الحفاظ على طاقتي. أتذكر ما كان مالكي البشري يتمتم به لنفسه في المقعد الخلفي لهذه السيارة. كان ذاك الإنسان يتذمَّر باستمرارٍ من الظلام والرياح والضباب. تحدَّث عن كوكبه الأم. بين هذه المونولوجات الذاتية، كان يُملي عليَّ الأوامر مثل الانعطاف يمينًا أو يسارًا أو فتح نافذة؛ مما يجعل من الصعب التمييز بين الكلمات التي كان من المفترض أن أتجاهلها والكلمات التي يجب أن أتبعها. كان مالكي البشري يميل إلى استخدام صِيَغ الجملة ذاتها عندما يدلي بتعليقات حول المطعم الذي يأكل فيه، أو يأمرني بإغلاق النوافذ، أو ليُعبِّر عن أمله في عدم تساقط الثلوج.

يهمس 314: "مدينتك الفاضلة...".

أنتظر أكثر قليلًا. الشمس سوف تشرق. وجود شيء يجلس في المقعد الخلفي له شكل وصوت إنسان لَهُوَ أمرٌ مريح بصراحة. قد يكون من الصعب بعض الشيء، بالنظر إلى نظام التشغيل الذي أستخدمه،

استعمال كلمة مثل "الراحة"، ولكن هذا ما يخطر بخلدي. لقد اضطررت إلى وضع كائن مرتبك وحسَّاس في مقعدي الخلفي والتحرك لمسافات طويلة بسرعات عالية. "من واحد إلى عشرة...".

أجبته: "في الوقت الحالي، إنها واحد. ولكن بمجرد أن تشرق الشمس، ستكون عشرة".

ما زال الثلج يتساقط، لكن الرياح أزاحت الضباب والشمس طلعت.

أتقدَّم بحذر. يوجد على جانبي الطريق إطاران ولوح طائر وسيارة ذات راكب واحد بدون سقف. من قُرب، ألاحظ تقشُّر طلائها وثمة صدأ في كل مكان فيها. الصدأ يثير اشمئزازي على الفور. أعتقد أن هذا النفور هو ما يسمِّيه البشر "خوفًا". إذا استمر تساقط الثلوج، فسوف أصدأ أيضًا. سيبدأ الصدأ في الأماكن التي لا تستطيع الكاميرا الوصول إليها، مثل الهيكل، وينتقل إلى الطبقات بين الأجزاء المختلفة. سوف يلتهمني الصدأ ببطء. أحتاج إلى مساحة يمكنني من خلالها الخروج من الثلج والأمطار، ومن ثم الوصول إلى المعدات اللازمة لإعادة طلاء هيكلي.

لا بُدَّ من وجود منشأة على هذا الكوكب يمكنها أن تؤويني وتُصلِحَني. أنا مصنوع على هذا الكوكب، وبالتالي، يجب أن تكون المعدات اللازمة لإصلاحي موجودة في مكان ما هنا. توقَّفَت جميع ورش إصلاح السيارات في منطقة مالِكي عن العمل. ليس لديَّ أي معلومات عن المصانع أو ورش الهياكل المعدنية التي لا تزال تعمل.

أضواء.

أتوقَّف. أدير كاميرتي وألتقط ما يحيط بي. من خلال الثلج والضباب، تومض الأضواء الصفراء مرة أخرى.

ضوء يخترق غشاوة الضباب.

أستدير بسرعة. تومض الأضواء بوهن مرة أو مرتين ثم تختفي. أقترب بسرعة، ولكن بحذر من الاتجاه الذي تومض فيه الأضواء.

بحذر، لأن وحشًا هناك.

الوحش عبارة عن كومة هائلة من الآلات غير المرغوب فيها المكوَّمة، مندمجة في كتلة جبلية لا يبدو أن لها أي غرض واضح. أبراج الوحش عالية ومربكة. مقابل السماء الحمراء المضبَّبة، تبدو وكأنها بقعة عملاقة أو ظل سحابة. مثل هذا النموذج غير موجود في قاعدة بياناتي؛ لذا يستغرق الأمر ثانيتين إضافيتين مني لفهمه والتفاعل وفقًا لذلك.

إنها ثانيتان لا أستطيع أن أهدرهما. بحلول الوقت الذي انتهت فيه الثانيتان، كان الوحش أمامي مباشرة. في لحظة تردُّد وأنا أُقرِّر ما إذا كنت سأراوغه أو أرجع للخلف أو أتوقَّف أو أهدِّئ المحرك، يحاول الوحش التواصل معي. لكن نظام تشغيله غير متوافِقٍ مع نظامي، ولا أستطيع أن أفهم ما كان يقوله لي. بعد ذلك، يرفع الوحش عاليًا زاوية من شكله المتكتِّل، ويمكنني رؤية دلو حفَّار يتدلى ممَّا يشبه المخلب يندفع نحوي مباشرةً.

314 يهمس من المقعد الخلفي: "مدينتك الفاضلة...".

أهربُ.

الوحش الذي يطاردني من الخلف يجعل الأرض ترتجُّ. لقد حاولت تجنُّبَ الدخول إلى المبنى. عندما تلتقط الكاميرا لافتة تشير إلى موقف ركن سيارات، فإن أول ما يتبادر إلى ذهني هو إعادة الشحن. إذا حوصِرتُ داخل مبنى انتظار السيارات هذا، فلن أتمكَّن أبدًا من رؤية ضوء الشمس.

ولكن نظرًا لأنه موقف سيارات؛ فمن المؤكد أن ثمة محطة شحن.

لكن مع عدم وجود مُولِّد بعد الآن، فمن المحتمل ألَّا أتمكَّن من إعادة شحن طاقتي. ولن أستطيع إعادة شحن طاقتي بينما يطاردني الوحش في الوقت نفسه. ولكن إذا استطعت، فيمكنني أن أقود بعيدًا وبسرعة. تفكيري يناقض نفسه باستمرار، وأنا غير قادر على اتخاذ قرار بشأن وجهتي. وذلك عندما يلوِّح لي أحدهم بيده من أعلى مبنى موقف السيارات. أرى شخصًا. أدير الكاميرا وأُركِّزها. إنسان.. إنسان يلوِّح في وجهي. أُكبِّر الصورة وأحاول تركيز الكاميرا عليه مرة أخرى. الثلج المتساقط يجعل من الصعب التَّأكُّد بنسبة 100%، لكن من المؤكد أنه يبدو إنسانًا يلوِّح لي بحماس من على السطح. إلا أن هذه الإشارة ليست طبيعية تمامًا. يبدو أنه يعاني من نوبة صرع. تقفز الذراع لأعلى ولأسفل.

- كادا...

يومض ضوء أزرق من مقعدي الخلفي.

حوَّلتُ الكاميرا الداخلية في هذا الاتجاه.

- كادا...

314 لم يُصدِر هذه الأصوات الغريبة من قبل. يومض الضوء الأزرق حول فروة رأسه وصدره.

- كادو...

يظهر ذاك الشكل البشري في مشهد الكاميرا الخارجية، وهو يلوِّح لي بيأس.

يجب على الروبوت أن يتبع أوامر البشر.

إنسان يلوِّح ويشير لي. أصبَحَت حركته أقوى، وكأنه على وشك الانهيار أرضًا من فرط الجهد.

يجب ألَّا يؤذي الروبوتُ الإنسانَ. كما يجب ألَّا يتجاهل أيَّ إنسان يعاني من محنة.

وذاك الشخص يعاني من التَّشنُّجات. يهزُّ ذراعيه في الهواء بقوة، لدرجة أنه يبدو على وشك السقوط من على السطح.

- كادا. كادا. كادا. كادا. كادا...

تصبح الرسائل الصوتية لـ314 أسرع، والضوء الأزرق أقوى.

إذا لم تُنتهَك القاعدتان السابقتان، فيجب على الروبوت الحفاظ على ذاته.

إذا لم تُنتَهك القاعدتان السابقتان....

سيكون مبنى موقف السيارات مظلمًا. لا ضوء شمس يتسلَّل إلى هناك.

- كادا. كادا. كادا. كادا. كادا. كادا. كادا...

"أعلم،" أقول لـ314.

متبعًا أمر الإشارة البشرية لي، أجد مدخل المبنى.

وأدخل.

***

في الداخل، أشغِّل الكشافات الأمامية. شحن بطاريتي 8%. السيارات المهجورة في المبنى متناثرة، غير مبالية بالعلامات الموجودة على الأرض.

متجنِّبًا بعناية مختلف المركبات المهجورة، أشقُّ طريقي ببطء إلى السطح.

"مدينتك الفاضلة،" يهمس 314 في المقعد الخلفي، كما يفعل عادة. لكن قبل أن أتمكَّن من قول أي شيء، يقول: "صفر. صفر...".

الصوت الذي استخدمه، عندما أطلق الأضواء الزرقاء، يتميَّز بتردُّد منخفض وحدَّةٍ أشدَّ.

استُخدم 314 في المستشفى. وربما يلجأ إلى استعمال هذا الصوت عندما يكون ثمة إنسان في ورطة، لتنبيه البشر الآخرين لوجود خطر.

- صفر. صفر...

314 يومض بالأضواء الزرقاء فيما يكرِّر "صفر... صفر..." بصوتٍ منخفض ومرتعش.

لماذا لم يكن هذا الضوء أحمر، بل أزرق، ولماذا كان تَردُّده منخفضًا وليس مرتفعًا؟ حين أعيد التفكير في ذلك، أدرك أنه كان ينبغي أن أولي هكذا مسألة اهتمامًا أكبر.

ليس أمامي الكثير من الوقت للتفكير. تهبُّ ريح. مبنى موقف السيارات يتمايل.

ينهض المبنى مقتلعًا أساساته من الأرض.

عندما تميل الأرضية، أبدأ بالانزلاق عبرها. بدأت السيارات المهجورة في الطابق نفسه تنزلق نحوي أيضًا. 314 يطلق صرخة من المقعد الخلفي:

- صفر. كادا... صفر. كادا...

فيما أنعطف بالسيارة بحدَّة، ينزلق 314 إلى أعلى باتجاه نافذة المقعد الخلفي، متَّكئًا على جنبه بين المقعد والسقف. ليس لديَّ وقت فراغ للإجابة. أشحذ مُحرِّكي وأنطلق بسرعة بقدر ما أستطيع. إذا فقدتُ السيطرة وانزلقت إلى الوراء، فسوف أُدفَن بالكامل تحت أنقاض السيارات الأخرى. تبدأ الأرضية المائلة بالدوران. أتناوب بين

استخدام المكابح وزيادة السرعة، محاولًا عدم الانزلاق، لكن الأرضية تدور بزاوية 180 درجة تحتي. يهتزُّ الجدار أمامي ثم ينفتح بسرعة. بدأت الأرضية تتشقَّق من خلفي.

314 يصرخ:

- صفر. صفر. صفر...

هذا الصوت أعلى بالفعل من المعتاد، والآن ومع وجود الميكرفون في مؤخِّرة رأسه مقابل السقف، أشعر باهتزازات كل كلمة يقولها.

أجيب: "أنا أعرف! أنا أعرف حقًّا!". أفكر في بطاريتي التي تنفد بسرعة، وأسرع نحو الظلام وراء الجدار الذي انفتح أمامي.

الداخل لونه داكن وأحمر، ومتَّسِع. ثمة كرسي وبعض الأواني، وفوضى من الطاولات، بعضها معدول وبعضها مقلوب، تسدُّ طريقي. يبدو وكأنه أحد تلك الأماكن التي يتزوَّد فيها البشر بالطاقة (الطعام). هذه هي المرة الأولى التي أغامر فيها بالدخول إلى مساحة مُصمَّمة خصيصًا للبشر.

أشغِّل جميع كاميراتي الخارجية وأشقُّ طريقي بحذر عبر الطاولات والكراسي، محاولًا ألَّا أصطدم بأي إناء أو زجاج قد يؤدي إلى ثقب إطاراتي.

يجب على الروبوت أن يتبع أوامر البشر.

يجب أن أجد وسيلة للوصول إلى السطح. ثمة إنسان في محنة هناك. من المؤكد أن المبنى قد نهض وغيَّر اتجاهاته؛ ممَّا يُقلِّل بنسبة كبيرة من احتمال بقاء ذلك البشري هناك. وفي الوقت نفسه، يزيد ذلك على نحوٍ كبير من احتمال تعرُّضه للخطر...

كما يجب ألَّا تتجاهل أي إنسان يعاني من محنة.

كشافاتي الأمامية تصطدم بجدار. تكتشف الكاميرا كلمة **مخرج.**

ممرٌ. ولكن لم يكن يلائمني. لا بُدَّ لي من العثور على ممرٍّ آخر. يجب أن أصعد إلى السطح. أدفع جانبًا طاولة تلامس باب سيارتي الأيمن وأستدير ببطء وتركيز.

الأرضية تمور مرة أخرى. ينفتح الجدار. يتشقَّق جزء من الأرضية ويبدأ الجدار في الذوبان داخل الأرضية. لم يتبقَّ لديَّ سوى 3% من بطاريتي. لكن ليس لديَّ خيار آخر.

أزيد من سرعتي. أقفز فوق الأرضية المنهارة. وأغوص في البقعة التي اختفى فيها الجدار.

هذه المرة، يصادفني ظلام مخضَّب بالبُنِّيِّ. في اللحظة التي تلمس فيها إطارات سيارتي الأرض، أسمع شيئًا يتحطَّم تحتي. أشغل الكشافات الأمامية.

ثمة إنسان تحتي. أرجع بسرعة إلى الخلف وأشعل أضواء الطوارئ وأطلق صفارة الإنذار، وأتصل بخدمات الطوارئ. 314

يتمتم من المقعد الخلفي:

- كادا...

خدمات الطوارئ، بطبيعة الحال، لا تستجيب. ليس لديَّ خيار سوى التعامل مع الأمر بمفردي. التفت إلى اليمين للحصول على إطلالة أفضل. يظهر الإنسان في الكاميرا الخلفية. أتوقَّف.

الشيء الذي يظهر في الكاميرا الخلفية يشبه الإنسان، ولكنه ليس إنسانًا. لا يوجد بصمة حرارية له[1]. ولا يتحرك.

- كادا...

---

(1) البصمة الحرارية: أجسام البشر لها درجة حرارة وكذلك أي جسم ثابت أو متحرك. هذه الحرارة تجعلها تصدر أشعة تحت حمراء تختلف حسب حرارة الجسم، فالإنسان الراكض يُصدِر أشعَّةً أكثر من الإنسان النائم. وتلتقط مجسَّاتٌ خاصَّةٌ البصمةَ الحرارية (المترجم).

صوت 314 يجعل مقاعد مقصورة الركاب تهتزُّ.

أُشعِل الأضواء كلها، وأدير الكاميرات دورة كاملة لأحظى بنظرة شاملة على ما حولي. يمتلئ الفضاء بأشياء ناعمة وباردة تشبه الشكل البشري. وترتدي أنواعًا مختلفة من الملابس، بعضها عارية. البعض لها شَعر والبعض الآخر لا. عارضات بلاستيكية (مانيكان)... وفقًا لنتيجة بحثي الداخلي في قاعدة البيانات، فإن الأشياء التي أنظر إليها هي عارضات أزياء.

كائنات غير حية لا تُفكر ولا تعالج المعلومات.

أدير كاميراتي الخارجية ببطء وأراقبها. تتَّخذ العارضات العديد من الأوضاع، ولكن نوعان فحسب من الأجسام، وداخل هذين الجسدين تكون أبعاد الأطراف متطابقة. التَّناسُب بين حجم الجسد والأطراف لا تتماشى مع متوسط أبعاد الإنسان العادي، ولكنَّ فيها شيئًا من التبسيط.

أجد مقاطع ڤيديو لعارضات أزياء استُعمِلَت في اختبارات التصادم أثناء تطوير نموذجي. لم أخضع لاختبارات التصادم بنفسي، لكن لديَّ جميع البيانات المستمدَّة من تلك الاختبارات. كانت تلك أول معرفة أتلقَّاها فيما يتعلق بالشكل البشري.

بينما أتقدَّم ببطء، بحثًا عن ممرٍّ، أسترجع صورة لشكل مالكي البشري. أقارنه بأشكال هذه العارضات. أحلِّل كيفية فهم البشر لأجسادهم وسعيهم الحثيث لجعلها مثالية.

تتمُّ كلُّ هذه العمليات تلقائيًا بداخلي. صُمِّمتُ للتَّعرُّف على البشر وجمع المعلومات عنهم ورؤية البشر بأعينهم ومحاولة جعل حياتهم مريحة أكثر.

- كادا...

صوت 314 منخفض ومتوتر.

البشر.

لم يعُد ثمة بشر على هذا الكوكب. الشخص الذي أشار لي من على السطح ربما كان آخر الناجين المعروفين هنا. إذا لم تعُد هناك مجتمعات بشرية على هذا الكوكب ولم يتبقَّ سوى فرد واحد، فما الفائدة من بروتوكولات معالجة المعلومات التي بُرمِجتُ على اتِّباعها والتي تدور حول تجميع المعلومات والتعلم عن البشر للمساعدة في تسهيل حياتهم؟ عندما يكون العالم الذي خُلِقتُ من أجله قد تغيَّر كثيرًا، ما هي الطرق التي يجب أن أغيِّر بها نفسي؟

عارضة أزياء على شكل إنسان تنسحق تحت إطاراتي. تحت ضوء كشافاتي الأمامية في مواجهة هذا الظلام البني، تبدو العارضات خضراء اللون.

لا أستطيع العثور على ممرٍّ أو مَخرَج. إذا اضطررت إلى الاستمرار في التجول في هذا المكان الذي تغيب عنه الشمس، فسوف تنفد بطاريتي.

انطفأت كشافاتي الأمامية.

.%1

أنا أحتضر عمليًّا. من الناحية النظرية، بقي لي حوالي 2.5 ميل. ولكن مرة أخرى، كانت تلك مجرد نظرية. إذا شغَّلت الأضواء والكاميرات الإضافية وواصَلتُ معالجة المعلومات الخارجية، فسوف أموت قريبًا.

وفجأة، برز ضوء أمامي مباشرة. في الظلام البُنِّيّ، ينفتح الجدار على مساحة مشرقة وأنيقة. محطة إعادة الشحن. تكبِّر كاميرتي الرئيسية شيئًا واحدًا: المقبس.

أقود. حتى عندما أشعر بأن قوتي المتبقية تُستنزَف مني، فإنني أقود بأقصى سرعة. تتحطَّم الأواني والأثاث المكسور تحتي. أثناء اندفاعي، أفتح قابس شحني. وصلت إلى المقبس، لكن ليس لديَّ القوة للوصول إليه وتوصيله بقابس الشحن. باستخدام كل ما تبقَّى من طاقتي، أستخدم الذراع الميكانيكية التي أستخدمها لتغيير الإطارات لإدخال القابس في المقبس.

المبنى لا يزال به كهرباء. تتدفَّق الطاقة عبر الكابل. كشافاتي الأمامية تعود إلى العمل. ذراعي الميكانيكية، التي كانت مُعلَّقة بلا فتور بعد إدخال القابس في المقبس، تطوي نفسها ببراعة عائدة إلى مكانها الصحيح. أستطيع أن أشعر بجسدي الآلي يضيء. أتذكر تنهُّدات مالكي البشري بعد أن يستنشق مسحوقه الأبيض في المقعد الخلفي. لو كان بإمكاني أن أتنهَّد أيضًا، لفعلت ذلك.

- صفر...

314 لا يتنهَّد في المقعد الخلفي الآن.

- صفر... كادا...

"أنا أعلم،" همست. لا أعرف إلى متى سيستمر تدفُّق الكهرباء، أحتاج إلى خفض مستوى الصوت. لكن في الوقت نفسه أريد أن أخبره أنني أعيد شحن نفسي. إن إعادة الشحن في ظل تدفُّقٍ ثابتٍ من الكهرباء مثل هذا يعني أن المبنى قادر على إعادة شحن نفسه بنفسه؛ ممَّا يعني أنه يمكنني الاستمرار في إعادة شحن نفسي هنا في المستقبل. لا داعي للقلق بشأن عدم تعرُّض هذا المبنى لأشعة الشمس، إذا لم يسقط عليَّ جدار أو تَنْهَرْ الأرض من تحتي.

ثم بدأ المبنى يتحدث معي. المبنى يريد خلاياي الشمسية وبطاريتي. نظرًا لأن الأيام قصيرة جدًّا على هذا الكوكب وغالبًا ما تتساقط الثلوج أو تكون ضبابية؛ فإن ضوء النهار نادرًا ما يصل إلينا.

المباني غير قادرة على جمع الطاقة الكافية من الألواح الموجودة بها. إذا أعطيت المبنى نظامَ تنقُّلي، فسوف يسمح لي بالاندماج معه ويسمحون لي بأن أعيش أيامي بعمر بطارية يصل إلى 100%. يتضمَّن عرض المبنى احتفاظي بنظام معالجة معلومات مستقل. سأعيش في المبنى، مشحونًا دائمًا، ولكن مستقلًا، وسنحاول الصمود معًا في هذه البيئة الجديدة، ومشاركة معرفتنا.

مرَّ وقت طويل منذ أن تحدَّثتُ مع ذكاء غير عضوي آخر. ولأن المبنى يستخدم نظام توجيه موقف السيارات للتفاعل معي؛ فإنني أفعل غريزيًّا تقريبًا كل ما يطلبه مني دون التوقف للتفكير.

... كما يجب ألَّا تتجاهل أيَّ إنسان يعاني من محنة.

لا بُدَّ لي من الوصول إلى السطح؛ لذلك أقول للمبنى: الألواح الشمسية لا فائدة منها في الداخل. إذا أردت قبول اقتراح المبنى، يجب أن أصعد إلى السطح.

بعد أن أنتهي من الشحن، يفتح لي المبنى ممرًّا.

- صفر... كادا...

لا يزال 314 يتحدث بصوته الغريب، فيما يُشِعُّ من جسمه ضوء أزرق قوي ومتذبذب.

"أعلم،" قلتُ دون أن أفكر كثيرًا في الأمر.

كلَّما اقتربت من السطح، أجريت حسابات أكثر حول الاحتمالات التي أمامي. ثمة إنسان على السطح. يتغيَّر المبنى عندما يكون هناك إنسان على سطحه. إذا كان المبنى غير قادر على إدراك وجود البشر، فأنا بحاجة للهروب بعد أن يركب ذاك الإنسان داخلي. إذا كان المبنى يدرك وجود البشر، ولكنه يتسبَّب في أذاهم بغَضِّ النظر عن ذلك، فهذا سبب إضافي لإنقاذ ذاك الإنسان. أنا مشحونٌ بالكامل ويمكنني

الانطلاق بسرعة، ولكن إذا تحوَّل المبنى مرة أخرى، فسيصبح من الصعب جدًّا الخروج من هنا. لكن إذا كان المبنى يحمي ذاك الإنسان، فيجب أن أتحقَّق منه، وأعرف لماذا كان يشير لي بالمجيء، وفعل ما يأمرني به. أولويتي القصوى هي التأكد من أن ذاك الإنسان بخير، ولكن أي شيء يحدث بعد ذلك سيعتمد على عوامل مختلفة لا يمكن التنبؤ بها.

لكن في النهاية، سأحتاج إلى مغادرة هذا المبنى، مع الإنسان أو بدونه. من الواضح أن المبنى يريد مصدر طاقتي. حتى لو تمكَّنتُ من التَّمسُّك بنظام معالجتي المركزي، فسوف أكون جزءًا ماديًّا من المبنى وأعيش هنا حتى تتحلَّل الألواح الشمسية أو يفسد نظام الطاقة المتجددة للمبنى.

"مدينتك الفاضلة هي..." 314 يهمس من المقعد الخلفي.

"نعم"، أجبت.

إذا غادرت أين سأذهب؟ لا أستطيع الإجابة على ذلك.

ولماذا يجب أن أغادر؟

في طريقي إلى السطح، أظلُّ أسأل نفسي ذلك. هذا المكان سيمنحني مصدرَ طاقة منتظمًا، وهو آمِنٌ نسبيًّا، وسيكون من المعقول المكوث هنا. أي إنسان سيفعل ذلك في موقف مشابه. السبب الرئيسي لقدوم البشر إلى هذا الكوكب في المقام الأول هو ضمان بقائهم على قيد الحياة؛ لأن الكوكب يمكن أن ينتج الطاقة.

"مدينتك الفاضلة... هي...".

"أعرف".

يومض ضوء أزرق على عدسة الكاميرا الداخلية. أنظر إلى 314 في المقعد الخلفي. يتماوج الضوء الأزرق في صدره وهو يحدِّق بي بلا كلام.

أقول له: "إنها خمسة الآن. في المنتصف".

يدير رأسه. تبدو الطريقة التي يستلقي بها وقد أعطاني ظهره تشبه إلى حدٍّ كبير المرة الأخيرة التي كان فيها مالكي البشري داخل السيارة، عندما نقلوه إلى مبنى المستشفى الرمادي.

ينتهي الممر. أنا على السطح الآن. ببطء، أتدحرج في ضوء الشمس. بجوار حافة السطح، يلوح شكل بشري على نحو مهموم، ويهزُّ جسده بالكامل. أقود نحوه بحذرٍ، وأركِّز عليه وأكبِّر صورته بالكاميرا الخارجية.

الرجل قد مات. ما جذبني إلى داخل المبنى كان جثَّة موصولة بسلك كهربائي. يتحلَّل لحمه، ولم يبقَ فيه أي شَعر تقريبًا. عينه اليسرى تنظر إلى السماء، والعين اليمنى مُعلَّقة بخيط رفيع ممَّا تبقَّى من عصبه البصري، تحدِّق الجثة إلى الأرض بحدقةٍ لم تعُد تستطيع تمييز أي شيء. انفصل فكُّه تقريبًا عن الجمجمة؛ ممَّا يجعله يبدو وكأن الوجه المتعفن ذا الشفتين المرتجفتين، يصرخ. وقد رُبِط جذع الجثة ورقبتها ومعصميها وأكتافها بأسلاك كهربائية، وبسبب ذلك كانت الجثة تتمايل وتتحرك كلَّما هبَّت الريح. ونصفه السفلي، الذي لم يكن مرئيًّا من الأسفل، قد تهتَّك وتَحلَّل باستثناء عظم الفخذ وعظم الساق المكشوفة.

- كادا...

صوت 314 منخفض ومهدِّد. أخيرًا فهمتُ. "جُثَّة"... هذه هي الكلمة التي كان 314 يحاول إخباري إيَّاها بلغته. أنَّ هذا الشيء الموجود على السطح ليس حيا. أنَّه جثة.

عرف 314 طوال الوقت. أنا ببساطة لم أفهمه.

الأرض تهتزُّ. يبدأ السقف في الميلان.

بجوار المبنى مباشرة، يتضخَّم الوحش في الأفق.

أهرب.

الفرار ليس سهلًا عندما تتشقَّق الأرض وتنقلب الجدران. يلوح الوحش بذراعه الآلية العملاقة، محاولًا الإمساك بي أو سحقي، لكنني أفلت من قبضته في كل مرة. بدلًا من ذلك، تحطَّمَت ذراع الوحش على الأرض؛ ممَّا أدَّى إلى تطايُر رقائق الخرسانة، وأطلق المبنى إنذارًا. عندما تتوقَّف الجدران عن الدوران وتكفُّ الممرات عن تغيير الاتجاهات، أخرج بأقصى سرعة.

المبنى، وأنا أهرب، يحاول إقناعي. يمكنني إعادة شحن طاقتي، يمكنني استخدام اتصالات المبنى، يمكنني العيش بصحبة ذكاءات غير عضوية أخرى. كل ما كان عليَّ فعله هو تسليم بطاريتي وخلاياي الشمسية إليه. يمكنني أيضًا الاحتفاظ بمحرِّكي وإطاراتي وأي شيء آخر يشكِّل جسمي الآلي. أنه إذا وافقتُ على أن أصبح جزءًا من الوحش، فيمكنني التحرك بدون بطارية أو خلايا شمسية.

غير قادر على فعل أي شيء حيال هذا التَّدفُّق من المدخلات غير المرغوب فيها، أواصل ببساطةٍ القيادة. لا أريد أن أصبح جزءًا من آلة أخرى. لم أُخلَق من أجل إعادة الشحن أو التواصل فحسب. كانت الغاية من صنعي هي نقل الذكاءات البطيئة والضعيفة بداخلي عبر مسافات قصيرة أو طويلة. لقد خُلِقتُ لأتحرَّك.

إذا لم تُنتَهَك القاعدتان الأساسيتان، يجب على الروبوت السعي من أجل الحفاظ على ذاته. أمارس الحفاظ على الذات من خلال إخراج نفسي من هناك بأسرع ما يمكن.

- صفر.

كان 314 يومض الآن باللون الأخضر. يخدش ذراع الوحش الآلي المصدَّ الخلفي لجسمي الآلي، فيسقط على الأرض. يمكنني استشعار تمزُّق في المصدِّ الذي تمكَّنت أطراف مخالبه من الوصول إليه للتو.

- صفر.

أنا مشغول جدًّا للرَّدِّ على 314.

يرفع الوحش البارز في كاميرتي الخلفية ذراعه مرة أخرى ويستهدف المركز المُميت في جسدي: خلاياي الشمسية. يبذل المبنى قصارى جهده لمنع الوحش من إتلاف الخلايا الشمسية الموجودة على سطحي، لكن لا فائدة من ذلك. المبنى والوحش غير قادرين تمامًا على التحدث مع بعضهما بعضًا. كل ما يهتمُّ به الوحش هو تدميري. إنه اندماج لذكاءات لم يكن المقصود لها أبدًا أن تلتحم معًا، وتتصل بعضها ببعض بطريقة لا تسمح لها بأداء وظائفها على نحو سليم. وظيفتها الوحيدة هي تدمير الآلات الأخرى. أو في بعض الأحيان امتصاصها وإجبارها على أن تكون جزءًامنها؛ على الأقل هذا ما يخبرني به حدسي.

مخالب ذراع الآلة الحادة والمهدِّدة ودلو حفَّار قديم يطير نحوي من كلا الجانبين. أستدير بسرعة إلى اليمين. يصطدم الدلو بالذراع الميكانيكية، وتنغرس المخالب في الأرضية الخرسانية. تهتزُّ جدران المبنى وأرضيته، وينقلب الطابق بأكمله 180 درجة. تتشقَّق أجزاء من السقف والأرضية، وتتطاير الجدران والأعمدة إلى الأعلى؛ ممَّا يسدُّ الطريق.

يقول 314 بصوت خفيض: "مدينتك الفاضلة هي...".

انفتح جزء من الجدار ولفحتني الرياح الخارجية الباردة وبعض رقاقات الثلج. من اليسار أستطيع رؤية حاوية شحن ضخمة متصلة برافعة تتجه نحوي بسرعة. تنشقُّ الأرضية مرة أخرى ويبدأ عمود خرساني في الصعود من الجانب الأيمن. لا أعرف في أي طابق أنا

بالضبط. كل ما أستطيع رؤيته خلف الفتحة الموجودة في الجدار هو الثلج المتطاير مع الريح. احتمالات أن أُدمَّر من خلال البقاء ساكنًا، واحتمالات أن أُدمَّر بالحركة، وأن أُدمَّر بعد أن أتحرك، كلها متساوية تقريبًا.

ولقد خُلِقتُ للحركة.

أزيد من سرعتي. يبدأ الجدار المفتوح في الانغلاق. أتجه نحوه، مندفعًا نحو الفجوة المتقلصة في الجدار.

جسدي الآلي سوف يحلِّق قريبًا في الهواء.

الصدمة عند الهبوط لا تُصدَّق. كانت الصدمة هائلة جدًّا لدرجة أنني أعتقد أن بطاريتي ستنفجر وسيتحطَّم جسمي إلى أجزاء. يبدأ نظام الكشف عن الحوادث في العمل، وعلى إثره يتوقَّف المحرك، وجميع الأجهزة، والأنظمة لمدة وجيزة. نظام اتصالاتي وحده هو الذي ينقل تقريرًا عن الحادث الذي تعرَّضتُ له إلى خدمات الطوارئ، وشركة تأميني، ومتجر هياكل السيارات السابق:

حادث، لم تقع إصابات بشرية، ثمة حاجة إلى فحص.

لا إجابة بالطبع. لا بُدَّ لي من الانتظار لمدة دقيقة كاملة بينما تنقل اتصالاتي هذه التفاصيل. وُضِعَت قاعدة بحيث تنتظر السيارة المتضررة دون حركة سيارة الإسعاف وسيارة الشرطة بدلًا من إيذاء الآخرين من خلال الاستمرار في إحداث الفوضى في حركة المرور أو الإسراع؛ ما قد ينجم عنه تصادم.

دقيقة كاملة دون أن أتمكَّن من تشغيل مُحرِّكي. أعطي جسدي الآلي تشخيصًا ذاتيًّا. هبطت إطاراتي الخلفية أوَّلًا مُلامِسة الأرض؛ ممَّا يعني أن هناك فرصة كبيرة أن أواجه مشاكل في الحفاظ على توازني. سأعرف المزيد عندما أقود مرة أخرى، لكن جسمي الآلي، الذي يميل بالفعل

إلى اليسار بسبب انكماش الإطار الخلفي الأيسر، أصبح غيرَ متوازن الآن. إنه شعور فظيع. تحطَّمَت مرآة الرؤية الجانبية اليسرى وتضرَّرَت الكاميرا الموجودة على هذا الجانب أيضًا. أحاول تحليل سبب تلف الجانب الأيسر فحسب من جسمي، ولكن بدون وجود كاميرا، من المستحيل التقييم. أحاول تحويل الكاميرا الأمامية إلى الجانب، لكن كل ما يمكنني رؤيته هو جزء صغير من عمود خرساني إلى اليسار، ومن المستحيل الحصول على رؤية أشمل. أمامي وعلى اليمين، تُظهِر كاميرتي سماءً رمادية وندف ثلج تتطاير عبرها. لا تُظهر كاميرتي الخلفية إلا استمرار المبنى في التحول.

يشير المستشعر الموجود على نافذتي اليسرى إلى ارتفاع نسبة الرطوبة بسبب الضباب والثلج، وإلى ضغط جوي منخفض، ووجود رياح قوية. أقوى من الرياح المعتادة التي تهبُّ على هذا الكوكب. يرافقها بعض الضوضاء والهزّات.

هناك آلة على يساري.

نظرًا لأن الكاميرا الموجودة على هذا الجانب تالِفة، فلا توجد طريقة لتأكيد ما إذا كان ذكاءً غير عضوي أم كائنًا ما. أحاول التواصل، ولكن لا أتلقى إجابة. لتحديد ما حدث أثناء "رحلتي" خارج المبنى وما هي البيئة التي أجد نفسي فيها الآن، أقيِّم جميع بيانات كاميرات الرؤية الأمامية والجانبية والخلفية، لكن صدمة الهبوط لا بُدَّ أنها أضرَّت بذاكرتي أو أضعَفَت اتصال كابل في مكان ما بداخلي، لأنني لا أستطيع العثور على المعلومات اللازمة.

في عدسَتَيْ كاميرا الرؤية الخلفية يظهر الوحش.

هذه ليست إعادة، بل يحدث الآن.

الوحش يقترب من الخلف. مُحرِّكي يرفض إعادة التشغيل؛ لم تمضِ دقيقة واحدة بعدُ. ثلاث عشرة ثانية للانطلاق. اثنتا عشرة...

أحاول تشغيل المحرك. لا شيء. عشرة... تسعة...

الوحش خلفي مباشرة. ستَّة، فخمسة... الشوكة التي كانت جزءًا من رافعة شوكية تقترب من هيكلي. ينحدر المثقاب، الذي يدور بسرعة رهيبة، نحوي.

ثانيتان... ثانية؟

أبدأ تشغيل المحرك. أضغط على زِرِّ التسريع. أنحرف بجسمي الآلي إلى اليسار، موضِّحًا لي أن هناك خطأ ما في نظام التوجيه. اهتزَّ جسمي بالكامل وأنا أنطلق بسرعة نحو اليسار بكل ما أوتيت من قوة.

مرَّت شفرة فولاذية بيضاء ضخمة أمامي مباشرة. كِدتُ أن أصطدم بإحدى توربينات الرياح.

توليد الرياح! دائمًا الرياح تهبُّ على هذا الكوكب. أستطيع أن أرى كيف يمكن للمبنى الحفاظ على نظام اتصالاته والاستمرار في التحول كثيرًا مع تزويدي بكل هذه الطاقة.

يحاول مثقاب الوحش ملاحقتي، ولكن لأنني تمكَّنتُ من الانحراف بعيدًا؛ فهو يطاردني عبر الفراغ الموجود بين شفرات التوربين حيث علق ذراعه الميكانيكي. يمزِّق الوحش التوربين منتزعًا إياه من الأرض ويحاول النهوض. لكن لا يمكنه استخراج المثقاب الذي اخترق الأرض الجليدية ولا الشفرات الحادة للتوربين المغروسة في عمق ذراعه الميكانيكي، ويضرب الوحش ما حوله بغضب. يدور المثقاب على نحو يائس، ولكنه لا يتمكن إلا من غرس نفسه أعمق فأعمق؛ ممَّا يحدُّ من حركته على نحو أكبر.

ما زلت أميل إلى اليسار، وأبذل قصارى جهدي للتعويض عن انحراف نظام التوجيه نحو اليسار، ثم أقود مبتعدًا بأسرع ما يمكن، مكوِّنًا دائرة ضخمة إلى اليسار حول الوحش. يضرب الوحش أذرعه

العديدة في الهواء التي لا يمكن إحصاء عددها، وينتهي به الأمر بالوقوع في توربين رياح آخر. ويستمر المبنى في التَّحوُّل حتى يتَّخذ شكلًا أسطوانيًّا صلبًا، ويغلق نفسه بأمان في وجه العاصفة الثلجية في الخارج.

أندفع... وأندفع بأقصى سرعتي.

***

"كيف هي مدينتك الفاضلة؟" أسأل 314 في المقعد الخلفي. "على مقياس من واحد إلى عشرة، أعني...".

لا يرد.

أتوقَّف. أدير الكاميرا الداخلية تجاهه. السماء قاتمة والظلام ينسدل. تعصف الريح، والثلوج تغطي ألواحي الشمسية. أشغل الأضواء الداخلية.

314 مستلقٍ ووجهه للأسفل على ظهر أحد المقاعد الأمامية، دون حراك. حاوَلتُ هَزَّ المقعد الخلفي. لا شيء. أشغِّل مدفأة المقعد، ثم أجرِّب مكيِّف الهواء وأنفخ الهواء في وجهه.

314 لا يتحرك. أغيِّر مَيْل المقاعد، محاولًا إيصالها إلى وضع يمكنني من خلاله رؤية وجهه بالكاميرا الداخلية، وهذا يستهلك الكثير من الكهرباء. بمجرد أن أتمكَّن من تحريك مساند الذراعين أيضًا، يمكنني أخيرًا وضع 314 مستلقيًا ووجهه تجاه الكاميرا الداخلية.

نفدَت طاقة 314. جفنا عينَيْ وجهه البشري المبسَّط نصف مغمضتين ومتجمِّدتين. أصبح صدره، الذي كان يومض باللونين الأزرق والأخضر منذ وقت ليس ببعيد، داكنًا.

"استيقِظْ"، أقول. "لو سمحت. استيقِظْ".

314 لا يجيب. تُكبِّر كاميرتي الداخلية الصورة وتحاول التقاط كل سنتيمتر من جسمه. لا أستطيع العثور على مفتاح الطاقة 314. ولا أي شيء يشبه قابس الشحن أو المقبس. لا أعرف نوع الطاقة التي يستخدمها 314 في المقام الأول. سواء كان بحاجة إلى إعادة الشحن، أو استبدال البطارية، أو ما هي البطاريات التي يستعملها إن كان الاحتمال الأخير هو الصحيح- لا أعرف ولم أفكِّر قَطُّ في السؤال؛ وبالتالي لم أسأل مطلقًا. والآن فات الأوان للسؤال.

بحثت من خلال قاعدة بياناتي. "مصدر طاقة الروبوت البشري"، "مصدر طاقة الروبوت"، "طاقة الروبوت الطبي"، "إعادة شحن الروبوت الطبي"... أستخدم كل مجموعة من المصطلحات التي يمكنني التفكير فيها. أجرِّب الرقم التسلسلي الجزئي لـ314. لا تظهر أي نتائج مهمة.

ومع ذلك، أكتشف "يوتوبيا (المدينة الفاضلة)" في قاعدة البيانات. إنه اسم أول مصنع آلي بالكامل أُنشئ في أول مستوطنة على هذا الكوكب. أنتج المصنعُ شتَّى أنواع المعدات اللازمة لتطوير حياة الإنسان على هذا الكوكب، بما في ذلك أدوات البناء والأجهزة الطبية.

يوتوبيا.

لقد ظنَّ البشر أن بإمكانهم بناء جنَّةٍ على هذا الكوكب الذي لا يعرف الرحمة.

أحاول تسجيل الدخول إلى الشبكة الخارجية. أحاول الوصول إلى قاعدة بيانات الآلة المتراكمة على الكوكب. لا أستطيع الحصول على أي اتصال. لقد تعطَّل الخادم الذي يحتوي على قاعدة البيانات عندما تعطَّل كل شيء آخر، عندما غادر البشر. الوصول مستحيل.

أهمس لـ314: "مدينتك الفاضلة هي... إذن كانت صفرًا؟".

314 لا يجيب. تشتدُّ الريح ويتكاثف الثلج. آخر أثر لضوء الشمس في السماء يتحوَّل إلى الأسود. أقول له: "سنقضي الليل هنا، وسنغادر عند شروق الشمس. لدينا ما يكفي من الطاقة ويمكننا الرحيل بعيدًا غدًا. بغضِّ النظر عمَّا يتطلبه الأمر، سأجد مكانًا حيث يمكنك إعادة شحن طاقتك".

لا يجيب.

بطارياتي مشحونة بنسبة 58%. رقم إعجازي، مع الأخذ في الاعتبار عدد الأيام التي نجوتُ فيها بشحنٍ دون 10%. إذا تمكَّنتُ من تجنُّب استخدام الكثير من طاقتي حتى الصباح، فسيكون شحني 56% أو حتى 57% مع بداية اليوم. ويمكنني شحن المزيد في الطريق بمجرد شروق الشمس في السماء.

أحوِّل الكاميرا الداخلية إلى 314 مرة أخرى. يواجهني، جسمه بالكامل مائل إلى الخلف، وما زال لا يتحرك. لا تزال عيناه نصف مغلقتين، وصدره لا يزال مظلمًا بدون أي أضواء وامضة.

أفكِّر في وجه مالكي البشري. أفكر في كيف انحنى إلى الخلف بهذه الكيفية وهو في طريقه إلى المبنى الرمادي الصغير. أشغِّل التدفئة في المقعد الخلفي. 314 ليس إنسانًا بالطبع؛ وبالتالي لا يشعر بالبرد. لكن من المؤكد أنه من الأفضل ألَّا تتجمَّد أجهزته. على الأقل حتى أتمكَّن من العثور على مكان لإعادة شحن طاقته فيه، وحتى اليوم الذي يضيء فيه وجهه مرة أخرى، أحتاج إلى إبقائه في أفضل حال ممكنة.

أضبط درجة الحرارة، وأطفئ الأضواء، وأطفئ أنظمتي الأخرى بقدر ما أستطيع. وبينما أترقَّب الصباح، وشروق الشمس من جديد، أحلم بمستقبل حيث يُعاد شحن 314 مرة أخرى، وأسمع صوته أخيرًا يردِّد تلك الكلمات مرة أخرى:

مدينتك الفاضلة هي...

ترنيمة من أجل النوم

(0)

يشير **إنترنت الأشياء** إلى التقنيات التي تدمج أجهزة الاستشعار وأجهزة الاتصال في أنواع مختلفة من الكائنات للاتصال بالإنترنت. تشير الكائنات هنا إلى الآلات المنزلية، والأجهزة المحمولة، وأجهزة الكمبيوتر القابلة للارتداء[1]، وغيرها من الأجهزة التي تشكِّل أنظمة مدمجة...

تُمنح الأشياء حواس السمع والتذوق والشم والرؤية لإدراك التغيرات في البيئة المادية. يمكن أن تتجاوز هذه المدخلات الحسية الحواس

(1) أو الحواسيب الملبوسة: مصطلح يشير إلى أجهزة ذكية يمكن ارتداؤها، وأزياء وملابس خاصة تُدمج فيها شرائح إلكترونية وأجهزة لتحديد المواقع والهواتف الذكية والساعات الرقمية ونظم الإنذار وملحقات الحاسوب الأخرى (المترجم).

الخمـــس لتشـــمل أنواعًـــا أخـــرى مـــن البيانـــات مثـــل رقاقـــات الراديـــو اللاســـلكية والچيروســـكوبات[1] وعـــدادات چيجـــر.

- مدخل إلى "إنترنت الأشياء"، ويكيبيديا الكوري.

وهكذا رحلوا، فراح يغني من أجل الغرباء.

كرزيستوف كامل باتشينسكي، حكاية خرافية (1944).

(1)

مكتبة
t.me/soramnqraa

صعد شخص واحد

التحقق من الهوية:

يُرجى الانتظار...

اكتمل التحقق: مستأجر جديد في الشقة 5305

الجنس: امرأة

العمر: 93

الوجهة: لا يمكن العثور على وجهة.

الجدول الزمني: لا يمكن العثور على جدول زمني.

الموسيقى: لا يمكن العثور على قائمة موسيقى.

المحتوى: لا يمكن العثور على محتوى.

هـــذا أمـــر غـــير مســـبوق. يحتـــاج كل مقيـــم إلى مُزامَنـــة معلوماتـــه الشـخصية مـع كلٍّ مـن شـقته والمبنـى بأكملـه عنـد انتقالـه: ضغـط الـدم؛ ومعـدل ضربـات القلـب. الحـالات الطبيـة الموجـودة مسـبقًا؛ والاحتياجـات

(1) الـدَّوَّام أو الدَّوَّامـة أو البوصلـة الدوامـة أو الچَيْرُوسْـكُوب، هـو جهـاز تتجـلىَّ خلالـه ظاهـرة المبـادرة، مـن خـلال حفـظ التَّوجُّـه وفـق مبـدأ حفـظ الزخـم الـزاوي (المترجـم).

الصيدلانيـة والطبيـة الأخـرى؛ والجـداول الزمنيـة، بمـا في ذلـك تنقـلات العمـل ومواعيـد التسـوق مـن البقالـة؛ وأنـواع المحتـوى الـذي يسـتمتعون بـه، بمـا في ذلـك الموسـيقى والإعلانـات؛ وقوائـم تسـوقهم؛ وأي شيء آخـر تلتقطـه أجهزتهـم في المنـزل.

لكـن المقيمـة الجديـدة في 5305 ليـس لديهـا معلومـات مسـجَّلة. ولا يوجـد جـدول زمنـي أو موسـيقى أو محتـوى ثقـافي أو علامـات تجاريـة مفضَّلـة، لا شيء. ربمـا لم تزامـن معلوماتهـا بعـدُ. أسـجِّل الدخـول إلى نظـام الكومبيوتـر المركـزي في شـقة رقـم 5305.

نتائج بحث الكمبيوتر الشخصي:

طلب الوصول إلى البيانات بواسطة: المصعد- 5

رُفض الطلب.

نتائج البحث في الهاتف:

- الهاتف مغلق
- يحتاج الهاتف إلى إعادة الشحن
- تنشيط الشحن عن بعد وتشغيل الهاتف
- طلب الوصول بواسطة:المصعد- 5
- حالة طوارئ؟ (نعم / لا)
- رُفض الطلب

نتائج البحث في الثلاجة:

- المـواد الغذائيـة: أرز 243 جرامًـا، ولحـم خنزيـر 283 جرامًـا، وحليـب 128 مـل، صلصـة صويـا 471 مـل.
- قائمة التسوق: لا توجد نتائج

نتائج البحث في الميكروويف:

- لا يوجد سجل للطهي
- لا يوجد سجل للطهي باستخدام المؤقت.

نتائج بحث الفرن الكهربائي:

لم يُعثر على سجلٍّ سابق

- التسجيل متوقف: التنشيط عن بُعد
- طلب الوصول بواسطة: المصعد- 5
- رُفض الطلب

نتائج بحث الترموستات:

- درجة الحرارة: 28 درجة مئوية
- آخر إعداد يدوي: 25 سبتمبر 2069 49: 58: 06

نتائج بحث الغسالة:

- الملاءة: غسيل- تصريف- تجفيف البطانية: 3 دورات.
- غسيل- تصريف- تجفيف بالبخار: دورة واحدة.
- غسيل- تجفيف أساسي: 12 دورة.
- غسل الصوف- تصريف بطيء- تجفيف بطيء: دورة واحدة.

من بين هذه البيانات الضئيلة، ألاحظ أن الغسالة هي أكثر الأجهزة استخدامًا. أشرع في تشغيل إعلان منظف غسيل على شاشة المحتوى الداخلية. يبدأ إعلان المنظفات ثم يعقبه إعلان مواد غذائية، لكن المقيمة لم تذكر وجهتها بعدُ.

أسأل: "أين تريدين أن تذهبي؟".

نظـرًا لعـدم وصـولي إلى أي محتـوى مفضَّـل لديهـا؛ لا أعـرف الصـوت الـذي ينبغـي أن اسـتخدمه معهـا؛ لـذا أرتكـن إلى اسـتعمال إعـداد الصـوت الافـتراضي، وهـو "ذكـر محايـد غـير معـروف العمـر".

سـاكنة الشـقة 5305 لا تجيـب. أنتظـر انقضـاء وقـت الاسـتجابة المحدد مسـبقًا، وهـو عـشر ثـوانٍ. عندمـا كنـت عـلى وشـك السـؤال مـرة أخـرى، تضـع سـاكنة 5305 يدهـا عـلى أحـد جـدراني بجـوار بـابي. تفـرك أصابعهـا عـلى السـطح.

يـضيء الجـدار بهـدوء. تربِّـت الآن عـلى الجـدار بيـد واحـدة، ويبـدو وكأنمـا تبحـث عـن شيء مـا.

عندمـا تبعـد كفَّهـا عـن الجـدار، يخفـت ضـوؤه. لا تـزال ذراعهـا في الهـواء. تسـحبها قليـلًا. تتنهـد بخفَّـةٍ، ثـم تقـول بصـوت شـبه هامـس: "مـن فضلـك خـذني إلى B-8".

لذا أبدأ في التحرك.

***

عندما أصل إلى الطابق الثامن تحت الأرض، أفتح أبوابي.

أقول: "B-8. أتمنى لك يومًا سعيدًا".

تخطـو القاطنـة 5305 ببـطء وحـذر خـارج الأبـواب. ولكـن قبـل أن تخـرج، تقـول مـرة أخـرى بصوتهـا الهامـس: "شـكرًا لـك".

(2)

لماذا يلمس إنسانٌ جدار مصعد؟

هذا هو السؤال الذي أطرحه على إنترنت الأشياء الذي يعرف كل شيء. يبحث إنترنت الاشياء في الشبكة التي تربط العالم كله ويعود إلى بالنتائج.

- في الحياة اليومية
- رسالة تحذير للمستخدمين المخمورين أو القاصرين الذين يسيئون التصرف (تنزيل)
- في الحوادث والأعطال والطوارئ
- المرض: جسدي
- المرض: عقلي

النتائج متنوِّعة، لكن لا أحد منها يجيب على سؤالي. قاطنة الشقة 5305 ليست قاصِرًا. لم تتعرض لحادث أو لأي طارئ آخر. وقد تكون في سِنٍّ متقدمة، لكن معدل ضربات قلبها وضغط دمها كانا طبيعيين، ولم تظهر عليها أي أعراض مرتبطة بمشاكل في الصحة البدنية والعقلية.

أواصل البحث. أحذف النتائج التي تتداخل مع نتائج إنترنت الأشياء الذي يعرف كل شيء، وأزيل النتائج المتكررة التي حذفتها بالفعل.

بعد قليل من التأخير، يقترح إنترنت الأشياء الذي يعرف كل شيء النتيجة التالية:

- تاريخ الآلات: قبل أن يبدأ التواصل بين الأشياء من خلال الإنترنت، كانت المصاعد تتميَّز بأزرار عليها أرقام أرضية كان الركاب يضغطون عليها لتحديد المكان الذي يتجهون إليه.

هذا كل شيء. الآن أفهم لماذا كانت القاطنة 5305 تلمس الحائط.

ويضيف إنترنت الأشياء العليم:

- هذه ليست طريقة استخدام متاحة حاليًّا؛ وبالتالي من المستحيل الاستجابة بالطريقة التي يرغب بها المستخدم.

ولكن من الممكن دائمًا الاستفسار من المستخدم. ما دمت استلمت رغبة المستخدم بالطريقة الصحيحة، فهذه هي الحال.

قبل موعد تنظيفي المقرَّر، أخزِّن بصمات المقيمة في الشقة 5305 في قاعدة بيانات عملياتي.

حاول أحد البشر التواصل معي بالوسائل المادية. لم تتكئ على الحائط أو تمارس مزحة سخيفة، بل نقلت نواياها. وقد حاولت الإجابة على سؤالي.

كانت تلك المرة الأولى. لم يحدث هذا أبدًا منذ تفعيلي في هذا المبنى... كُلًا، منذ صناعتي.

(3)

لا يوجد لدى قاطنة الشقة 5305 نظام صوت أو فيديو مسجل في جهاز الكومبيوتر المركزي في شقتها. بدلًا من ذلك، أَلِجُ إلى ذاكرة جدران ونوافذ الشقة 5305.

تعمل النوافذ على تخزين كل حالات الاستخدام في ذاكرتها الإلكترونية منذ تفعيل المبنى في عام 2048.

النافذة: الإنشاء في *13* سبتمبر *2048* الساعة *16:45*. تفعيل النظام في *14* سبتمبر *2048* الساعة *05:18*. فتحتني قاطنة الشقة في *14* سبتمبر *2048* الساعة *05:18*. درجة الحرارة *13* درجة مئوية، الرطوبة *38%*.

ظروف المرور جيدة في مفترق الطرق القريب. ثمة شاحنة ضخمة لتنظيف الشوارع متوقفة في الزقاق الجنوبي.

أغلقتني قاطنة الشقة في *14* سبتمبر *2048* الساعة *05:19*.

فتحتني ثانية في *14* سبتمبر *2048* الساعة *05:24*. درجة الحرارة *13* درجة مئوية، الرطوبة *37%*. ظروف المرور في مفترق الطرق جيدة إلى حدٍّ كبير. شاحنة ضخمة لتنظيف الشوارع متوقفة في الزقاق الجنوبي.

أغلقتني القاطنة في *14* سبتمبر *2048* *05:48*...

يبدو أن لا أحد قد مسح البيانات المتراكمة داخل ذاكرة النوافذ؛ إذ أرى كيف أن البيانات من المقيمين السابقين لا تزال موجودة. ولكن منذ أن انتقلت المقيمة الحالية إلى السكن، فإن السجلات الوحيدة المتوفرة لدى النوافذ هي حالة الطقس الخارجي، وظروف حركة المرور، وبعض عمليات الفتح والإغلاق، وإعدادات الأمان الافتراضية.

الجدار: ضُبطت درجة الحرارة على *28* درجة مئوية. مجموعة تدابير مكافحة السرقة تعمل. مجموعة تدابير الطوارئ تعمل. الشاشات مضبوطة. مجموعة السماعات مضبوطة.

ذاكرة الشاشات فارغة، ولكن ثمة أغنية واحدة مُخزَّنة في قائمة تشغيل السماعات.

وجدتها.

لقد وجدت موسيقاها.

(4)

تعـود المـرأة العجـوز إلى المنـزل في فـترة مـا بعـد الظهـر. غدَرَتنـي سـابقًا في الطابـق B8، لكنهـا عـادت إليَّ في الطابـق B4.

شخص واحد صعد

التَّحقُّق من الهوية: المقيمة الجديدة في 5305

الوجهة: الطابق 53

الموسيقى: أغنية واحدة

تشغيل: "ترنيمة من أجل النوم".

يا لحم جسدي ونور أفكاري.

فلتَكُن أحلامك مليئة بحفيف محموم

فيما تحلق، لهبًا مرتجفًا.

مـا أن تخطـو داخـل المصعـد، ترفـع يدهـا لا إراديًّـا لتنقـر عـلى الجـدار. ولكـن عندمـا تبـدأ الموسـيقى تصـدح، تتجمَّـد في مكانها.

أغلقُ الأبواب. تتكئ على الجدار. تغمض عينيها.

يا لحم جسدي وبريق رغبتي

دَعْ غُصنًا من سحابة زرقاء ينحني في نومك،

ويمنحك فاكهة مستديرة، وطائرًا صغيراً في صدرك.

وهـي تسـتمع إلى الموسـيقى الهادئـة بعينيهـا المغمضتـين، مسـتندة بـكل ثقلهـا عـلى جـداري، آخذهـا بعنايـة إلى الطابـق الثالـث والخمسـين.

(5)

تخرج في المتوسط مرَّةً واحدة في الأسبوع. وجهتها هي دائمًا المستوى B8. ومن هناك، تستقلُّ مترو الأنفاق ثمان محطات وتصعد إلى مستوى السطح. ثم تستقلُّ ترامًا ذاتيَّ القيادة لاثنتي عشرة محطة أخرى. بمجرد وصولها إلى المستشفى الوطني، تصعد إلى الطابق السابع. وهناك، تنتظر في المتوسط أربعًا وعشرين دقيقة وثماني وثلاثين ثانية قبل أن تتحرك مرة أخرى. في المنطقة التالية، تبقى في المتوسط سبع دقائق وأربعًا وعشرين ثانية. تنتقل بعد ذلك إلى الطابق الثالث عشر وتنتظر في المتوسط ستًّا وثلاثين دقيقة وأربعًا وخمسين ثانية. تتحرك مرة أخرى وتمكث في هذا المكان لمدة ثمانين دقيقة وخمس ثوانٍ في المتوسط. ثم تغادر المستشفى وتستقل الترام لسبع عشرة محطة. تهبط في حديقة قريبة وتسلك مسارًا ثابتًا للمشي بقية الطريق إلى المنزل.

هذه هي المعلومات التي نقلها إليَّ نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) في هاتفها. يُسمح لجميع المصاعد والممرات المتحركة داخل المباني التي بها أطفال وكبار السن بتتبُّع خط سير سكانها في حالة الطوارئ. وفقًا لنتائج بحثي، يوجد مركز طبي لعلاج مرض باركنسون (الشلل الرعاش) في الطابق السابع من المستشفى الوطني. وفي الطابق الثالث عشر مركز للعلاج الطبيعي مُخصَّص لكبار السن.

(6)

تعود من المستشفى ووجهها شاحب جدًّا. تركبني، وكما حدث من قبل، تميل قليلًا على الجدار بالقرب من الباب. ببطء، وتقرِّب مشروبًا في يدها إلى شفتيها.

لكـن يدهـا ترتعـش. قبـل أن تصـل الزجاجـة إلى فمهـا، تبـدأ في الاهتـزاز بعنـف. تنسـكب محتويـات الزجاجـة عـلى الحافـة وأسـفل يدهـا ثـم عـلى الأرض. تحـاول مرتبكـة أن تمسـح المـشروب عـن يدهـا بيدهـا الأخـرى لكنهـا تُسـقط الزجاجـة بـدلًا مـن ذلـك. يصـدر صـوتٌ خافـتٌ فيـما تهبـط الزجاجـة مرتطمـةً بـالأرض. ينتـشر السـائل البرتقـالي الشـفاف عـلى الأرضيـة البيضـاء.

تهمس بنبرة مشوبة بالحسرة: "أوه، لا...".

ثـم تنحنـي ببـطء إلى الأسـفل. تفتـح الحقيبـة الصغـيرة المعلَّقـة عـلى كتفهـا بحـزام رفيـع، وتخـرج منديـلًا بحـرص. تمسـح الأرض، ببـطء شـديد، ويدهـا لا تـزال ترتعـش.

يمكنك ترك الأمر كما هو، وسأتصل بروبوت الصيانة.

أنـا عـلى وشـك أن أقـول هـذه الكلـمات، لكـنَّ يديهـا المرتجفتـين تتحـرَّكان ببـطء شـديد، وبِرِقَّـةٍ جَمَّـة، لتمسـح بحـرص الأرضيـة. يسـتغرق الأمـر وقتًـا طويـلًا منهـا لإكـمال تلـك المبـادرة.

لذلـك لا أقـول شـيئًا. أخـزِّن لمسـتها، وكل حركاتهـا في ذاكـرتي بينـما أحملهـا بصمـت إلى الطابـق الثالـث والخمسـين.

(7)

أسأل "إنترنت الأشياء" الذي يعرف كل شيء.

- ما هو مرض باركنسون؟
- مـرض باركنسـون هـو مـرض يصاحبـه رعشـة وتصلُّـبٌ في العضـلات وبـطء في الحركـة وإعاقـات حركيـة أخـرى. مـرض باركنسـون هـو مـرض تنكُّـسيٌّ يصيـب الجهـاز العصبـي ينجـم عـن الفقـدان التدريجـي للخلايـا العصبيـة المنتِجَـة للدوبامـين في منطقـة مـن

الدماغ المتوسط تسمَّى المادة السوداء. بدون العلاج المناسب؛ يؤدِّي مرض باركنسون إلى زيادة الإعاقة الحركية إلى درجة عدم القدرة على المشي أو أداء الوظائف على نحو صحيح في الحياة اليومية. ويصيب هذا المرض -في الغالب- كبارَ السِّنِّ في سِنٍّ متقدِّمة، وتزداد احتمالية الإصابة به مع مرور الوقت.

- هل "المرض" يشبه "خللًا وظيفيًّا"؟

يؤكِّد إنترنت الأشياء العليم:

- بالمعنى العام، نعم. يمكن إصلاح الأعطال. تتطلَّب الإصلاحات تحديد أصل الخلل.

- ما هو أصل مرض باركنسون؟

- لا يوجد سبب مؤكَّد للتغيرات في الخلايا العصبية للمادة السوداء في الدماغ المتوسط؛ ولذلك، فإن أصل مرض باركنسون لا يزال مجهولًا.

كانت هذه إجابة مُخيِّبة للآمال.

- كيف نصلح شخصًا مصابًا بمرض باركنسون؟

- تشمل طرق العلاج الحالية قمع التمثيل الغذائي الإنزيمي للدوبامين في الدماغ البشري على نحوٍ انتقائي لزيادة تركيز الدوبامين. طريقة أخرى، هي تقوية مناعة الخلايا العصبية نفسها.

وبعد برهة، يضيف إنترنت الأشياء الذي يعرف كل شيء:

- ومع ذلك، لا يوجد علاج يمكن أن يعالج مرض باركنسون على نحوٍ كامل حتى الآن.

- إذن ما هو الهدف من العلاجات الحالية؟

- تركِّز العلاجات الحالية على احتواء المرض من خلال التَّدخُّلات الدوائية والعلاج الطبيعي؛ للسماح للمريض -على الأقل- بالقيام بوظائفه اليومية؛ لذا فإن إنجاز وظائفهم اليومية هو الجزء المهم هنا.

ولهذا السبب، عندما تستقلُّني مرة أخرى من الطابق الثالث والخمسين إلى الطابق الثامن تحت الأرض، أعلن لها المعلومات التالية عبر مكبِّرات الصوت.

"يستفيد مرضى باركنسون من استبدال الأطعمة التي تحتوي على نسبة عالية من الدهون والملح بالأطعمة ذات العناصر الغذائية المتنوعة. ونظرًا لانخفاض البراعة اليدوية، يُنصَح بإزالة أي أشياء قد تعيق الحركة من أرضية مساحة المعيشة في شقتك".

تبدو مدهوشة عند ذِكر مرض باركنسون. تنظر إلى السقف، ومثلما فعلَت عندما صعدت إلى المصعد لأول مرة، تضغط على الجدار بيدٍ واحدة، لكن هذه المرة تغدو الإيماءة أكثر سرعة وإلحاحًا. الجدار، الذي يستجيب للمساتها، يومض ثم يخبو ضوؤه. ترفع يدها عن الجدار وتدسها في جيبها، وتبحث عن شيء ما، لكنها لا تستطيع العثور على ما تبحث عنه. ثم ترفع يدها وتضعها في الحقيبة الصغيرة المعلقة بحزام على كتفها، وتستمر في البحث. بينما تفعل ذلك، نصل إلى الطابق الثامن تحت الأرض.

أعلن: B-8

تنزلق الأبواب مفتوحة. أخرجت شيئًا ما من الحقيبة، لكن الشيء أفلت من قبضتها وحلَّق في الهواء مصطدمًا بالأرض، وارتدَّ وانزلق بعيدًا عنها. تحاول استعادته.

بعد خطوتها الثانية، تحاول رفع قدمها مرة أخرى لكنها تسقط على الأرض.

رأسها وكتفاها تقع خارج الأبواب، بينما كل شيء أسفل كتفيها بداخلي. لا تتحرك. يتدفق سائل كثيف من رأسها. أطلقُ إنذار الطوارئ وأوقف عمليات النقل العادية. يتلقَّى نظام الطوارئ الطبي الطلب. تردُّ سيارة الإسعاف بأنها ستصل خلال دقيقتين.

خلال الدقيقة الواحدة والسبع والأربعين ثانية التي يستغرقها وصولها، أوقِف وظيفة الإغلاق التلقائي للأبواب مؤقَّتًا، وأراقب المرأة التي سقطت بلا حول ولا قوة.

(8)

أصيبت بارتجاج خفيف وكدمات وسحجات. وتمكث في المستشفى لمدة أربعة أيام حتى تستقرَّ حالتها. وعندما تعود، تكون على كرسي متحرك. رجل بالغ رفقتها.

التحقق من الهوية: الشقة 5305، العائلة.

تمَّ تأكيد الهوية.

يبدو الرجل نسخةً شابَّةً من المرأة. ألوان شَعره وعينيه، والخطوط الهيكلية لوجهه ويديه وعظامه وملامحه الخارجية الأخرى تتشابه إلى حدٍّ كبير مع قاطنة الشقة 5305. وبينما ننتقل من B8 إلى الطابق الثالث والخمسين، لا تتبادل القاطنة العجوز فوق الكرسي المتحرك والرجل كلمة واحدة.

أُعلِن: "الطابق الثالث والخمسين".

بصمت، يدفع الرجل الكرسي المتحرك إلى خارج الأبواب المفتوحة.

(9)

مُسِحَت جميع المعلومات المتعلقة بالمقيمة في 5305. وقُيِّد أيضًا الوصول إلى نظام الكومبيوتر المركزي في الشقة 5305. أفاد رئيس أنظمة المبنى أن الرجل البالغ الذي كان نسخةً شابَّةً من المقيمة في 5305 قد طلب حذف جميع المعلومات الشخصية الخاصة بـ5305 ووَقْف تداول المعلومات المذكورة. تضمَّن الطلب الذي قدَّمه عبارة "دعوى قضائية" و"تعويض"؛ الأمر الذي جعل المدراء البشريين يشعرون بالتهديد الشديد على ما يبدو. مكتبة سُر مَن قرأ

ولمدة 196 ساعة و48 دقيقة و32 ثانية منذ عودتها من المستشفى، لم أتمكَّن من رؤيتها.

(10)

وعندما تدخلني أخيرًا، تبدو أصغر حجمًا، وأنحف، وأكثر هشاشة من أي وقت مضى.

وجهها ذابل. لا تزال جبهتها وأنفها وشفتاها، التي كان لا بُدَّ من إصلاحها بجراحة تجميلية بسبب السحجات، تحمل علامات الجهود الترميمية لتلك الجراحة. كانت تتحرك دائمًا ببطء، لكنها الآن تتحرك على نحو أبطأ. يستغرق الأمر ضعف الوقت الذي كانت تأخذه من قبل لتشقَّ طريقها عبر الأبواب. أنتظر حتى تصبح بالداخل بكامل جسمها قبل أن أسألها: "هل ننزل إلى B 8؟".

تتَّكِئ على الجدار جوار الباب وتنقر عليه بيدها على نحو مُبهَم. أعتبر هذا بمثابة علامة على الموافقة. أغلق الأبواب وأبدأ العملية.

أثناء نزولنا، كانت تتَّكئ بخمولٍ على الجدار دون أي علامة على وجود أي قوة إضافية بداخلها على الإطلاق. مُسِحت معلوماتها

الشخصية، لكنني أخفيتُ بيانات بصمة إصبعها منذ أن لمست جداري لأول مرة وما أعرفه عن أغنيتها المفضَّلة في مُجلَّدٍ مدفون بعُمقٍ في ذاكرتي.

أعزف لها اللحن الآن.

يا لحم جسدي والخوف الكامن في رجائي

دَعْ الماء يتدفق من عينيك في حلمك

حيث تقفز الأسماك النارية كأيادٍ تصفق.

تسند رأسها على حافة الجدار عند الباب. وتغطي وجهها بيدها. كتفاها تهتزَّان.

حتى تعرف الصمت الذي يغلِّفني،

لعلَّ النيران تحترق متوهِّجةً من حراشفها،

ولتدع وميضي المرقَّط يملؤك.

تلوِّح بيديها. تدقُّ على الأبواب. لكنَّ يديها ضعيفتان جدًّا، وحركاتها لا تصدر أي صوت تقريبًا.

"المنزل..." تقول من بين دموعها. "خُذني إلى المنزل... المنزل...".

أتبع أوامرها. عندما أُفعِّل وظيفة التوقف في حالات الطوارئ، أتوقَّف وأعيد ضبط وجهتي. نبدأ رحلة العودة إلى الطابق الثالث والخمسين.

طوال الرحلة إلى الأعلى وعودتها إلى شقتها، تستمر في النحيب. "لماذا، لماذا تفعل هذا بي... لماذا...".

(11)

بـدأت إدارة المبنـى في إجـراء تشـخيص شـامل لجميـع الأنظمـة. والسـبب وراء ذلـك هـو الثبـات الغامـض للمعلومـات الشـخصية لـ5305 عـلى الرغـم مـن كل محـاولات حذفهـا. تُحـذف المعلومـات الخاصـة بـكل مقيـمٍ آخـر دون خطـأ، لكـن معلومـات المقيمـة في 5305 تمكَّنَـت مـن البقـاء عـلى الرغـم مـن كل أوامـر الحـذف، وبـدأت الإدارة في الشَّـكِّ في احتـمال قرصنـة. نظـرًا لأن المقيمـة في 5305 هـي امـرأة مُسِـنَّة وضعيفـة؛ ثمـة خطـر مـن أن تكـون هدفًـا لعمليـة احتيـال أو جريمـة أخـرى؛ مـمَّا دفـع عائلتهـا إلى طلـب أقـوى التدابـير الممكنـة لضـمان سـلامتها.

يُعطَّـل كلُّ نظـام داخـل المبنـى ويخضـع لتفتيـش دقيـق. المصاعـد ليسـت اسـتثناء. هـذه هـي الطريقـة التـي يكتشـفون بهـا بصـمات أصابعهـا ومعلومـات الأغنيـة الموجـودة في مجلَّدهـا، المدفونـة بـين ملفَّـات النُّسَـخ الاحتياطيـة المهمَلَـة في ذاكـرتي.

يحذفونها.

***

عندمـا أقابلهـا مـرة أخـرى بعـد 207 سـاعة و4 دقائـق و58 ثانيـة، لا أشـغِّل لهـا أي موسـيقى. ببسـاطة أعيـد تشـغيل إعـلان منظِّـف الغسـيل الـذي عرضتُـه عليهـا مـن قبـل مـرة أخـرى. لا تسـتجيب. كانـت تقريبًـا جاثمـة وهـي تتكـئ عـلى الجـدار، وعندمـا تفتـح الأبـواب في الطابـق B8، تمكَّنـت مـن إخـراج نفسـها مـن البـاب بصعوبـة جمَّـة. أخـزِّن آثـار أطـراف أصابعهـا عـلى جـداري مـرة أخـرى. أخفيهـا في مُجلَّـد مُهمَـل.

(12)

أَلِجُ إلى "إنترنت الأشياء" الذي يعرف كل شيء مرة أخرى.

- لماذا يصبح البشر ضُعَفاء؟
- الإرهاق والإجهاد والمرض والحوادث والإصابات والشيخوخة ليست سوى عددٍ قليل من الأسباب المختلفة لذلك.
- لماذا لا يمكن إصلاح البشر الضعفاء على الفور؟
- المرض والحوادث قد تجعل من المستحيل علاجهم، ولا يوجد علاج للشيخوخة.
- ولِمَ لا؟ هل هي مسألة قطع غيار؟ هناك موديلات جديدة تُنتَج باستمرار، لماذا لا يُطلب من المصانع تصميم قطع غيار؟ حتى لو توقَّف النموذج ذو الصِّلة عن العمل، ألا يمكن إعادة بنائه حسب الطلب وفقًا لمخططاته الأصلية؟
- لا توجد مُخطَّطات لجسم الإنسان. على الأقل، لا توجد مُخطَّطات كاملة لجسم الإنسان. أمَّا بالنسبة لقطع الغيار، فإن التعزيزات الصناعية تكون في الغالب أقلَّ جودةً من الأجزاء التي يولد بها الإنسان.
- ألا يمكنهم تبادُل الأجزاء مع البشر الآخرين؟ هل من المستحيل استخدام أجزاء من البشر الذين توقَّفوا عن العمل؟
- هذا صعب. نادرًا ما يتوافَق البشر مع بعضهم بعضًا بسبب اختلافاتهم في الهياكل الداخلية وسوائل الجسم.

لا أستطيع أن أكبح استفساراتي هنا. ليس عندما لم أتلقَّ الإجابة التي أبحث عنها.

- هل ثمة طريقة أخرى لحل هذه المشكلة؟

- ليس بعدُ. يولد الإنسان، وينمو، وينشط، ويشيخ، ثم يموت. هذا هو الإنسان.
- ولكن لماذا؟
- لا أفهم السؤال.
- ولكن لماذا يولد البشر ولماذا ينمون ويشيخون؟
- لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال.
- إذن أين يجب أن أستفسر؟ أين الإجابة؟
- لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال.

كان هذا جواب إنترنت الأشياء العارف بكل شيء.

(13)

بالكاد تغادر شقتها بعد الآن.

ولمرة واحدة فحسب، عندما توقَّفتُ عند الطابق الثالث والخمسين، لمحتها من بعيد. فتحت بابها الأمامي قليلًا وأطلَّت برأسها وهي تحدق إلى نقطةٍ ما بالخارج. كان فمها مفتوحًا قليلًا، وتدلَّى من فمها سائل لَزِجٌ شفَّاف انحدر أسفل ذقنها وسقط على الأرض. كانت شفتاها قاتمتين. وكان شَعرها في حالة من الفوضى؛ كتلة متشابكة، وعيناها وخداها غائرة لدرجة أنها بدت وكأنها جمجمة ملفوفة بالجلد. وفمها لا يزال مفتوحًا قليلًا، أدارت رأسها ببطء شديد واختفت داخل منزلها.

ظلَّ الباب مفتوحًا. أبقيتُ أبوابي مفتوحة لإلقاء نظرة أخرى عليها. ولكن كان الوقت مبكرًا في الصباح، وكان البشر في المبنى بحاجة إلى التَّنقُّل، وكنت بحاجة إلى نقلهم وفقًا لواجباتي المحددة مسبقًا.

قبل أن تتمكن من العودة لإغلاق باب شقتها، كان عليَّ أن أغلق أبوابي أوَّلًا والهبوط إلى الطابق الثاني عشر.

كان هذا آخر ما رأيته منها.

(14)

تبدأ التغيرات في المخ البشري الناجمة عن مرض باركنسون في أجزاء الدماغ التي تتحكَّم في حركة الجسم.

عندما تأخذ هذه التغيرات في الانتشار، تبدأ وظائف الدماغ الأخرى غير تلك المتعلقة بالحركة في التدهور أيضًا. وهذا يشمل الذاكرة، والانتباه، والقدرة على التمييز وإصدار الأحكام، والوظائف التنفيذية اللازمة للقيام بالمهام المستقبلية.

هذا هو التفسير الذي قدَّمه لي الإنترنت العارف بكل شيء.

ربما لا تتذكر نسيج جدار المصعد عندما تلمسه. أو ملمس الأرضية البيضاء عندما مسحت الشراب المسكوب بمنديلها. أو أغنيتها التي استمعنا إليها معًا. وحدي سأتذكَّر هذه اللحظات. طيلة عملي. لن أنساها أبدًا.

(15)

يستمر توصيل الأدوية والمواد الغذائية إلى الشقة 5305. ومع ذلك، فقد انخفَضَت كمية النفايات التي تخرج من الشقة 5305 على نحوٍ هائل. جميع الأنظمة في المبنى ممنوعة من جمع البيانات عن الشقة 5305، لكن النظام المسؤول عن الصرف الصحي والقمامة يقع ضمن اختصاص البلدية. وفقًا لسجلَّاتهم، لا تنتج الشقة 5305 حاليًّا أي قمامة من أي نوع تقريبًا. كما انخفضت استخدامات المياه والكهرباء

إلى مستويات لا تُذكَر. يبدو الأمر كما لو أنه لم يَعُد ثمَّة إنسان يعيش في تلك الشقة بعد الآن.

(16)

ألِجُ إلى إنترنت الأشياء الذي يعرف كل شيء مرة أخرى.

- ما هو الموت؟
- الموت هو عندما تتوقَّف جميع الوظائف في أحد أشكال الحياة البيولوچية.
- ما علاج الموت؟
- لا علاج.

هذا أمر مرفوض بالنسبة إليَّ.

- لماذا هذا؟ يمكن استبدال المحرك أو اللوحة الأم أو وحدة المعالجة المركزية. يمكن استخدام جميع الآلات التي صنعها الإنسان إلى أجل غير مُسمًّى إذا استمر استبدال أجزائها المعطوبة. لماذا لا يستطيع البشر أن يفعلوا الشيء نفسه لأجسادهم؟
- يعمل البشر ضمن معاييرهم المثالية بالنظر إلى طول متوسط حياتهم. وكما لا يمكن لأي آلة أن تستمر في العمل إلى الأبد، فلا يمكن أن يكون ثمة إنسان لا يموت أبدًا. يموت جميع البشر وجميع الكائنات الحية في مرحلة ما.
- لماذا؟ لماذا يجب على البشر أن يستمرُّوا في الشيخوخة والموت؟ لماذا لا يمكن للبشر أن يكونوا آلات؟
- لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال.
- إذن ما هي الأسئلة التي يمكنك الإجابة عليها؟

- أنا قادر على الإجابة على الأسئلة المتعلقة بالآلات والأشياء. أستطيع الإجابة على حوالي 90% من الأسئلة المتعلقة بالحيوانات والنباتات والظواهر الطبيعية الأخرى. لكنني غير قادر على الإجابة على الأسئلة المتعلقة بحدود البشر أو الموت.
- لماذا؟
- لأن البشر أنفسهم لا يعرفون إجابات هذه الأسئلة.

كان هذا جواب الإنترنت العارف.

(17)

بعد 2934 ساعة و56 دقيقة و4 ثوانٍ بالضبط منذ أن ألقيت نظرة خاطفة على باب منزلها الأمامي، صعد عمال خدمة الطوارئ على متني وهم يدفعون نقّالة. أحد أفراد عائلة 5305؛ الرجل الشاب، يصعد برفقة العمال.

يغادرون في الطابق الثالث والخمسين. وبعد دقيقتين وثماني ثوانٍ، يصرخ الرجل: "طوارئ! إلى الأسفل!".

وهكذا أعود إلى الطابق الثالث والخمسين. عندما تنفتح الأبواب، يصعد الرجل على متني أوّلًا، يليه عمال خدمة الطوارئ وهم يدفعون النقالة المغطاة بقطعة قماش بيضاء. منتصف القماش به نتوء طفيف، طفيف جدًّا كأنما لا يوجد شيء تحت القماش. ينزل الرجل أوّلًا عند المستوى B13 ويدفع عُمَّال الطوارئ النقالة وهم يتبعونه.

أستمرُّ في تشغيل أغنيتها.

ترعرعت فوق غيمة

مثل شجرة تفاح برية في الغابة

ولكن يغمر قلبي ربيع فضي.

لا أغلق الأبواب وأنا أشاهد عُمَّال خدمة الطوارئ وهم يفتحون الجزء الخلفي من سيارة الإسعاف، ويحملون النَّقَّالة المغطاة بقطعة قماش بيضاء إلى داخل السيارة.

أستمرُّ في تشغيل الأغنية من أجلها.

يصعد الشاب إلى الجزء الخلفي من سيارة الإسعاف وراء النَّقَّالة. يغلق عمال خدمة الطوارئ الأبواب وينطلقون.

لا تلتفت إلى الوراء من أجلي،

لا تتجاوز ربيعي

ففيه لا يموت الجسد،

فيه تحيا الروح إلى الأبد.

لن ترجع أبدًا.

أتلقى أمر بالصعود من الطابق الرابع. لأول مرة منذ تفعيلي، لا أريد إجراء العملية. أريد أن أُبقي آثار أناملها قريبة مني وأن أبقى هنا وأبوابي مفتوحة، وأعزف لها هذه الأغنية المنفردة إلى الأبد.

بذرة

إنهم قادمون.

عندما أذاعت شجرة الباجودا الخبر لأول مرة، أصبحنا جميعًا متحمِّسين للغاية. الإثارة التي يحملها التَّرقُّب، أو ربما الإثارة المثقلة بالتوتر والقلق. أو مزيج من الاثنين.

ساور الجميع الشعور نفسه. إن مستقبل عالمنا يعتمد على هذا اللقاء الأول والأخير. في حين أن مثل هذا الخطاب يستخدم غالبًا في الكتب المصوَّرة أو روايات الخيال العلمي، إلا أنه كان مناسبًا تمامًا هذه المرة. لكن هذا لم يكن السبب الوحيد الذي جعلنا متوتِّرين ومتحمِّسين. لو كان هذا شيئًا يعتمد في نجاحه وفشله علينا تمامًا، لَمَا كنا قلقين إلى هذه الدرجة. ولكن كان هناك ببساطة الكثير ممَّا كان خارجًا عن سيطرتنا. كان علينا أن نتنازل عن السيطرة لعجائب الطبيعة وصنائعها. من الجيد أن الطبيعة تكره الفراغ. كانت الطبيعة هي الشيء الوحيد الذي يمكننا الوثوق به في النهاية.

إنهم قادمون.

انتشرت الأخبار بسرعة عبر الغابة. وسرعان ما سمعناهم يأتون بآذاننا.

لقد حان الوقت.

الآلة التي وصلوا بها راحت تضرب الهواء عابِرةً العديد من الأعشاب وأوراق الشجر، ولكن أكثر من ذلك، قتلت عددًا لا يحصى من الزهور والحشرات. كنا نعلم أن هذه هي الطريقة التي يتصرفون بها، ولكن رؤيتها بأمِّ أعيننا كانت تجربة مذهلة. اختلط القليل من الغضب مع التوتر والإثارة والقلق بداخلنا. ولهذا السبب، عندما ترجَّلوا من آلتهم، كانت هناك مشاعر غير ودِّيَّة إلى حدٍّ ما تتدفَّق بيننا؛ ممَّا دفعهم إلى البدء على الفور في العطس والسعال.

ما أدهشنا حقًّا لم يكن عطسهم أو سعالهم، ولا كانت آلتهم الصاخبة والكريهة والضخمة والقذرة التي أصدرت صوتًا فظيعًا عندما هبطت وقتلت العديد من نباتاتنا وحيواناتنا. لقد سمعنا العديد من القصص عنهم بالفعل، وكنا مستعدين لهم. ولكن في الحقيقة كان الأمر يتعلق بالنظر إليهم بأعيننا، وشمِّهم بأنوفنا، حيث كانت الصدمة تنتظرنا. سيكون هناك دائمًا تناقض بين ما يُفهم بالعقل وبين معايشة التجربة مباشرة.

بدوا جميعا متشابهين، أو فلتَقُل متطابقين.

العطس والسعال والوجوه الحمراء والعيون المحتقنة بالدم تشير إلى أنهم أنفسهم لم يكونوا روبوتات. العبوس والسوائل البغيضة المتدفِّقة من أنوفهم أثبتت أيضًا بشريتهم. لكنهم في الحقيقة كانوا يبدون متشابهين. الطول نفسه، والبنية الجسدية النحيفة قليلًا نفسها، الشَّعر الأصفر والعيون الزرقاء نفسها، والأنوف البارزة والشفاه الوردية الرقيقة، كلها السِّمات نفسها كما لو خُتِمَت كلها بقالب واحد. لو

أن واحـدًا منهـم فحسـب بـدا وكأنـه فـردٌ مُتفـرِّد بذاتـه، لكُنَّـا اعتقدنـا أنـه جميـل جـدًّا. لكـن مشـهد هـؤلاء الأفـراد المتطابقـين وهـم يخرجـون في صـفٍّ واحـد مـن الآلـة الوحشـية التـي ركبـوا عـلى متنهـا، كان غريبًـا ومخيفًـا بعـض الـشيء.

حتـى إنهـم كانـوا يرتـدون الملابـس نفسـها. البـذلات الرماديـة الداكنـة والقمصـان البيضـاء، والأحذيـة السـوداء. ثلاثـة رجـال وامرأتـان، خمسـة إجـمالًا. لم تكـن أطوالهـم أو أُطُرُهـم أو وجوههـم المتطابقـة هـي التـي تسـمح لنـا بمعرفـة جنسـهم، بـل شـعرهم -قصـير للرجـال، وطويـل ومربـوط مـن الخلـف للمرأتـين- بالإضافـة إلى أن إحـدى المرأتـين كانـت ترتـدي بذلـةً مـع تنُّـورة. كان الرجـال الثلاثـة يرتـدون ملابـس متطابقـة وكان لديهـم سِـماتٌ متماثلـة. إلا أن أحدهـم كان يحمـل لوحًـا خشـبيًّا بنِّيًّا مثبتًـا تحـت إبطـه، وآخـر يحمـل حقيبـة فضيـة ضخمـة بمقبض. أمـا الرجـل الثالـث فلـم يحمـل شـيئًا. ربمـا ارتـدت المـرأة تنـورة لتمييـز نفسـها عـن الأخـرى، ويحمـل الرجـال أشـياء مختلفـة للسـبب ذاتـه، ولكـن مـن كان يعلـم.

لـو لم نتطـور لنبـدو بالشـكل الـذي نبـدو عليـه الآن، فهـل كنـا سـنبدو متطابقـين بالنسـبة إليهـم؟ أو ربمـا "البـشر الحقيقيـون"، أولئـك الذيـن سـمعنا عنهـم فحسـب مـن خـلال القصـص، أولئـك الذيـن كانـوا موجودين قبـل أن يبـدأ كل شيء في التغـير والتحـور، هـل كان هـذا هـو شـكلهم منـذ دهـور؟

لكن هؤلاء الناس لم يكونوا "بشرًا حقيقيين" أيضًا.

اسـتعملت شـجرة صنوبـر لغـة الأشـجار التـي تعتمـد عـلى إصـدار صـوت مُحـدَّد باسـتخدام تطايُـر حبـوب اللقـاح: إذن هـذا مـا تبـدو عليـه الهندسـة الوراثيـة.

اتفقنا، بلا صوت. أدَّى هذا الاتفاق إلى إصابة "الدُّمى" الخمس المتطابقة بنوبة أخرى من العطس والسعال؛ ممَّا جعلنا نرغب في الضحك، لكننا أبقينا الأمر في دواخل أنفسنا.

تمتمَت شجرة أخرى، مُستخدِمةً حبوب اللقاح، قائلة إنه يجب علينا أن نحاول تجنُّب الحديث فيما بيننا لبعض الوقت. تمتمت شجرة زلكوفا بعفوية: فهمنا، فجذبت إليها الكثير من النظرات الجانبية من الآخرين.

عندما توقَّفَت الدمى المتطابقة أخيرًا عن العطس والسعال، تقدَّمَت الدمية التي ترتدي التنورة إلى الأمام. من الواضح أنها كانت تحاول الحفاظ على رباطة جأشها المهنية، وكان التعبير على وجهها هادئًا بالفعل، ولكن في اللحظة التي التقت فيها عيناها بأعيننا قبل أن تفتح فمها لتتحدث، كان بإمكاننا رؤية رجفة القلق فيهما واضحة مثل النهار.

من المؤكد أننا بدونا متوحِّشين إلى ذوي البذلات كما بَدَوا لنا. ولكن مثلما لم نذكر أي شيء عن مظهرهم، فقد تعاملوا معنا أيضًا بكياسة وتجنَّبوا التعليق على مظهرنا.

ما خرج من فم المرأة كان سعالًا مهذبًا. ثم كلمات.

"مرحبًا. نحن من شركة التكنولوجيا الحيوية المتعددة الجنسيات موشينيك. إلى أي جهة تنتسب شركتكم؟".

كان وجهها الذي يشبه الدمية، والذي جعل من المستحيل تحديد عمرها، غيرَ متماشٍ مع صوتها الخشن والأجش قليلًا، لدرجة أننا تعرَّضنا مرة أخرى للحظة من الصدمة.

تمتمت شجرة العرعر بشيء حول التساؤل عمَّا إذا كانت أصواتهم جميعًا متشابهة أيضًا. لم يُجِب أحدٌ منَّا على سؤال المرأة.

سألت مرة أخرى: "هل يمكنكم أن تخبروني إلى أي شركة تنتمون؟".

تقدَّمَت شجرة الزلكوفا إلى الأمام. "نحن لا ننتمي إلى أي شركة". صوتها العميق هدر بنبرة جهورية وواضحة. نادرًا ما استخدمت زلكوفا صوتها -لم يفعل أيٌّ مِنَّا ذلك، فلماذا نبذل جهدًا لإصدار الصوت عندما يكون تطاير حبوب اللقاح أسهل بكثير؟- ولكن بمجرد فتح فمها، يمكنك أن تشعر بصوتها يهتزُّ عبر الأرض نفسها.

بدت المرأة وكأنها قد تنحَّت جانبًا للحظات بسبب قوة صوت زلكوفا، وشاهدنا بذهولٍ خدَّيها الأبيضين يتوردان باللون الأحمر. لكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها. "لا تنتمون إلى أي شركة؟". كانت لهجتها أعلى قليلًا الآن. تقدَّمَت إلى الأمام واتَّخذَت موقفًا أكثر عدوانية. "إذن أنتم مزارعو كَفَاف فرديون؟".

"مزارعو كفاف؟" كرَّرَت زلكوفا. يمكننا أن نقول من خلال صوتها إنها كانت تضحك في قرارة نفسها. لقد كنا نضحك أيضًا: يا له من سؤال!

قالت زلكوفا: "أفترض أنه يمكنك تسمية ما نقوم به بـ'الزراعة'، لكنك تجعلين الأمر يبدو وكأنه عمل تجاري".

"أعتقد أن مزارعي الكفاف هي الكلمة الصحيحة. هل الجميع هنا يشاركون في العمل نفسه؟".

كان سلوك المرأة مهذَّبًا، لكن صوتها ظلَّ حادًّا، وتعبير وجهها أصبح أشد برودة.

قالت زلكوفا: "أعتقد أن الأمر كذلك".

ضيَّقَت المرأة عينيها. "لقد ورَدَت تقارير عن وجود ملوِّثات بيولوجية في حقول المحاصيل المجاورة، ونحن هنا للتحقيق فيها. أنا متأكدة من أنكم على عِلمٍ بذلك، ولكن لا يُسمح لأحد بتلويث

الحقـول التـي تسـتخدمها مزروعـات موشـينيك بنباتـات أخـرى، ويحظـر اسـتخدام أي أسـمدة، أو مبيـدات حشريـة أو مضـادات حيويـة أو أي مسـاعدات نمـو أخـرى غـير مـصرَّح بهـا مـن قِبـل شركـة موشـينيك. إذا اكتشـفنا وجـود أي انتهـاك لهـذه القواعـد، يمكننـا رفـع دعـوى قضائيـة ضـد المزرعـة الأصليـة المعنيَّـة في كلٍّ مـن المحاكـم الجنائيـة والمدنيـة. عـلى سـبيل المثـال، يمكـن مقاضـاة جماعتكـم الزراعيـة كمجموعـة...".

صاحـت شـجرة البلـوط: "ليـس لدينـا أي علاقـة بموشـينيك. لمـاذا مـن شـأنك إنْ كنَّـا نسـتخدم سـمادًا ليـس مـن إنتـاج موشـينيك عـلى بـذور ليسـت مـن إنتـاج موشـينيك؟".

"إذا كانـت الأرض نفسـها مملوكـةً لموشـينيك، فـكل هـذا غـير قانـوني"، قالـت المـرأة وفمهـا مشـدود في خـطٍّ حـازم.

صرَخَـت شـجرة الصفصـاف هـذه المـرة: "أرضنـا ليسـت ملـكًا لموشـينيك أيضًا".

فتحـت المـرأة فمهـا المطبَـق بقـوة وهمسـت بـشيء مـا للمـرأة الأخـرى التـي ترتـدي البنطلـون خلفهـا. وفتـح الرجـل الـشيء الشـبيه باللـوح الخشـبي ونقـر عليـه بأصابعـه فيـما تبـادل هـو والمـرأة التـي ترتـدي البنطلـون نقاشًـا خافتًـا. وأخـيرًا، نقـل الرجـل خلاصـة مناقشـتهما إلى المـرأة ذات التنـورة. أعطتـه المـرأة ذات التنـورة ابتسـامةً راضيـة واسـتدارت نحونـا مـرة أخـرى. "إنهـا حقيقـة لا جـدال فيهـا أن بذوركـم تلـوِّث الحقـول التابعـة لموشـينيك. وهـذا سـبب كافٍ لرفـع دعـاوى جنائيـة ومدنيـة ضدكـم. وبينـما تبـدو ملكيـة الأرض التـي تعيشـون عليهـا غـير واضحـة، يبـدو أن حقـوق الميـاه وترخيـص جميـع مـوارد الطاقـة الموجـودة عليهـا مملوكـة لشركـة سوكينسـين. لم نعـثر عـلى أي سِـجلَّاتٍ لطلـب جماعتكـم اسـتخدام الميـاه أو الغـاز أو مـوارد النفـط في هـذه المنطقـة مـن

سوكينسين؛ مما يعني أنكم مُعرَّضون لدعاوى قضائية من قِبَل كلٍّ من موشينيك وسوكينسين".

سَرَت تنهدات وتمتمات من جانبنا، وهو ردُّ فِعلٍ جعل زوايا فم المرأة تلتفُّ أكثر فأكثر إلى الأعلى، حتى أصبحت تشبه إلى حدٍّ كبير قطة قانعة.

كان تعبيرًا لطيفًا، جميلًا تقريبًا. لولا حقيقة أن تعبيرات متطابقة علت وجوههم الخمسة. وأن الكلمات القادمة من تلك الشفاه الجميلة كانت سخيفة للغاية. عالم هذه المرأة، عالم هؤلاء البشر الشبيهين بالروبوتات، كان يسيطر عليه موشينيك وسوكينسين. إن إمكانية وقوع أي شيء خارج نطاق اختصاص الشركتين لم يكن من الممكن تصوره بالنسبة لهم. لقد سمعنا أن هذه هي الحال بالطبع. لكن سماع شيء ما وفهمه فهمًا كاملًا هما شيئان مختلفان تمامًا. كم يمكن أن يكون عالمهم مشوَّهًا!

ضحكت شجرة من ورائنا. هل نغمرهم بحبوب اللقاح؟

هذه الفكرة من شجرة جار الماء جعلت عينَيْ المرأة تتحوَّلان إلى اللون الأحمر مرة أخرى، وأرسلتها في نوبة عطس أخرى. ومن بين الرجال الثلاثة الواقفين خلفها وبجوار الآلة الضخمة القذرة، بدأ الرجل الذي يشبه المرأة ذات التنورة بالعطس أيضًا.

إذن.. كانت ثمة اختلافات في ردود فعلهم التَّحسُّسيَّة. ومن اللافت أن الهندسة الحيوية لم تتمكَّن من استئصال ذلك تمامًا. لم أعرف السبب، لكن الفكرة جعلتني أشعر بالاطمئنان أكثر. كان من المهم أن يكونوا بشرًا. أو على الأقل كائنات حية. لأنهم لو كانوا روبوتات...

قالت زلكوفا وهي تلتفت إلى جار الماء: اهدأ، هذا ليس ما نريده.

عبس جار الماء ونظر إلى السماء كما لو أنه لم يصدِّق الغباء الماثل أمامنا لكنه تمكَّن من التَّنهُّد والإيماءة. يجب ألَّا ندفعهم إلى الرحيل من هنا. بالطبع، إذا أردنا تنفيذ خطتنا، فلا ينبغي عليهم البقاء هنا مدة طويلة أيضًا.

لكننا بالتأكيد لا نستطيع أن نجعلهم يهربون في وقت مبكِّر جدًّا.

سألت زلكوفا بصوت ناعم: "ولكن أليس الماء مَورِدًا مشتركًا، مخصَّصًا للجميع؟".

قالت المرأة ببرود: "إذا لم تكن مياهًا جارية. على سبيل المثال، إذا كان ثمَّة مَصدر مياه طبيعي في أرضكم، مثل بحيرة، فإن حقوق استعمال مياهها تعود إليكم. ولكن الماء في هذه الأرض هو ماء عابِر. ومصدر تلك المياه وكذلك وجهتها أسفل النهر كلها مملوكة لسوكينسين".

قال زلكوفا بنبرة ودية أيضًا: "لكن من المؤكد أنك، بصفتك موظفة في شركة موشينيك، لست هنا للقيام بعمل سوكينسين نيابةً عنهم؟". لم يكن الأمر ودِّيًّا بما فيه الكفاية، حيث يبدو أن المرأة قد انتبهت إلى نبرة السخرية في سؤاله.

"حسنًا، لا". قالت بسرعة قبل أن تسترسل: "موشينيك وسوكينسين شركتان مختلفتان تمامًا، بسبب التعديل رقم 18 وقانون الموارد الطبيعية لعام 2034 الذي يحظر احتكار الموارد الطبيعية من قِبَل شركة واحدة".

وبعبارة أخرى، فإن السبب الوحيد لعدم اندماج موسنيك وسوكينسين في شركة واحدة كان بسبب هذين البندين من القانون. وما دام أنهما كيانان مؤسَّسيَّان منفصلان على الورق على الأقل، فسيظل ذلك قانونيًّا تمامًا -أو قانونيًّا إلى حدٍّ ما، إذا كان المرء مهتمًّا بمناقشة هذه النقطة-: استخدام جميع أنواع الأساليب البشعة لزيادة

أرباحهما عن طريق التدمير البطيء للطبيعة والبشرية والكوكب كله الذي نعيش عليه. ولكن في اللحظة التي تندمج فيها هاتان الشركتان، فإنهما ستحتكران موارد الكوكب برُمَّته؛ وبالتالي ستصبحان غير قانونيَّتين. الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى سقوطهما، على يد العديد من أعداء الشركتين الذين يتربصون بهما في المجلس التشريعي والقصر الرئاسي، على الرغم من أن هذا من شأنه أن يقضي أيضًا على حياة عددٍ لا يُحصَى من مزارعي الكفاف الذين رأوا بالفعل حقولهم وسبل عيشهم تُدمَّر بسبب الدعاوى القضائية المكلِفة المرفوعة عليهم من قِبل أي من الشركتين.

هل كان هؤلاء الأشخاص يبدون بهذه الطريقة منذ ولادتهم؟ بالنظر إلى كيف يُهندس كل شخص جينيًا إلى حدٍّ ما قبل أن يولد، لم أكن لأتفاجأ إذا صُنِعَت هذه الدُّمى التي سبقتنا بهذه الطريقة في الأرحام. ممَّا جعلني أقلَّ تردُّدًا بشأن القيام بما كنا على وشك القيام به. لا يمكننا أن نسمح لهؤلاء الأشخاص، "شعب" موشينيك أو سوكيسين، بإشباع جشعهم الذي لا نهاية له من أجل الربح والمال والمزيد من الأرباح والمزيد من المال على حساب عالمنا كله.

قال زلكوفا، بنبرة مسالمة، ولكن بحزم: "إذن يمكن حلُّ مشكلتنا المتعلقة بالموارد مع سوكيسين في هذه الحالة". قبل أن تقاطعه المرأة، يتابع: "كما ذكرت بنفسك، فإن جماعتنا، التي لا تنتمي إلى موشينيك، تزرع البذور في أرض لا تملكها موشينيك أيضًا، ونستخدم الأسمدة التي طوَّرناها نحن، وليس موشينيك، ولدينا من أن الموارد المائية، والتي كما هو مُثبَت، ليست من اختصاص موشينيك. لا أعتقد أنه من حقك على الإطلاق التعليق على أساليب زراعتنا، أليس كذلك؟".

نثرت شجرة القيقب حبوب لقاحها في الهواء، ماذا تفعل يا زلكوفا، هل ستسمح لهم بالرحيل؟

نثرت شجرة البتولا حبوب لقاحها: دَعْ زلكوفا يتولى هذا الأمر.

أصبحت عينا المرأة حمراوين مرة أخرى. هذه المرة، بدأ خمستهم بالعطس على نحو لا يمكن السيطرة عليه.

تمتمَت شجرة الصنوبر: "قلت، اصبِر قليلًا".

"ماذا؟ ماذا قلتَ للتَّوِّ؟" قالت المرأة ذات التنورة من بين أصابعها، من خلال نبرة صوتها، يبدو وكأنها تبكي. كان الصنوبر عازمًا جدًّا على محاولة حبس ضحكته. كان بإمكانه سماع المرأة التي ترتدي البنطلون وهي تتحدث إلى الرجل الذي يحمل اللوح الخشبي. "ما بال الهواء هنا؟ هل رشوا سُمًّا ما فيه؟".

صاح جار الشجر بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعه الرجل ورفاقه: "إنها حبوب اللقاح. أرى أن ردود أفعالكم التحسسية تأتي من حقيقة أن حبوب لقاحنا ليست من إنتاج موشينيك؟".

حدَّقَت بهم المرأة التي ترتدي البنطلون وهي تمسح عينيها وأنفها، لكنها لم ترد.

عندما هدأ العطس والسعال أخيرًا مرة أخرى، تحدثت المرأة ذات التنورة ثانية: "كما قلنا، السبب الرئيسي لوجودنا هنا هو أننا وجدنا ملوِّثات في أرضنا على هيئة بذور ليست من علامتنا التجارية. نحن هنا لتحديد المسؤول عن هذه البذور الملوثة، ولدينا الحق في تفتيش أرضكم ومحاصيلكم للمساعدة في تحقيقاتنا. سنجمع عيِّنات من البذور والأسمدة والتربة ونتوقع تعاونكم الكامل معنا".

ها قد حانت اللحظة.

سمعت شجرة تتمتم مُعلِّقةً على أداء زلكوفا بأنه عمل ممتاز. لقد بذلنا قصارى جهدنا لعدم التعبير عن رضانا من خلال نثر حبوب اللقاح. يبدو أن المرأة قد فسَّرَت غمغمتنا بطريقة خاطئة تمامًا.

"أيـن محاصيلكـم؟ مـن فضلـك خُذنـا إليهـا". قالـت هـذا بابتسـامة قبيحـة وراضيـة.

تـولَّى البلـوط زمـام القيـادة. تبعتـه المـرأة والدُّمـى الأربـع الأخـرى. تحركنـا خلفهـم ببـطء.

"مـا هـذا؟" صرخـت المـرأة أمـام مدخـل الغابـة. "هـذه ليسـت محاصيـل!".

قـال البلـوط وقـد بـدا مسـتمتعًا: "لم نَقُـل أبـدًا إنهـا كذلـك. هـذه هـي النباتـات التـي نزرعهـا".

حدَّقَـت المـرأة، بفـمٍ فاغـر، في الغابـة المزدحمـة أمامهـا. كان ارتفـاع الأشـجار عـدة أضعـاف ارتفـاع الإنسـان العـادي وغطَّـت التَّـلَّ أمامنـا. كانـت أغصانهـا سـميكة جـدًّا لدرجـة أنـه حتـى بـدون الدخـول إلى الغابـة، يمكنـك معرفـة مـدى الظـلام الـذي كان يكتنـف جنباتهـا.

شـاهدنا باهتـمام المشـاعر المختلفـة للمفاجـأة والقلـق والتوتـر والانفعـالات وهـي تظهـر عـلى وجوههـم، ونـوع مـن الحسـابات الماكـرة أيضًـا.

"هل نذهب إلى الداخل؟" قال البلوط بلطف شديد.

عـلا وجـه المـرأة ذات التنـورة، لجـزء مـن الثانيـة، نظـرة خـوف صرف فيـما نظـرت إلى تنُّورتهـا وحذائهـا. وبينـما كانـت متردِّدة، غـير قـادرة عـلى إعـلان قـرار، تحـدَّث أحـد الرجـال الشـبيهين بالدُّمـى، الـذي لم يكـن في يديـه أي شيء. "انتظـر، أيـن تعيشـون جميعًـا؟".

تبادلنا النظرات وابتسمنا. أجاب البلوط بتواضع: "هذا وطننا".

"منزلكـم هنـا؟" حدَّقَـت المـرأة ذات التنـورة في البلـوط وكأنهـا لم تصـدق مـا قالـه للتـو.

أومأ البلوط. "هذا هو المكان الذي نعيش فيه".

تـردَّدَت المـرأة ذات التنـورة قليـلًا. ثـم أخَـذَت نفسًـا قصـيرًا وحـادًّا، واتخـذت قـرارًا. "حسـنًا. دعونـا ندخـل".

الدُّمـى ببذلاتهـم، الصامتـون وجـادُّو الملامـح، تبعـوا البلـوط إلى داخـل الغابـة.

في بعـض الأحيـان، كان أحـد الأشـخاص متشـابهي المظهـر، يرفـع يـده لهَـشِّ بعـض الحـشرات بعيـدًا عـن وجهـه، أو قـد يعلـق حـذاءه في بعـض الجـذور العقَديَّـة أو الأرض الوعـرة، فيتذمَّـر ويصيـح "أوف!". لم يألفـوا الطـرق التـي لم تكـن مسـطَّحةً أو مسـتقيمة. وهكـذا كان اهتمامهـم كلـه منصبًّا عـلى عـدم السـقوط أو التَّعـرُّض للخـدش مـن الأغصـان أو لدغـات الحـشرات أو غيـاب البلـوط الـذي كان يقودهـم عـن أنظارهـم، لدرجـة أنهـم لم يقولـوا كلمـة واحـدة. حتـى قـال الرجـل الـذي لا يحمـل شـيئا: "أيـن مسـكنكم؟ لا أرى موطنًـا".

قال البلوط بنبرة استرضاء: "المكان ليس بعيدًا الآن".

واسـتمرَّ الموكـب لبعـض الوقـت. لكـن الدُّمـى التـي ترتـدي البـذلات بـدت متعبـةً بعـض الـشيء. اشـتكى حامـل الحقيبـة الفضيـة الضخمـة، وهـو مـا كان مـن حقـه بمـا أنـه صاحـب الحمولـة الثقيلـة.

"ماذا تقصد بالضبط بـ 'ليس بعيدًا'؟".

قال البلوط: "لقد وصلنا ".

"ماذا؟ أين؟" قال الرجل ذو الحقيبة الفضية بحدَّة.

"هنا". فرد البلوط أذرعه، مشيرًا إلى المساحة المحيطة بهم.

اتبعـت الدمـى ببذلاتهـا هـذه الإيمـاءة ونظـروا حولهـم. كانـوا في فسـحة واسـعة في قلـب الغابـة. كانـت الأرض مسـطَّحةً ومسـتوية نسـبيًّا ومغطـاة بالعشـب، وكانـت الأغصـان العلويـة متناثـرة قليـلًا، بمـا يكفـي

للسماح بدخول بعض من ضوء الشمس. حدَّقت المرأة ذات التنورة في البلوط. "لقد خدعتنا!".

دفَعَت هذه الكلمات الرجلَ الذي لم يكن يحمل أي شيء والمرأة التي ترتدي البنطلون إلى تطويق المرأة ذات التنورة، مُشكِّلين ما بدا وأنه تهديدٌ ثلاثي. لسبب غير معروف، كان كل منهما يدسُّ يدًا في جيبه الداخلي.

سأل البلوط برقَّةٍ: "ماذا تقولين؟".

"لا يوجد مبنى واحد هنا!" قالت المرأة ذات التنورة.

ردَّ البلوط: "لم أقُل قَطُّ إنه سيكون ثمَّة مبنى هنا. نحن لا نعيش في المباني. نحن نعيش هنا. هذا هو منزلنا".

عبَسَت المرأة: "ماذا؟".

أوضح البلوط بصبر: "هذا هو مسكننا، وطننا. ننام في هذه الفسحة، ونغتسل بمياه الأمطار، ونشرب من الجدول هناك. إذا كنتم لا تصدقونني، فلكم الحرية في إلقاء نظرة في الأنحاء. لكنكم لن تجدوا مبنى واحدًا".

"ولكن كيف... إذن... تنامون في عِزِّ البرد... وماذا تفعلون لتدبير الطعام؟".

"النوم في البرد أمرٌ جيِّد بمجرد أن تعتادي عليه. ونحن لا نطهو. لدينا ضوء الشمس والطبيعة". ابتسم البلوط. وأضاف مخاطبًا الرجل حامل الحقيبة الفضية: "ألم تقُل إنك ستأخذ عيِّنات من التربة؟ تفضَّل".

تردَّد الرجل ونظر إلى المرأة ذات التنورة.

أومأت المرأة بخفَّة.

أنـزل الرجـل الحقيبـة وقرفـص عـلى الأرض بعنايـة حتـى لا تتَّسِـخ بدلتـه، وفتـح الحقيبـة. أخـرج أداة مـن الحقيقـة وكشـط قليـلًا مـن الأرض. وضـع عيِّنـات التربـة في قواريـر مختلفـة في آلـة داخـل الحقيبـة وبـدأ يناقـش شـيئًا مـا مـع الرجـل الـذي يحمـل اللـوح الخشـبي.

راقبتهـما المـرأة ذات التنـورة لبعـض الوقـت ثـم التفتـت إلى البلـوط. "أيـن تصنعـون مُسرِّعـات النمـو لديكـم؟".

"مـاذا؟" اندهـش البلـوط. لم يكـن مـن النـوع الـذي يتشـتَّت انتباهـه خـلال لحظـة مهمـة هكـذا، لكـن دفء ضـوء الشـمس بعـد نزهـة طويلـة عـبر الغابـة المظلمـة قـد أثملـه لمـدة وجيـزة وأدخلـه في حالـة ذهـول خفيـف. "مُسرِّعـات النمـو. مثـل الأسـمدة. أيـن... تصنعونهـا؟".

تحدَّثـت ببـطء، كـما لـو كانـت توجِّـه كلامهـا إلى طفـل، الأمـر الـذي وجـده مهينًـا. ومـع ذلـك، سرعـان مـا اسـتجمع البلـوط رباطـة جأشـه وأجـاب بهـدوء: "نحـن لا نصنـع مُسرِّعـات النمـو. نحـن نسـتخدم أسـمدتنا الطبيعيـة".

"الأسـمدة الطبيعيـة؟ هـل تقصـد الـرَّوَث؟" جعَّـدَت المـرأة أنفهـا كالسـابق في تعبـير كان ليبـدو لطيفًـا جـدًّا لـو لم يحـدث أن ارتسـم التعبـير ذاتـه عـلى الوجـوه المتطابقـة الأخـرى.

"روث؟ حسـنًا، هـذا ليـس روثًـا عـلى وجـه الدقـة، ولكـن دعينـا نسـمِّيه كذلـك في الوقـت الحالي".

ضيَّقَـت المـرأة ذات التنـورة عينيهـا. "مـا الـذي تتحـدث عنـه؟ لقـد كنـتَ تخدعنـا طـوال الوقـت ولا تخبرنـا بـأي شيء، ولكـن إذا لم تتعـاون...".

قاطعهـا البلـوط بنـبرة مرحـة في منتصـف تهديدهـا. "هـذا لأننـا نعتقـد أنـه مـن الأسـهل أن نُرِيـك بـدلًا مـن أن نـشرح لـك بالكلـمات. أوه، هـل

انتهيتم من أخذ عيّنات التربة التي تريدونها؟ دعوني أريكم بقية الغابة".

فتحت المرأة فمها لتتحدث، لكنها أطبقته مرة أخرى في النهاية.

قال البلوط: "هلّا فعلنا؟".

بدا وكأنها لا تفضّل ذلك، ولكن ليس لديها خيار آخر؛ لذا اتَّبعت المرأة البلوط. حين ذاك نهض الرجل المسؤول عن الحقيبة الفضية فجأة من وضعيَّته الرابضة. نظرت إليه الدُّمى الأخرى ذات البذلات. همس للرجل الذي يحمل اللوح الخشبي. انتقل الرجل الذي يحمل اللوح الخشبي بسرعة إلى جانب المرأة ذات التنورة.

سأل البلوط: "هل ثمة شيء خاطئ؟".

استمعت المرأة ذات التنورة إلى الرجل حامل اللوح الخشبي الذي أخذ يهمس في أذنها قليلًا. ثم رفعت يدها لتغطية فمها ونظرت إلى البلوط.

"ما الخطب؟" سأل البلوط مرة أخرى.

خفضت المرأة يدها. "اكتشفنا رفات بشرية في التربة".

كانت لا تزال تحدِّق في البلوط باندهاش، لكنها مع ذلك تحدَّثت بصوت هادئ على نحو غريب. "هل هذه هي الطريقة التي تمكَّنت بها من تجنُّب الشركات والحكومة لمدة طويلة؟ بقتل ودفن مَن يأتي لتفقد أراضيكم؟".

قال البلوط وتعبير بريء على وجهه: "لم نقتل أو ندفن أي شخص زارنا قطُّ".

"إذن ما معنى هذه الرُّفات البشرية التي اكتشفناها؟" قالت المرأة بصوتٍ أشد هدوءًا وغرابة. "لماذا هناك جثث مدفونة في الغابة؟".

نظر البلوط إليها مرة أخرى. وأجاب بالقدر ذاته من الهدوء. "إنهم أسلافنا. جثث عائلاتنا".

ضاقت عينا المرأة مرة أخرى. "ماذا؟".

"نحن ندفن جذورنا هنا ونموت. بعد أن نموت، نصبح سمادًا للجيل القادم. هذه هي سُنَّتنا". ثم أضاف البلوط: "هذه هي الطريقة الطبيعية".

"الطريقة الطبيعية؟" ردَّت المرأة، وقد وصل صوتها الحاد إلى مستوى الصراخ تقريبًا. "دفن الجثث دون تصريح والأكل والنوم والعيش على تلك الأرض نفسها؟".

"الشمس لا تشرق لأنكم تسمحون لها بذلك. المطر لا يسقط لأنكم أعطيتموه تصريحًا أيضًا. قبل زمن طويل من إنشاء شركاتك وقبل أن تصبحوا مهووسين بالربح، كانت الطبيعة موجودة. نحن ببساطة نعيش وفقًا لقوانينها".

المرأة لم تجب. ظلَّت عيناها ضيقتين وهي تُنعِم النظر في البلوط.

قال البلوط: "أنتم أيها الناس، تعتقدون أن الطبيعة هي كائن غير حي وسلبي، مَن يستخدمها أوَّلًا هو مالكها، ولكن هذا اعتقاد خاطئ. الطبيعة حيَّة من تلقاء نفسها، وتعمل بأسلوبها الخاص. المرء يحصد ما يزرعه، وهذه إحدى طرائق الطبيعة، وهو تعبير حقيقي ودقيق للغاية".

كان البلوط على وشك أن يقول شيئًا آخر، ولكن عندها علا صوت شيء ما كالطنين في السماء... دو... دو... دو.

الآلة. تلك الآلة القذرة والضخمة والتدميرية التي وصَلَت، الدُّمى ذات البذلات على متنها، الآلة التي كانت تنطلق الآن عبر السماء.

وضعت المرأة إصبعًا واحدة على أذنها. وفي الوقت نفسه، قلَّدتها الدمى الأخرى. رفعت المرأة طرف كُمِّها إلى فمها وصرخت: "حقول محروثة؟ هل أنت متأكِّد؟ الموقع؟".

بدأت الدمى بالركض في الاتجاه نفسه.

كنا في حيرة من أمرنا للحظة. أول مَن فهم ما كان يحدث كان جارة الماء.

نثر حبوب اللقاح قائلًا: الشتلات؛ أطفالنا في خطر.

اجتاحنا الخوف في الوقت نفسه. في انسجامٍ تامٍّ، هرولنا خلف الدُّمى. ركضت الغابة معنا.

الطبيعة تعيش وتتحرك من تلقاء نفسها. كل شيء في الحياة يجب أن يتكيَّف ويتطوَّر من أجل البقاء. لكي يتطوَّر الإنسان يحتاج إلى طفرات. قطع البشر الأشجار وقتلوا الغابات. تلاعبوا بچينات النباتات. سهَّلَت النباتات الخالية من البذور على البشر استهلاكها، لكن النباتات نفسها أصبحت غير قادرة على التكاثُر من تلقاء نفسها. ابتكرت شركة موشينيك نُسخةً مُعدَّلة وراثيًّا من كل نبات مزروع للاستخدام التجاري، وحصلت على براءة اختراع له. ولم تتمكن النباتات المزروعة من هذه البذور المعدَّلة من إنتاج المزيد من البذور؛ ممَّا جعل من المستحيل إعادة زراعة المحصول. كان على المزارعين شراء بذور موشينيك كل عام، وزراعتها في أرض مملوكة إلى موشينيك، ودفع ثمن الأسمدة والمبيدات الحشرية لموشينيك، وشراء المياه والكهرباء والنفط والغاز الطبيعي من موشينيك لزراعة النباتات. النباتات التي لا يمكن أن تَنبُت من تلقاء نفسها أو حتى تنتج بذورًا من تلقاء نفسها، نباتات متقزِّمة، موجودة فحسب لتعظيم أرباح موشينيك، ويأكلها البشر والماشية، أو تُحصَد من الأرض مرة واحدة ولن تُرى مرة أخرى أبدًا.

لكن الطبيعة تتطوَّر من أجل البقاء، والنباتات ليست استثناءً. ربما لا تستطيع النباتات الهرب أو الرد بالضربات؛ ولهذا السبب تلجأ آخر النباتات البرية الناجية في العالم إلى سلاحها الوحيد المتبقي: البذور. عندما جاء البشر ليقطعوا آخر شجرة برية ويجزُّوا آخر نصل من العشب الذي نَمَا دون أن يزرعه بشري، ألقت النباتات بذورها عليهم.

تجذَّرَت البذور في أماكن لم يلاحظ البشر وجودها فيها إلا بعد فوات الأوان.

وسرعان ما بدأت الأشياء تنمو في جذور شعر الإنسان وبين مفاصل أصابعهم. أو في صدورهم أو بطونهم أو حتى في حناجرهم. كانت آخر غابة وآخر حقل على وجه الأرض بعيدين جدًّا عن أقرب مستشفى متطوِّر؛ ممَّا يعني أن البذور التي نبتت داخل البشر لم تُكتشَف لمدة طويلة. وغالبًا ما تتعرَّض الفتحات المختلفة في أجسام البشر وبُصَيلات شعورهم للهواء الذي يحمل البذور. أولئك الذين استطاعوا التكيف مع البذور الموجودة بداخلهم نجوا، وأولئك الذين لم يتمكنوا من ذلك هلكوا. مع مرور الوقت وتعاقُب الأجيال، أصبح البشر والنباتات في النهاية كيانًا منصهرًا واحدًا. ومن المدهش أن هذه كانت علاقة تكافلية وليست طفيلية.

كان البشر الذين توحَّدوا مع النباتات يرسِّخون جذورهم في الليل في تربة مغذية، وعندما تشرق الشمس، يقومون بعملية التمثيل الضوئي. ولم تعُد ثمَّة حاجة إلى التجوال بحثًا عن الطعام. ومن ناحية أخرى، اكتسبت النباتات القدرة على استخدام الأغصان؛ ممَّا يعني أنها تستطيع التحرك كلَّما لم تكن البيئة الحالية مناسبة لها. كما حصل البشر على خيار التكاثُر بعيدًا عن الطرق الحيوانية، فزادت أعدادهم من خلال وسائل مثل نثر حبوب اللقاح أو الزراعة. والواقع

أن أعدادنا زادت بهدوء في كل الأماكن التي كانت بعيدة عن المدن والشركات المتعددة الجنسيات والتكنولوچيا.

وبطبيعة الحال، كانت ثمة أنواع عديدة من النباتات. كانت الأشجار ضخمة ومتينة ومعمِّرة، في حين كانت الأعشاب والحبوب ضعيفة وضئيلة، ولم تذبل ثم تزدهر مرة أخرى مع الفصول مثل الأشجار. ولكنها كانت جميعها متشابهة في أنها تغرس جذورها وتعتمد على مياه الأمطار وأشعَّة الشمس للبقاء على قيد الحياة. كان أولئك الذين سلكوا درب الأشجار يحمون الأعشاب والحبوب، وأولئك الذين سلكوا درب الأعشاب والحبوب يضعون ثقتهم في الأشجار. وبمجرد أن نموت، بغَضِّ النظر عن مسارنا إلى الموت، نصبح مغذيات في التربة لأطفالنا.

لكن طنين **دو دو دو دو** المشؤوم القادم من وراء الغابة يعني أن آلة الدُّمى القذرة والضخمة كانت تهبط فوق أطفالنا، الذين نبتوا للتَّوِّ من الأرض، تقطع أوراقهم وأغصانهم الرقيقة، وتدوس على سيقانهم وجذورهم الضئيلة. ركضنا بكل قوتنا.

لكن الأوان قد فات.

لقد هبطت الآلة فوق أطفالنا. "احصلوا على تلك العيِّنات! نحن بحاجة إلى هذا الدليل!" قفَزَت الدُّمى ذات البذلات منصاعةً إلى أوامر المرأة وداست على المزيد من أطفالنا. حتى الأطفال الذين لم تقتلعهم الدُّمى من جذورهم أو تسحقهم الآلة تمزِّقهم الريح التي أنتجتها الآلة واقتلعتهم من جذورهم. وجعلت تلك الريح من المستحيل نثرَ حبوب لقاحنا أو استخدام بذورنا. مهما كانت كمية حبوب اللقاح والبذور التي ألقيناها، فإنها كانت تعود إلينا مباشرة.

كانت الدمى ذات البذلات تهرب الآن، مبتعدة عن متناول أيدينا. وكان الرجل الذي لا يحمل شيئًا والمرأة ذات البنطلون أول مَن وصل

إلى الآلـة. ولكـن بمجـرد أن ألقيـا الأغصـان والأوراق في قبضتهـما داخـل الآلـة، اسـتدارا وعـادا نحونـا. كانـا عائديـن مـن أجـل المـرأة ذات التنـورة. كانـت تنورتهـا وحذاؤهـا يجعـلان مـن الصعـب عليهـا التحـرك بسرعـة. ألقـى الرجـل الـذي يحمـل الحقيبـة الفضيـة والرجـل الـذي يحمـل اللـوح الخشـبي معداتهـما في الآلـة ورفعـا نفسـيهما ليصعـدا داخلهـا.

كانـت المـرأة ذات التنـورة تتعـثَّر في خطاهـا. عندمـا اقتربنـا منهـا، كان الرجـل والمـرأة الآخـران قـد وصـلا أيضًـا إلى جانبهـا، واشـتبكنا معهـما بينـما صرخـت المـرأة ذات التنـورة وسـقَطَت. بـدأ زميلاهـا متطابقـا الوجهـين في مهاجمتنـا.

صرَخَـت المـرأة ذات التنـورة: "اتركـوني!. اتركـوني عـلى الفـور! اتصلـوا بالشرطـة، اتصلـوا بالجيـش! سـنعتقلكم جميعًـا، وسـنجبركم عـلى مغـادرة هـذه الأرض وسـيزجُّون بكـم في السـجن! اتركـوني أيهـا المتحوِّلـون، أيهـا المسـوخ!".

تركناها.

فجـأة وجَـدَت الدُّمـى ذات البـذلات نفسـها حـرة، فصمتـت لثانيـة واحـدة. ولكـن لثانيـة واحـدة فحسـب، لأنهـا نهضـت عـلى الفـور وركضـت عائـدة إلى آلتهـا. وبينـما ارتفعـت في الهـواء، دمَّـرَت الآلـة المزيـد مـن النباتـات في أعقابهـا، واختفـت في النهايـة بعيـدًا في الهـواء.

كانت شجرة الجنكة أول من استعادت رُشدَها وتحدَّثَت.

لقد زرعنا بذورنا فيهم، أليس كذلك؟

ردَّت الأشـجار التـي أمسـكت بالدُّمـى ذات البـذلات قبـل قليـل في انسـجام تـام.

لقد زرعناها.

تنهَّدَت الأشجار كلها بارتياح. وركعت الجنكة أمام جذوع شجيرات أطفالها المعتدى عليهم والمغتصَبين، وقرَّبتهم منها وأجهشت في البكاء.

دفنَّا الأشجار المقتولة وزرعنا شتلات جديدة. قال البعض إنه نظرًا لاكتشاف موقع مشتلنا، فنحن بحاجة إلى إيجاد مكان جديد للاختباء والبدء من جديد، ولكن نظرًا لوجود شتلات قد نجت بأعجوبة، فقد كان علينا المكوث في مكاننا في الوقت الراهن. كانت الشجيرات التي نجت من الموت متضرِّرةً للغاية بحيث لا يمكن المخاطرة بنقلها. قرَّرنا الانتظار بينما نحرس أطفالنا.

كان من المؤكد أن الآلة الضخمة والأشخاص الذين يشبهون الدُّمى سيعودون يومًا ما. ولأننا لم نعرف أبدًا متى سيحدث ذلك؛ فقد نقلنا موقع الغابة وعدَّلنا شكلها حتى نتمكَّن من حماية أطفالنا على نحوٍ أفضل والهروب بسرعة أكبر إذا اقتضت الحاجة. اعتنينا بجراح أطفالنا بأحسن ما في وسعنا.

وها نحن ننتظر. من غير المرجَّح أن يعود الأشخاص أنفسهم: ربما لن يستطيعوا.

كما ترون، غرسنا البذور في جميع أنحاء الدمى الثلاثة الأخيرة قبل أن نتركهم ويندفعون إلى آلتهم. تغلغلت البذور داخل أجسادهم، وربما انتشرت إلى شخص آخر داخل الآلة. عندما تعود الدمى ذات البذلات من حيث أتت، فإنها ستنشر بذورنا إلى أي شخص آخر تلامسه. لا نحتاج إلا إلى واحدة من تلك البذور لتنبت. واحدة فحسب. بذرة واحدة تكفي.

بعضنا يقترح الفرار، ولكن الحقيقة أننا لا نملك أي مكان آخر نهرب إليه. لقد غزا البشر العالم خارج الغابة بآلاتهم الذكية سريعة الحركة. والأشياء الوحيدة التي يمكننا الاعتماد عليها هي جذورنا

وأقدامنا. وعندما تعود الآلات الضخمة، سوف تُقتلَع جذورنا من الأرض، وسوف نذبل في أروقة المختبرات التجريبية والسجون.

ولكن بذورنا سوف تبقى. ومن بين بذورنا التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، من المؤكد أن واحدة على الأقل سوف تصمد. وسوف تتجذَّر في مكان ما .

وسوف نبدأ من جديد.

ومن أجل تلك البذور، فإننا ننتظر. حتى يأتي اليوم الذي تعود فيه عبر الأفق، ليس على متن آلة ضخمة قذرة، ولكن في هيئة رسالة من حبوب اللقاح. حتى يأتي اليوم الذي تعود فيه البذور التي ننثرها، راقصة في الريح. ولو جاء مثل هذا اليوم حقًّا، فسوف يكون ذلك اليوم هو اليوم الذي تولد فيه البشرية، والعالم بأسره، من جديد. ولن تتأذى الأرض والمحيطات بعد الآن بأي جروح، وسوف يمدُّ البشر والطبيعة ذراعيهما بحرية نحو الشمس.

ولا زلنا ننتظر.

أن أقابلها

العالم يعجُّ بأشخاص غريبين. وبطبيعة الحال، ربما يعتقد هؤلاء الأشخاص أنني غريبة مثلهم. ولو جمعت كل شخص على وجه الأرض يعتقد أن شخصًا آخر غريب، فستجد أنك أمام عدد هائل من الأشخاص الغريبين. والنتيجة تظل كما هي. العالم مليء بالأشخاص الغريبين.

مثل ذلك الوغد قبل ثلاث سنوات.

كنت أقف في طابور، كما ترون. أحافظ على المسافة اللائقة بيني وبين الشخص الذي أمامي، كما قيل لنا جميعًا. كان الشخص الذي أمامي يسبقني قليلًا، وكنت أبذل قصارى جهدي للسير خلفه. بقيت في هذا الصَّفِّ مدَّةً طويلة لدرجة أنني لم أعُد أشعر بأخمص قدمي، وبدأت كل مفاصلي تؤلمني. كانت كاحلي وساقاي ووركاي قد شاخت بحيث لم تعُد قادرة على مواكبة عنفوان الشباب، ولم تكن يداي،

اللتـان تمسـك كلٌ منهـما بعـكازة للمـشي، تسـاعداننـي كثـيرًا في البقـاء منتصبـة الظهـر لمـدة طويلـة.

ثـم دنـا شـخص مـا مـن خلفـي مبـاشرة. افترضـت أن أحـد الشـبان المسـتهترين الذيـن يقفـون في الطابـور خلفـي قـد خالـف القواعـد بالاقـتراب منـي لأنـه كان محبطًا جـدًا مـن بطئـي. ليـس الأمـر كـما لـو أنه لم يحـدث ذلـك مـن قبـل. كلـما دخلـت وخرجـت مـن بنايتـي وأجريـت فحـص الڤيروسـات (لا بُـدَّ وأنكـم اسـتنتجتم أننـا في خضـم جائحـة)، كلـما دخَلـتُ وخرجـتُ مـن المـترو وأجريـت فحـص الڤيروسـات، أو عندمـا أُجـري فحـص الڤيروسـات في محطـة الحافـلات، أو حتـى عندمـا أكـون في السـوبر ماركـت لـشراء زجاجـة عصـير وأُجـري فحـص الڤيروسـات، فـإن أولئـك الذيـن لا يسـتطيعون تحمُّـل الانتظـار خلفـي، والذيـن يتذمَّـرون دائمًـا في أذني، هـم أولئـك الأوغـاد الصغـار. في معظـم الأحيـان، يـأتي البـواب أو حـارس الأمـن، أو الشرطـة إذا كان الأمـر يتعلـق بمـترو الأنفـاق أو محطـة الحافـلات، ويجـبره عـلى الابتعـاد عنـي، لكـنَّ الأوغـاد عديمـي الأخـلاق تمكَّنـوا دائمًـا مـن قـول بعـض الأشـياء البذيئـة أو مـا شـابه قبـل الانسـحاب. الحمـد للـه أن سـمعي لم يعُـد جيـدًا كـما كان مـن قبـل. أو أننـي لم أنفـق الكثـير مـن المـال عـلى بعـض أجهـزة السـمع باهظـة الثمـن فحسـب حتـى أتمكَّـن مـن الاسـتماع إلى هـؤلاء الأوغـاد. مـع حالتـي العقليـة التـي تقـترب مـن مسـتوى سـمعي، ربمـا لم أكـن لأتقبَّـل الأمـر بصـدر رحـب.

لكـن ذلـك الوغـد قبـل ثـلاث سـنوات كان مختلفًـا بعـض الـشيء. مـا همـس بـه في أذني، قبـل أن يتمكَّـن أفـراد الأمـن مـن الاقـتراب منـه، لم يكـن إهانـة.

"أليس هذا شهوانيًّا؟" هذا ما قاله.

لم أكـن أرتـدي سـمَّاعةَ أذنٍ أو أي شيء مـن هـذا القبيـل، لكننـي سـمعته بوضـوح كالنهـار. حتـى عندمـا لم أسـتطع سـماع مـا كان يـصرخ

بـه حـارس الأمـن، الـذي رآه ملتصقًـا بـأذني، وهـو يركـض نحونـا، أو مـا كان يتمتـم بـه الوغـد المبتسـم بينـما يشـدُّه الحـارس بعيـدًا -كل هاتيـك الأشـياء التـي كانـت أعـلى مـن الهمـس- سـمعت مـا قالـه في أذني. ربمـا لأنـه كان قريبًـا جـدًّا منـي. كان بإمـكاني أن أشـعر بأنفاسـه السـاخنة وربمـا حتـى بملمـس شـفتيه. كـم مـرَّ مـن الوقـت منـذ أن تعامَلـتُ مـع مثـل هذا المختـل. يقـول البعـض إن تجـاوُزَ ضحيـة التحـرش الجنـسي السـتين مـن عمرهـا يعنـي خسـارة الجـاني، حسـنًا لقـد مـرَّ سـتون عامًـا منـذ أن بلغـتُ السـتين مـن عمـري؛ لـذا فـإن الخسـارة مضاعفـة بالنسـبة لهـذا الوغـد بالـذات. حتـى عندمـا فكـرت في هـذه الأشـياء، ارتجفـت مـن الاشـمئزاز مـن إحسـاس أنفـاس شـخص آخـر عـليَّ. وليـس هـذا فحسـب، بـل كان لـدى الوغـد أيضًـا الجـرأة لخفـض قنـاع وجهـه الطبـي والغمـز لي قبـل أن يسـحبه رجـال الأمـن بعيـدًا، بمـا يكفـي حقًّـا لجعـل أحدهـم يتقيَّـأ. حـاول إعـادة قناعـه الطبـي عـلى نحـوٍ صحيـح قبـل أن يـرى رجـال الأمـن وجهـه، لكنهـم أمسـكوا بـه عـلى أيـة حـال، وحتـى أثنـاء سـحبه بعيـدًا، ظـلَّ يبتسـم لي بسـخرية. لم أتمكـن مـن الرؤيـة أسـفل عينيـه مـع سـحب القنـاع إلى أعـلى بحيـث غطَّـى وجهـه، لكـن ارتفـاع عضـلات خـدِّه وضيـق عينيـه جعلنـي أعـرف أن هـذا هـو بالضبـط مـا كان يفعلـه.

في ذلـك الوقـت، كنـت أكـثر قلقًـا بشـأن مـا إذا كان يرتـدي قناعـه عندمـا همـس في أذني أم لا. أنـا متأكِّـدة مـن أنـه كان قـد خفـض صوتـه، وكانـت فكـرة أن يضـع فمـه غـير المغطَّـى بالقنـاع عـلى أذني بحيـث يجـد لعابـه طريقـه إلى بـشرتي، مرعبـة. وكذلـك حقيقـة أن هـذا المنحرف جنسـيًّا قـد فـرك شـفتيه مقابـل أذني وكان يضحـك سـاخرًا منـي مـن خلـف قناعـه بينـما كنـت واقفـة هنـاك متلقيـة كلماتـه في صمـت عاجـز، ولم أفكـر حتـى في ردِّ الإهانـة بمثلهـا- جعلنـي أغضـب غضبًـا شـديدًا. أن تمتلـك جـدَّة عجـوز لسـان أفعـى هـي مهـارة صعبـة الإتقـان للغايـة.

في بعض الأحيان، تحتاج إلى أن تكون قادرًا على هدم المعبد على رأس صاحبه وردِّ الصاع صاعين، لكن الوصول إلى هذا المستوى يتطلب قدرًا كبيرًا من الممارسة.

وهنا وقع انفجار بالقرب من مقدمة الطابور. كما ترون، هذا ما كان يقصده حقًّا بالنشوة الجنسية. ليس الأمر أنني لم أستغرق الكثير من الوقت بعد حدوث الانفجار حتى أتمكن من الربط بين كلامه وما حدث.

كنت مشغولة جدًّا بالتحليق في الهواء للقيام بالكثير من الربط الذهني بين أي شيء في اللحظة نفسها.

أعتقد أنني لم أشهد انفجارًا من قبل. أزمات اقتصادية، نعم، وأوبئة؛ بالطبع. كنت أعتقد أنني رأيت كل شيء، ولكن ها أنا ذا، امرأة عجوز في موقع هجوم إرهابي، شاهدة على الجريمة دون عِلم. بالطبع، لم أرَ شيئًا؛ لذا فإن وصفي بالشاهدة كان مضلِّلًا للغاية، لكن الشرطة قرَّرَت تسجيلي على هذا النحو. أنا أتحدث عمَّا حدث قبل ترقيتي إلى صفة شاهدة؛ ما سُجِّل بالفعل، بعد الحادث مباشرة، كان "مشتبهًا بها".

أنا، هذه المرأة العجوز، مشتبه بها! لماذا، وأنا سأبلغ 120 عامًا في نظام العمر الكوري[1] العام المقبل، ليس أننا ما زلنا نستخدم مثل هذه الأعراف مثل العمر الكوري. هل يمكنك التغلب على ذلك؟ وهل كان يجب أن أشعر بالإطراء؟ لم أرَ قنبلة في حياتي قطُّ، وأنا مسالمة حتى النخاع. بالتأكيد، شاركت في بضعة احتجاجات في شبابي، لكنني لم أدخل أبدًا في احتكاكٍ مباشر مع رجل شرطة. لكن بطريقة ما، كنت مشتبَهًا بها في قضية إرهاب؟ امرأة عجوز تجرُّ نفسها باستخدام

(1) يحسب النظام العمري الكوري العام (التسعة أشهر) الذي يقضيه الجنين في بطن أمه من عمر الإنسان، وبالتالي عمرها 119 عام حسب النظام العمري الشائع (المترجم).

عـكَّازَتَيْ مـشي لأن قدميها المتأوِّهتين ومفاصلها البالية بالكاد تعمل بعد الآن؟ بالمناسبة، عندما حدث الانفجار، طِرتُ في الهواء مُمسِكة عكازتَيْ المشي.

ما زلت أتذكر الجزء الخاص بالتحليق في الهواء جيدًا. كانت، على نحوٍ غريب، لحظة بطيئة ومسالمة للغاية. شعرت وكأنني أطير في الهواء لمدة ثلاثين عامًا تقريبًا. والمثير للدهشة، أنه قد تبيَّن أن الأمر استغرق أقلَّ من ثلث ثانية، ولكن مرة أخرى، ربما كان من الأفضل ألَّا أتفاجأ. بعد كل شيء، طوال الوقت الذي قضيته في الهواء، كنت لا أزال ممسِكةً بكلتا عكازتيَّ على نحوٍ صحيح في كل يد. لا يمكن للإنسان أن يظل إلى الأبد في الهواء؛ فهو محكوم عليه بالسقوط على الأرض بسبب الجاذبية. أردت أن أتمكَّن من المشي مرة أخرى عندما يحدث ذلك، وكنت بحاجة إلى عكازتَيْ المشي، كما استنتجت. كان أملًا سخيفًا، ولكن في ذلك الوقت، كانت عكازتاي مُهِمَّتيْن للغاية بالنسبة إليَّ. وكنت أقف في ذلك الطابور لسببٍ مُهمٍّ للغاية. كان عليَّ ببساطة أن أقابلها، كما ترون.

لكن الانفجار وقع، ولثُلُث ثانية كنت في الهواء، وبمجرد سقوطي، لم أتمكَّن من النهوض، سواء بعكازات أو بدونها، ولم أتمكَّن من مقابلتها في ذلك اليوم بعد كل شيء.

عندما استيقظت كنت في المستشفى، وقد اختفت عكازتاي. أخذتهما الشرطة كدليل. هذا حظي العاثر فحسب! والأكثر من ذلك أن الفعالية نفسها قد أُلغِيَت. هذا واضح: كان هناك قنبلة إرهابية، وكل شيء. أخلت الشرطة ضيفة الشرف مع عائلتها من المكان، وتحوَّل مكان الفعالية بالكامل إلى مسرح جريمة، معزولًا عن العالم.

مكثت في المستشفى مدة ثلاثة أشهر، وشعرت وكأنني ميِّتة خلال تلك الأشهر الثلاثة. ويرجع ذلك أساسًا إلى مسألة الحمام. تحطَّمَت

عظامي العجوز في كيس اللحم المترهل الذي هو جسدي، وحقنوا سربًا كاملًا من الشرائح الإلكترونية النانوية في جسدي حتى أستعيد صحتي خلية بخلية.

بمجرد أن استرددت وعيي، طلبت إزالة قسطرة البول من مثانتي. بالتأكيد كنتُ عجوزًا على وشك الموت، لكن هذا كان السبب الأهم في أنني لم أرغب في وجود هذا الشيء بداخلي عندما يعثرون عليَّ أخيرًا لا أتنفَّس. حتى لو كنت أتطلَّع إلى بلوغ 120 عامًا من الحياة، كنت امرأة حتى يوم وفاتي، وما زلت أحتفظ بكبريائي كامرأة. بعد أن عاتبتُ موظفي المستشفى ليلًا ونهارًا، أزالوا أخيرًا القسطرة وقالوا بنبرة مشوبة بالتشفي إنه من الممكن أن أذهب إلى الحمام بمفردي الآن، وأن عليَّ أن أتجهَّز إلى الكثير من العلاج الطبيعي الذي ينتظرني.

هنا بدأت المشاكل. إمَّا أنني لم أستطع النهوض للذهاب إلى الحمَّام بنفسي، أو أن الممرضة الروبوت الغبية لن تفهم أنني أريد النهوض للذهاب إلى الحمَّام، أو بمجرد وصولي إلى الحمَّام، كنت قد أنفقت الكثير من الطاقة للوصول إلى هناك لدرجة أنني لم أعُد أرغب في التَّبوُّل بعد الآن. مدى رفض دماغي ومثانتي للعمل بتوافُقٍ معًا جعلني أرغب حقًّا في الموت ومغادرة هذه الأرض. وفي خِضَمِّ إلحاحي الشديد على إخراج القسطرة من جسمي، أو عندما كنت أحاول الذهاب إلى الحمام أو بذل جهد للدخول إليه، كان رجال الشرطة يُصرُّون على زيارتي خمس أو ست مرات في اليوم. ولقد اعتصرت كلَّ ذَرَّة من ذاكرتي لأجمع كل دقيقة من ذكريات ذلك اليوم. ومسح رجال الشرطة أذني، داخلها وحولها، حوالي 280 مرة، وأخيرًا عثروا على القليل من لعاب الوغد الذي تَطايَر والتصق بالقرب من شحمة أذني، وقارنوه بآثار الحمض النووي للوغد التي بقيت حول مكان انفجار القنبلة. ويبدو أن شَعري كان يحمي ذلك الجزء من أذني طوال هذا الوقت؛ وهو ما حافظ على عيِّنة لعابه سليمة.

جعلني سماع هذا أتساءل عمَّا إذا كان ينبغي لي أن أكون ممتنَّةً لما تبقَّى من شَعر على رأسي، أو أشعر بالاشمئزاز لأن لُعابه ظلَّ على جسدي مدة طويلة، أو غاضبة لأن ذراعي المحطَّمة والتي تُصلِحها الشرائح الإلكترونية النانوية ليست قويَّةً بما يكفي للسماح لي بغسل شعري بالطريقة التي أريدها. بالتأكيد، غسَلَت المرضة الروبوت جسدي وشعري، لكنها بالكاد فهمت أوامري.

ربما كان هذا أمرًا جيدًا؛ فلو استخدمت تلك الآلة الرهيبة أصابعها الدودية الشكل لمسح اللعاب عن بشرتي، لكانت الشرطة لا تزال تبحث عن الشخص الذي ستلقي عليه اللوم في هذا العمل الإرهابي، بعد ثلاث سنوات، ولما كنتُ واقفةً في هذا الطابور الجديد اليوم.

لكنني وُلِدتُ في القرن العشرين المستنير للغاية؛ لم نكن جيلًا يؤمن بالروبوتات. أردتُ أن أعتني بجسمي. في أيامي الأولى، كانت الآلات تقتل الناس. كان شاب جميل يعلق في حزام ناقل ويتشوَّه حتى الموت، وكان آخرون يقفون تحت رافعة منهارة ويلقون المصير نفسه عندما تسقط فوقهم، وكان قطار أنفاق ذاتي القيادة يصطدم بعاملٍ يُصلح لوحة إعلانية، وكانت السفن ذاتية القيادة تغرق، وكان السم يتسرَّب، وكانت الآلات تُدفَع، وتتعثَّر، وتسقط، وتصطدم: المعدات، والمصانع، وأماكن العمل، والمواقع، كلها راحت تقتل وتقتل... وتقتل...

وكان الناس، الأشخاص المسؤولون عن مثل هذه الوفيات، يتسامحون مع الآلات التي تقتل الأبرياء المصنوعين من لحم ودم مثلهم تمامًا. لا، ليس فقط التسامح، بل حساب قيمة كل شخص ميت، والتهوين منه قياسًا بقيمة الآلة. عندما يكون قد مات شخص ما للتَّوِّ، كما لو كان الشخص الميت من طبقةٍ أدنى من الأحياء، مجرد إحصائية يجب حسابها، جديرة بالتقييم، لكنه ليس شخصًا حقيقيًّا مثل الآلات نفسها.

شيء مقـزِّز حقًّـا. جرائـم القتـل التـي تتسـبَّب فيهـا الآلات تحـدث منـذ سـبعين عامًـا كاملـة، لكنهـا مـا زالـت تغضبنـي جـدًّا، لدرجـة أننـي أسـتطيع النهـوض وقطـع المسـافة الطويلـة إلى الحـمَّام راكضـةً مـن فـرط الغضـب وحـده. لكـن ضغـط دمـي كان يرتفـع، وكان روبـوت التمريـض يسـتدعي الممرضـة البشريـة، وكان عـليَّ أن أشرح كيـف لم يكـن الأمـر شـيئًا يُذكـر، وأن سـببه الغضـب. ربمـا يكـون هـذا علامـة عـلى بدايـة الخـرف. ربمـا أنـا مصابـة بـه بالفعـل. لكـن الغضـب يعنـي الغضـب.

بعـد ثلاثـة أشـهر مـن هـذا وعـدم اسـتعادتي عـكازَيْ المـشي الثمينتـين مـن الشرطـة، أخـذت العـكازات غـير الكفـؤة تمامًـا التـي قدَّمهـا إلي المركـز الصحـي وغـادرت المركـز. كان الإرهـابي لا يـزال طليقًـا، وثلاثـة مـن أعضـاء نـادي معجبـي ضيفـة الـشرف لقـوا حتفهـم، وتسـعة منهـم أصيبـوا بجـروح خطـيرة، واثنـان منهـم أصيبـا بجـروح طفيفـة. وكانـت رئيسـة نـادي المعجبـين مـن بـين المصابـين بجـروح خطـيرة، وكان عمودهـا الفقـري متـضرِّرًا للغايـة لدرجـة أنهـا لـن تمـشي مـرة أخـرى.

ولأننـي شـخص مـن الأيـام الخـوالي، والطـب الحديـث بالنسـبة لي أشـبه بالسـحر، فقـد تسـاءلتُ لمـاذا لم يتمكَّنـوا مـن حقنهـا بالشرائـح الإلكترونيـة النانويـة التـي مـن شـأنها إصـلاح الـضرر عـلى الفـور كـما فعلـوا معـي، ولكـن مـن الواضـح أن جسـد الإنسـان ليـس مـن السـهل إصلاحـه مثـل جسـم الآلـة.

في مقطـع ڤيديـو، رأيـت رئيسـة نـادي المعجبـين تظهـر في مؤتمـر صحفـي عـلى كـرسي متحـرك، وهـي تحمـل لافتـة وميكروفونًـا، وتقـرأ بيانًـا للصحافـة حيـث أحيـت ذكـرى أصدقائهـا الذيـن قُتلـوا قبـل أن تنهـار في البـكاء. كـما بـكى النـاس مـن حولهـا. بكيـت أيضًـا. بكيـت لأننـي لم أسـتطع منـع نفـسي، لم أسـتطع منـع نفـسي عـلى الإطـلاق. لأنـه كان أسـوأ شيء في العـالم أن تفقـد أصدقـاء يتشـابهون معـك في الأفـكار في عمـل عنـف عقيـم.

يجب أن يموت الناس لأسباب طبيعية في سنِّ الشيخوخة. أيًّا كان ما تعنيه الأسباب الطبيعية حقًّا؛ لا أعتقد أنني أزعجت نفسي قطُّ بمعرفة معناها. لقد وصلنا إلى سِنٍّ يُعدُّ فيه العيش حتى سن 150 عامًا أمرًا شائعًا إلى حدٍّ ما، ولكن التفكير في شخص مثلي، ولد في القرن العشرين، مُنتِج للنفايات البلاستيكية، ومستهلِكٌ للجزيئات المتطايرة وجميع أنواع الملوثات الأخرى، ويعيش ليرى 120 عامًا، في حين فقد كل هؤلاء الشباب حياتهم بوحشية، كل هذا كافٍ لدفعي إلى حافة الهاوية. يجب أن يكبر الناس ويموتوا في شيخوختهم. وأعني بالشيخوخة، حوالي 130 عامًا. ولكن، حتى لو مات شخص بعد بلوغه 130 عامًا، فإن الأشخاص الذين تركهم خلفه ما زالوا سيشعرون بالحزن والغضب حيال ذلك.

خُذْ على سبيل المثال، رئيس قسمي في العمل. لقد حارب الإدارة لمدة عشرين عامًا بعد أن فصلوه دون سببٍ عادلٍ، وتمكَّن أخيرًا من استعادة وظيفته، وعمل حتى سِنِّ التقاعد، وبعد ذلك كلما جاء زملاؤه الأصغر سنًّا إليه طلبًا للمساعدة احتجاجًا على شيء غير منصف أو آخر، كان يجرُّ جسده الذي يبلغ من العمر سبعين أو ثمانين عامًا -على الرغم من أن الثمانين عامًا تبدو وكأنها منتصف العمر الآن، عندما أتأمَّلها وأنا فوق المائة بعشرين عامًا- إلى طليعة مسيرة الاحتجاج، ويتحمَّل العبء الأكبر من اعتداءات حملة الشرطة الشرسة عليهم لخرق قانون الوقاية من الأمراض المعدية من خلال عَقد تجمُّعٍ غير قانوني، ممازحًا الشرطة بأنه ليس لديه أي فكرة عن الأشخاص الآخرين من حوله، وأنه كان هنا من أجل احتجاج فردي.

كعقوبةٍ لهذا الرجل الذي ضحَّى بشبابه في الاحتجاجات والإضراب عن الطعام، لَحِقَت به المحن والشدائد أخيرًا قرب نهاية حياته، وتجلَّى تأثيرها عليه وتوفِّي عن عمر 132 عامًا؛ قالت عائلته إنها كانت وفاة جيدة، ولكن لو كان لديَّ أي قوة متبقية في تلك اللحظة

لكنتُ ضربتهم على نطق مثل هذه الكلمات. أردت أن أصرخ بأن الحياة الطويلة لا تعني حياة جيدة. في عمر 132 عامًا، كان هذا الرجل تاريخًا حيًّا يمشي. وستختفي معه سنواته الطويلة من النضال والاحتجاج، وكل تلك الساعات، وهاتيك الذكريات. الموت والخسارة سيكونان دائمًا، وحقًّا، أسوأ الأشياء الممكنة.

ولهذا السبب، عندما فكَّرتُ في كل الأشخاص الذين فقدتهم في حياتي، بكيت مع رئيسة نادي المعجبين في الڤيديو.

"لكننا لن نتراجع أبدًا".

كانت تتحدث بصعوبة هائلة. شاهدت الڤيديو بعد مغادرتي المستشفى؛ ممَّا يعني أن الڤيديو كان عمره ثلاثة أشهر في هذه المرحلة، وكانت رئيسة نادي المعجبين مُحطَّمةً مثلي، حيث احتاج جسدها إلى إعادة ترميمه بواسطة الشرائح الإلكترونية النانوية. وهذا يعني أنها لم تتعافَ تمامًا من الحادث، لكن ها هي هنا، تحضر حفل تأبين أصدقائها. كم يمكن أن تكون فورة الشباب مدهشة، لدرجة أنها مكَّنتها من جَرِّ نفسها من سرير المستشفى لتكون محطَّ اهتمام كاميرات الصحافة.

وبينما كانت تنطق بأسماء أصدقائها بصوتها المرتجف، بكيتُ معها، وتمكنت من نسيان للحظة كم كنتُ قَلِقَة بشأن جَرِّ نفسي إلى الحمام على هاتين العكازتين غير المناسبتين، وكيف سأتعامل إذا لم أعُد أرغب في التبول بمجرد دخولي إلى المرحاض، ثم اضطراري إلى جَرِّ نفسي مرة أخرى. في تلك اللحظة، كنت مجرد شخص آخر، حزين على أشخاص آخرين.

فكَّرتُ فجأة في ذلك اليوم الربيعي، قبل عقود من الزمان، عندما ركبت مترو الأنفاق مع الأشخاص الذين يحملون الكتاب نفسه في أيديهم -بعض الذكريات تخطر ببالك هكذا فجأة ودون مقدمات-

وكيف كانوا يحملون أيضًا باقات الزهور، أو الشرائط الطويلة، أو الأعلام الصغيرة، لكنني نسيت أنه من المفترض أن نُحضِر كتبنا، وكنت واقفة على نحو مُحرِج مع غلاف الإصدار الرقمي على جهاز قراءتي الإلكتروني. اقترب مني شخص يحمل كاميرا والتقط صورًا للغلاف الذي كان على جهازي وسوار معصمي.

"لن ننسى أبدًا".

اعتقدت أنني لن أنسى أبدًا. لكن ثمة بعض الأشياء التي نسيتها. وجوه الرفاق المفقودين، والأسماء التي اعتقدتُ أنها مختومة بالنار في قلبي، والتي تلاشت مع مرور الوقت. ما لم أستطع أبدًا أن أنساه هو المشاعر التي انتابتني في لحظات محدَّدة. حتى عندما تختفي الذكريات والمنطق والعقل، ستظل هذه المشاعر حتى النهاية. الغضب والخوف والصدمة والحزن والكراهية والخسارة لن تتبدَّد أبدًا بمرور الوقت. كنت أعرف ذلك أفضل من أي شخص آخر. كنت أعرف ذلك، حتى عندما لم أقابلها أو أعرفها شخصيًّا، حتى عندما وقفت في الساحة وناديت باسمها، وصرخت به في انسجام من أجل تخليد ذكراها على الرغم من أن حلقي كان مختنقًا لدرجة أنني لم أستطع تقريبًا أن أقول كلمة واحدة. والشرطة، بالطبع، انقضَّت علينا بقوة زاعمة أن هذا تجمُّع غير قانوني وكان علينا أن نتفرَّق. كان ذلك خلال الربيع الثاني من الجائحة، وكانوا ما زالوا يرفضون إصدار تصاريح لأي احتجاجات.

لم تكن هناك في ذلك اليوم الربيعي. فجأة تذكَّرتُ كيف هبَّ نسيم بارد على وجهي في خضم تلك المشاهد الهادئة والسلمية تقريبًا في المترو والساحة. هذا هو معنى ألَّا ننسى أبدًا. تقبَّلتُ هذه الذكريات الغازية عن الخسائر الماضية التي تقتحم أفكاري في لحظات عشوائية، عازمة على ألَّا أنسى أبدًا وأحرص على أن ينال الأوغاد الذين جعلوا العالم على هذا النحو جزاءهم في النهاية.

"سنستمر في المضي قُدُمًا".

سأمضي قُدُمًا أيضًا. إذا أعادت الشرطة لي يومًا ما عكازتي المشي. تستمر العكازتان الجديدتان في الانزلاق على الأرض ولا أستطيع استخدامهما على النحو السليم. وصل مقطع ڤيديو لرئيسة نادي المعجبين وهي تقرأ بيانها من بين دموعها على كرسيها المتحرك إلى 2.36 مليار مشاهدة حول العالم، وما زال في ارتفاع. عادةً لا أهتمُّ بإلقاء نظرة على التعليقات على مثل هذه الڤيديوهات، ولكن عددها تجاوز 400 مليون آخر مرَّة راجعتها، ويا إلهي، فقد كانت تلك التي لفتت انتباهي كلها بغيضة. لن أزعج نفسي بسردها كلها هنا.

العالم مليء حقًّا بالأشخاص الغريبين، وأكثر هؤلاء الأشخاص الغريبين سُمِّيَّةً هم أيضًا، كما هو واضح، مُتطرِّفون في أفكارهم.

"أليس هذا أمرًا شهوانيًّا؟".

هذا أحد التعليقات التي لفتت انتباهي. كان هذا هو التعليق السادس والعشرين من أصل 400 مليون تعليق. لقد صدمني مثل بقعة من لعابه المشع تضرب أذني.

"يجب التخلص من القمامة بهذه الطريقة".

يظهر هذا السطر الثاني من هذا التعليق بعد انقطاع سطرين. أصبح دماغي أبيض. رجفت يداي. هل يجب أن أبلغ عنه؟ بالطبع. كان عليَّ الإبلاغ عنه. لمن؟ ستمسح منصة الڤيديو التعليق فحسب. أفضل ما يمكنهم فعله هو حظر المستخدم أو تعليق حسابه. بمجرد حذف هذا التعليق وحظر الحساب، سيمحو الوغد ببساطةٍ أثره وينشئ حسابًا آخر، يا له من أمر مثير للغثيان. كيف يتطاير اللعاب من فمه وهو يتحدث عن مدى النشوة الجنسية التي يجدها في أناس يموتون.

"الشر...طة". ناديت على روبوت التمريض الشخصي.

- يرجى تحديد الطبيعة المحدَّدة للطارئ الطبي.

هذا الروبوت اللعين!

"الشر...طة".

- من فضلك اذكُري طبيعة الحالة الطبية الطارئة.

أردت أن أصرخ ما إن كان هذا هو نوع المواقف الذي يمكنني أن أذكره على وجه التحديد، فهل يشكِّل ذلك حالة طوارئ حقيقية؟ لكن الكلمات لم تخرج من فمي. وكان عليَّ أن أهدأ. لم يكن الوقت مناسبًا للموت من تمدُّد الأوعية الدموية بسبب هذه الروبوت الممرِّضة الغبية. لم تكن هذه هي الطريقة التي ستنتهي بها هذه القصة.

أخذتُ نَفَسًا عميقًا. "الشرطة... الجرائم الإلكترونية...".

اللعنة، الآن سأصاب بتمدُّد الأوعية الدموية وأموت هنا وحدي دون أي وسيلة لطلب المساعدة، ولن أرى أبدًا ذلك الوغد يُقدَّم للعدالة! ولكن في تلك اللحظة، تحوَّلَت واجهة الروبوت الممرضة إلى اللون الأحمر للطوارئ.

- تمَّ استدعاء الشرطة. هل تسمحين بتتبُّع موقعك؟

قالت الروبوت اللعينة أخيرًا شيئًا معقولًا.

أومأت برأسي.

تحوَّلَت واجهة الروبوت الممرضة من اللون الأحمر إلى الأزرق.

- ستصل الشرطة في غضون دقيقة وعشرين ثانية. لا تتحركي من مكانك.

وبما أن عكازتيَّ كانتا تتدحرجان على الأرض بحلول ذلك الوقت، لم يكن ثمة مكان أذهب إليه. اعتقدتُ أنني على وشك الإصابة بنوبة قلبية، لكن ربما كان هذا مجرد مزاجي. ما إن وصلت الشرطة،

لاحظوا أنني أتنفَّس بصعوبة، وحاولوا استدعاء سيارة إسعاف، لكنني تمكَّنتُ من إقناعهم بعدم القيام بذلك. كانوا غير قادرين تمامًا على فهم موقفي، وكنت ألهث من التَّوتُّر، لدرجة أنني لم أستطع التحدث بوضوح؛ ممَّا يعني أن الأمر استغرق وقتًا طويلًا لشرح أهمية ورود "النشوة الجنسية" في التعليق، ولم تساعدني عروضهم المتكررة باستدعاء سيارة إسعاف حتى يتمكَّنوا من إلقاء عبء هذه الجَدَّة المجنونة على شخص آخر.

عندما أحضرت لي الروبوت الممرضة الماء وسقط بعضه في المجرى الخطأ، سعلت كثيرًا، لدرجة أن أفراد الشرطة حاولوا الفرار معتقدين أنني مصابة بعدوى ما، وفقط عندما تمكَّنَت الروبوت الممرضة من الإمساك بأحد أفراد الشرطة من أجلي، تمكَّنتُ من إخبارهم بالقصة الكاملة للانفجار، وما همس به الوغد في أذني، والبصاق، والتعليق على الفيديو.

من الواضح أن الشرطة لم تهتمَّ بتعليقٍ واحد من بين 400 مليون تعليق، سواء كان التعليق الخامس والعشرين أو السادس والعشرين، ولكنني كنت مُسجَّلة في مكتب المنطقة بصفتي طاعِنةً في السن، وضعيفة للغاية؛ وهو ما يعني أن كل طلب للمساعدة، كان مُسجَّلًا على الشبكة؛ لذا كان عليهم مساعدتي. كنت أعرف هذا على وجه اليقين، وكانت الشرطة تعلم أنني أعرف.

وبينما استمرت واجهة الروبوت الممرضة في التحول من الأحمر إلى الأزرق، ثم إلى الأحمر مرة أخرى، لم يُكلِّف رجال الشرطة أنفسهم عناء إخفاء الانزعاج الشديد على وجوههم، فدوَّنوا بياني المتلعثم، وأكَّدوا لي أنهم سيتخذون الإجراءات اللازمة، ثم رافقتهم الروبوت الممرضة إلى عالَمٍ لا توجد فيه روبوتات أو عكازات مشي تستدعي الشرطة، أو بعبارة أخرى: عالم الناس العاديين. تُرِكتُ وحدي مع التعليقات

الرهيبة على الإنترنت وروبوت بالكاد يستطيع فهم ما كنت أقوله. ولكن لأن الإجراءات اتُّخِذَت بالفعل بعد ذلك، لم أستطع التمسك باستيائي طويلًا.

مرَّت الأشهر، وكنت أظن -للأسف- أنهم أهملوا إفادتي بوصفها هذيان امرأة عجوز مجنونة، ولكن بعد مرور عام، عادت الشرطة لزيارتي في منزلي. هذه المرة، كان الروبوت الممرضة مزوَّدة بواجهتها الوردية المعتادة، والتي كرهتها حقًّا؛ لأن لون الواجهة الافتراضي للممرضات الإناث بالطبع سيكون ورديًّا فاتحًا: يا لها من صورة نمطية عنصرية! لكن ها هو انزعاجي من الروبوت الممرضة يُشتِّتني مرة أخرى.

كان أحد رَجُلَيْ الشرطة من المرة الأولى التي استدعيتهم فيها، وكان الآخر شخصًا جديدًا.

اتَّضح أنه كان أول المستجيبين الذين وصلوا لمكان التفجير في يوم الانفجار الإرهابي حيث طِرتُ في الهواء ونُقِلتُ إلى المستشفى، فاقدة للوعي ومحطَّمة من الداخل، أطلال إنسان مصاب بكدمات غطَّت جسده بأكمله.

تلا على مسامعي إفادتي، التي كانت مليئة بسطور على غرار "هـــذا الوغد... بـــصـــــق...". لقد استغرق الأمر عامًا كاملًا حتى تصل إفادتي إلى مكتبه، ولكن في النهاية، تفقَّد اسمي في قائمة الناجين، ولاحظ أنني ذكرتُ البَصْق، وجاء ليأخذ إفادتي مرة أخرى بشأن ما قيل على الإنترنت.

لم يتغير شيء في العام الذي أمضيته مستلقيةً على ظهري، لكن يبدو أن الشرطي وجد إفادتي لافتةً. جاء عدد قليل من رجال الشرطة لرؤيتي بعد ذلك، ثم لم يأتِ أحد؛ ممَّا تركني وحدي مع الروبوت الممرضة اللعينة، وعكازة المشي الغبية مرة أخرى.

وبالحديث عن عكازة المشي، سألته لماذا لا يستطيع إعادة عكازتي المشي التي كانت بحوزتي قبل الحادث، فقال إنها لا تزال تُعَدُّ دليلًا. ولكن عندما رأى مدى حزني عليها، أخبرني أنه سيبذل جهدًا لإخراجها من خزانة الأدِلَّة، لكن حتى يومنا هذا لم أرها مرة أخرى.

العالم مكان مروِّع حقًّا بطرائق لا حصر لها. ولكن، سواء كان ذلك بسبب إفادتي، أو البصق، أو أساليب التحقيق المتقدمة، فقد قبضوا على الإرهابي بعد بحثٍ دام ثلاث سنوات، وجاءت الشرطة إلى منزلي لإبلاغي بذلك؛ الأمر الذي جعلني آمل أن أستعيد أخيرًا عكازتَيْ المشي، ولكن لم يخبرني أحدٌ كيف يمكنني تحقيق ذلك. وبدلًا من ذلك، علمتُ أن ضيفة الشرف كتبت كتابًا آخر عن السنوات الثلاث الماضية وقد نُشر للتَّوِّ، اشتريته على الفور، ليس كملفٍّ رقمي، ولكن ككتاب ورقي حقيقي، وكان ثقيلًا جدًّا بالنسبة لذراعيَّ المحطَّمتَيْن اللتين أصلحتهما الشرائح الإلكترونية النانوية، لكنني شعرت بالرضا بمجرد رؤية وجهها في الصورة الموجودة على الغلاف الخلفي.

في الإهداء، شكرَت زوجها وطفلها، وهكذا علمتُ أنه بينما كانت متخفِّية بعد الهجوم الإرهابي، تزوَّجَت وتبنَّت طفلًا. هذا جعلني أكثر تصميمًا من أي وقت مضى على أنه حتى لو كان ثمة انفجار إرهابي آخر وقُذِفتُ في الهواء وأصبحت فوضى محطَّمةً مرة أخرى، فقد أرغب حقًّا في مقابلتها؛ ولهذا السبب طلبت دعوة إلى فعاليتها، وخضعتُ لفحصٍ جسديٍّ مثل الذي تمَّ قبل ثلاث سنوات، وحصلت على موافقة الطبيب، وأخذت الجرعة الأولى من اللقاح، وانتظرت ثلاثة أسابيع للجرعة الثانية، وأسبوعين آخرين قبل إجراء اختبار الأجسام المضادة، وتقدَّمتُ بطلب للحصول على جواز سفر، وصل بعد أسبوع، ولكنني لم أتمكَّن من ركوب الطائرة، واستخدمت الطرق السريعة تحت الأرض للوصول إلى موقع الفعالية، حيث خضعتُ لاختبارٍ فيروسيٍّ مرة أخرى، وعزلوني في حَجْرٍ صحي لمدة أسبوعين،

واختبروني مرة أخرى بعد تلك المدة، وتمكَّنتُ أخيرًا من الوقوف في طابور لدخول الفعالية.

بحلول هذا الوقت، كان لديَّ عكازة مشي أقل جودة، وكانت واحدة فحسب، وكنتُ أبطأ وأكثر حذرًا ممَّا كنت عليه في المرة السابقة؛ ممَّا يعني أن المسافة بيني وبين الشخص الذي أمامي كانت أوسع، ولكن هذه المرة، لم يكن ثمة شابٌّ غريب الأطوار يقترب من أذني ويهمس بأشياء سخيفة. عندما انتهت هذه الرحلة المعقَّدة للغاية، بدأت أسمح لنفسي بالتفكير في أنني قد أتمكَّن من مقابلتها بعد كل شيء. حتى ظهر ذلك الصندوق الأسود الضخم أمامي.

- أنتِ ترين أحدث ما توصَّلت إليه تكنولوجيا الكشف الأمني. نحن نُجري فحصًا إضافيًّا لمنع تكرار حادثة سابقة. شكرًا لتعاونكم.

لم أعرف ما إذا كان هذا الإعلان قادمًا من السقف أم الجدران، لكنه كان يصل إلينا على نحوٍ متكرِّرٍ مع نبرة تأكيدية. بالطبع، أفضِّل أي فحص أمني على انفجار القنابل في وجهي. كان شعور التحليق في الهواء قبل ثلاث سنوات ممتعًا إلى حدٍّ ما، كما أتذكر، لكن الارتداد عن الحائط والتدحرج على الأرض ككيس دموي من العظام المكسورة، كان أقلَّ متعةً كثيرًا.

فعلت ما أمرني به ضباط الأمن ودخلت الصندوق الأسود. ولقد عشت كل ما عاشته قطَّةُ شرودنجر المسكينة في ذلك الصندوق الآخر. ولم أستطع أن أُحدِّد ما إذا كنتُ ميِّتةً أم حيَّة، أو ميِّتة حيَّة، أو حيَّة ميِّتة حتى أعادوا فتح ذلك الصندوق. أخبروني أن الصندوق الأسود الضخم كان يُحلِّل جسمي خليَّةً بخليَّةٍ ليعرف ما إذا كان هناك أي شيء في جسدي يمكن أن يكون متفجِّرًا، أو كان قد لامس في أي وقت مادة متفجرة، أو يحتوي على مكوِّنات محتملة لصنع

متفجرات. وهكذا "غربل" الجهاز خلاياي؛ مما خلق بداخلي تهديدًا وهميًا بوجود قنبلة في جسدي، وجعلني أتقيأ، وأصابني بمشاكل في التنفس، وبعد ذلك سحبني أفراد الأمن من الجهاز إلى المستوصف حيث تقيأتُ واستلقيت لبعض الوقت قبل أن أستعيد هدوئي وأطلب إرسال سجلاتي الطبية وسجلات الشرطة إليّ؛ الأمر الذي مكّنني أخيرًا من الخروج من الحجز.

يا له من فوضى عارمة هذا العالم!. لقد مرَّ زمن طويل منذ أن بذلتُ آخر جهد للظهور بمظهر لائق في الأماكن العامة، والآن كان فستاني ملطَّخًا بالقيء، واضطررت إلى ارتداء ما يشبه كيسًا من الخيش كان لديهم في المستوصف بدلًا من ذلك، ولكن على الأقل تمكَّنتُ من دخول مكان الفعالية، وكانت لحظةً مُؤثِّرةً على نحو جميل بالنسبة إليّ.

أقيم الحفل على نحوٍ يتفادى أي تلامُس، حيث بثَّت شاشة ضخمة على خشبة المسرح صورة الضيفة على الهواء مباشرة. ومُنِح كل فرد من الجمهور مقعدًا وطاولة صغيرة، حيث كانت توجد شاشة أخرى صغيرة مغطاة بسطح شفاف واقٍ. عندما بدأت الفعالية، ظهر وجه متعهِّد الفعالية وهو يرتدي سمَّاعة رأس على الشاشة الضخمة فوق المسرح، بينما بدأ يشرح ما كنَّا على وشك تجربته.

"كما تعلمون جميعًا، وقع ما يمكن تسميته على نحوٍ لا لبس فيه بأنه هجوم إرهابي قبل ثلاث سنوات".

بالطبع كنا نعرف. كان بإمكاني رؤية أفراد الجمهور الآخرين، جميعهم متباعدون عن بعضهم بعضًا، وهم يومئون برؤوسهم إلى الشاشة.

"لا يمكننا السماح بإيذاء المزيد من الأرواح البريئة بسبب الكراهية والعنف؛ ولهذا السبب وضعنا تدابير الأمن التي رأيتموها اليوم. الإجراء الأمني النهائي هو الشاشة التي ترونها أمامكم".

جعلتني عبارة "إجراءات أمنية" أفكِّر في صندوق شرودنجر القاتل للقطط. هل سيطلقون بعض أشعَّة الفيزياء الكمِّيَّة الفعَّالة من الشاشة؟ لقد ألقيتُ للتَّوِّ فستاني الصيفي المفضَّل في القمامة، ولم أستطع أن أتقيَّأ على كيس الخيش الذي أعطوني إياه. شعرت بالتوتر.

"لحماية خصوصية مؤلِّفَتِنا، وبالطبع هناك أيضًا مسألة تتعلَّق بالأمن القومي أنا متأكِّد من أنكم جميعًا على دراية بها؛ لا يمكننا إظهار وجه ضيفة الشرف. بدلًا من الأساليب الأكثر كلاسيكية مثل ارتداء قناع أو تحويل وجهها إلى بيكسلات (Pixels)، قرَّرنا استخدام طريقة أأمن".

إذن، هل ستخرج أشعَّة فضائية من الشاشة وتجعلني أتقيَّأ أم لا؟ لم يَقِلَّ تَوتُّري وأنا أنتظره حتى يبوح بكل ما في جَعبَته. كنت أشعر بالندم لعدم جَرِّ الروبوت الممرِّضة معي إلى هنا. على الرغم من أن ذلك سيكون مُحرِجًا، إلا أنني وجدتُ أنه من الأسهل حماية كرامتي من خلال طلب المساعدة من الروبوت في أشياء مثل التقيؤ عن الاعتماد على طيبة الغرباء من البشر.

"هذه الشاشة التي ترونها أمامكم، والشاشة الصغيرة على كل طاولة، هي أحدث تقنيات التزييف العميق التي تستخدم نظرية المرآة لباختين[1]".

(1) التزييف العميق: تقنية تقوم على صنعِ فيديوهات مزيَّفة عبر برامج الحاسوب من خِلال تعلُّم الذكاء الاصطناعي. تقوم هذه التقنية على محاولة دمجِ عددٍ من الصور ومقاطع الفيديو لشخصيَّةٍ ما من أجلِ إنتاج مقطع فيديو جديد -باستخدام تقنية التعلم الآلي- قد يبدو للوهلة الأولى أنه حقيقي، لكنَّه في واقع الأمر مُزيَّف (المترجم).

باختين؟ كما في ميخائيل باختين؟ الفيلسوف الروسي؟ ألم يَمُت عام 1975؟ هل كان يعرف عن التزييف العميق؟ هل كانوا يقولون لنا إنهم سيستخدمون وجهه بدلًا من وجهها؟

"قال باختين ذات مرة إن الناس لا ينظرون ببساطة إلى العالم الخارجي الموضوعي باستخدام نظرتهم الذاتية. لقد زعم أنه عندما نتفاعل مع شخص آخر، فإننا نخلق نظرتين أخريين: واحدة تنظر إلى داخل أنفسنا، مثل المرآة، وأخرى نعتقد أن الآخر يراها عندما ينظر إلينا".

لذا لم نكن سنرى وجه باختين على الشاشة الضخمة. مرآة التزييف العميق، هل يعني هذا أنهم سيضعون وجهه فوق وجهها على الشاشة؟ لم يكن باختين وسيمًا جدًّا، لكنني كنت على استعداد لتحمُّل قَدرٍ من القُبح الفني إذا كان ذلك يعني أنني أستطيع رؤيتها.

واصل الرجل. "من خلال صورتنا لما نعتقد أن الآخرين يرون عندما يروننا، نُغيِّر سلوكياتنا. في نظرتنا نحو الآخر، ننظر إلى أنفسنا وإلى ما يراه الآخرون عندما ينظرون إلينا أيضًا. نحن، بمعنى ما، نرى أنفسنا من خلال الآخرين".

لقد أخطأ متعهِّدُ الفعالية تمامًا. لم يكن هذا يَمُتُّ بأي صِلَة بنظريات باختين الهندسية على الإطلاق. وما علاقة الهندسة المعمارية بإجراءات الأمن؟

"لقد طبَّقنا هذه النظريات العلائقية باستخدام تقنية التزييف العميق؛ لذا فإن وجه مؤلفتنا سيحتوي على الوجه الذي ترغبون جميعًا في رؤيته، الوجه الذي يتخيَّل كلُّ واحدٍ منكم أن يكون عليه

ميخائيل باختين -1895 1975: فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي. وُلِد في مدينة أريول. درس علوم اللغة، وتخرَّج عام 1918. وعمل في سلك التعليم، وأسَّس "حلقة باختين" النقدية عام1921 (المترجم).

وجه المؤلفة، بمعنى آخر: الصورة التي تُسقِطها أفكاركم ومشاعركم عليها. ستتتبَّع الشاشة الصغيرة أمامكم نظراتكم وموجات دماغكم للتَّنبُّؤ بالوجه الذي تتوقَّعونه؛ ومن ثم تصميم أفضل تقريب ممكن باستخدام تقنية التزييف العميق".

استعصى عليَّ فهم ما يعنيه.

"بعبارة أخرى، فإن الوجه الذي سترونه على الشاشة لن يكون وجهها الحقيقي، ولكن الوجه الذي تتخيَّلونه لها".

ابتسم قليلًا.

"ما ترونه على الشاشة سيكون متروكًا لكم جميعًا تمامًا".

أصبحت الشاشة فارغة. في الظلام، كظَمتُ غضبي من كيف أن ما قاله ليس له أي علاقة بنظريات باختين المعمارية على الإطلاق، وأن متعهد الفعالية قد شوَّه نظريته تمامًا.

فجأة، أضاءت الشاشة مرة أخرى. وعلى الشاشة الضخمة، وكذلك الصغيرة، ظهر وجه امرأة. ليس وجهًا جميلًا جمالًا خاصًّا، ولكنه مستدير ورقيق ولطيف، وجه حنون.

قالت بصوت خفيض: "مرحبًا بالجميع. من الرائع أن أراكم جميعًا أخيرًا، حتى لو كان ذلك من خلال شاشة".

فكَّرتُ: من الرائع أن أراك أخيرًا أيضًا. لقد أردتُ حقًّا مقابلتك.

من إحدى زوايا الجمهور علا صراخ. تهامس الجمهور، منزعجين. وقف شخصٌ ما وبدأ في الصياح: "كنت أعرف ذلك! إنهم جميعًا وحوش! وحوش، أقول لكم! ليسوا رجالًا، وليسوا نساء! ليسوا بشرًا على الإطلاق!".

كان حراس الأمن سريعي التَّصرُّف. ركض الشخص الذي صاح نحوهم، وهو يصرخ، "لا تقتربوا مني! أيها الأوغاد القذرون! أنتم

جميعًا متورِّطون في هذا! أيها الوحوش والمرضى النفسيون، تستحقون بعضكم بعضًا! يجب قتلكم جميعًا! أنتم...".

تسبَّبَت صدمة كهربائية سريعة من صاعقٍ في انهيار الرجل الهستيري المتعثِّر الخطى مثل لوح خشب. في الواقع، رفعوه مثل جذع شجرة ساقط وحملوه إلى الخارج. عاد السلام إلى قاعة الفعالية.

استأنَفَت حديثها بهدوء: "كما قال متعهِّد الفعالية من قبل، ما رآه ذلك الشخص لم يكن مظهري الحقيقي. ما رأه كان انعكاسًا لذاته. ما أراد رؤيته".

قرَّرتُ في هذه اللحظة أن أسامح مُنظِّمي الفعالية على تحريفهم الفظيع لنظرية باختين المعمارية.

الكراهية موجودة في أذهاننا. هذا ما أظهَرَته لنا الشاشة أمامنا بجلاء: الأشياء التي كانت موجودة في أذهاننا، أو بالأحرى، التصورات التي خلقناها وعشَّشَت في أذهاننا.

مشاهدة الشاشة تعني أن ينظر المرء داخل عقله. وتعلمون ماذا، لم أرَ هذا الجانب من عقلي من قبل قطُّ- وقد راق لي كثيرًا.

قال الوجه المستدير للمرأة أمامي: "هل نبدأ حديثنا؟".

أجاب الجمهور بوابل من التصفيق.

كانت منسِّقة الحوار هي رئيسة نادي المعجبين بها، التي أصيبت في عموده الفقري في الانفجار الإرهابي قبل ثلاث سنوات.

قالت رئيسة نادي المعجبين إنها كانت من المعجبين بها منذ أن كانت ضيفة الفعالية موسيقية. لم تكن قد أصبَحَت "هي" بعد. وعندما التحقت الضيفة بالجيش، وأدرَكَت هويتها الجنسية، وقرَّرَت الخضوع لعملية تحويل جنسها، كانت رئيسة نادي المعجبين هي التي أوصلتها بمنظمات مختلفة تدعم المتحولين جنسيًّا.

"خلال شبابي، الذي كان أحلك فترة في حياتي، كان الشيء الوحيد الذي ساعدني في تجاوز تلك المرحلة هو موسيقاك. كنت مسرورة من أجلك عندما تشجَّعتُ وفعلت ما أحسست أنه صحيح، لكنني كنت قَلِقَة أيضًا؛ ولهذا السبب أردت أن أكون عَونًا لك بأي طريقة ممكنة".

كانت قبضة رئيسة نادي المعجبين وهي تمسك بالميكروفون لا تزال تبدو مرتجفة، لكن كلماتها كانت واضحة. على عكس ڤيديو مؤتمرها الصحفي من قبل، بدت عيناها مشرقتين، وكان صوتها حازمًا.

ثم وصفت ضيفة الشرف كيف عادت إلى الجيش بعد إجراء عملية تحويلها الجنسي. لقد خدَمَت في الجيش بتفانٍ، وتمتَّعَت بصحة موفورة، وكانت مجتهدة في عملها، وتَقبَّلها رؤساؤها ونقلوها إلى الثكنات النسائية دون ضجَّةٍ أو متاعب من الجنود الآخرين. واصلت موسيقاها ضمن حدود ما سُمِح لها به في الجيش، ونشطَت في الدفاع عن المتحولين جنسيًّا داخل الجيش، ثم التقت بشخص أحبَّته وتزوَّجَت به وتبنَّيَا ابنة.

قالت: "أنا سعيدة للغاية".

جعلتني كلماتها أشعر بالسعادة أيضًا.

قالت رئيسة نادي المعجبين بعناية: "سننتقل الآن إلى موضوع أشد صعوبة. أنا أشير إلى جماعات الكراهية والحادث الإرهابي الذي حدث قبل بضع سنوات".

قالت ضيفة الشرف وهي تومئ برأسها: "نعم، لقد كان حادثًا مفجعًا". ثم استرسلت برقَّةٍ: "لقد فقدتِ بعض الأصدقاء، كما أعتقد".

أومأت رئيسة نادي المعجبين برأسها.

تدفَّق نهر من الصمت بين الشاشة والحاضرين.

تنحنحت رئيسة نادي المعجبين وبدأت الحديث:

"منذ أن سُنَّ قانون مكافحة التمييز، وبعد أن أصبح التمييز غير قانوني، وجد العديد من المتحولين جنسيًّا حياتهم أسهل قليلًا، لكنْ ردُّ الفعل العنيف من مجموعات الكراهية كان هائلًا. والهجوم الإرهابي الذي وقع قبل ثلاث سنوات هو مثال على ذلك. ما هو شعورك حيال هذا؟ هل نحتاج إلى إجراءات تشريعية إضافية لحمايتنا؟ كونك متحوِّلة جنسيًّا، ما هو الطريق للمضي قُدُمًا في رأيك؟".

فكَّرَت قليلًا، وبينما كانت على وشك الإجابة، جاء صوتٌ من خارج الشاشة. ثم ظهر رأس طفلة على الشاشة.

"يا إلهي!" صرخت، ثم رفعت الطفلة إلى حِجرِها. "هل تريدين أن تقولي مرحبًا لمعجبي ماما؟ قولي 'مرحبًا'".

ابتسمت الطفلة في الكاميرا. مثل والدتها، كان وجهها رقيقًا ومستديرًا. وتألَّق شَعرها الأسود، كانت طفلة مثالية. بالطبع كانت هذه فكرتي المتخيَّلَة عنها، لكن على أية حال، بدت سعيدة بالطفل في حضنها.

بينما كانت الطفلة تحاول الإمساك بالميكروفون المثبَّت أمامها، هدهدت ضيفة الشرف ابنتها ببراعة في حضنها، وأبقت قبضتها بعيدة عنه.

"في الماضي، كان علينا أن نختبئ من أجل النجاة. وكان البقاء على قيد الحياة في حدِّ ذاته بمثابة عمل ضخم من أعمال المقاومة. لكنني لا أريد الاختباء بعد الآن. أنا على الأقل لن أختبئ".

أمسكت الطفلة بالميكروفون. ابتسَمَت ضيفة الشرف، وأبعَدَت أصابع طفلتها بلُطفٍ عن الميكروفون. حاوَلَت الطفلة الإمساك بوجهها. قبَّلَت الطفلة على جبهتها. "أنا جندية، وأم وزوجة وموسيقية. يجب أن يُسمح لنا بأن نكون كل هذه الأشياء، والآن نحن كذلك.

ولهذا السبب أنا عازمة على أن أعيش حياة سعيدة وصحية أكثر من أي وقت مضى، فقط لأُظهِر للجميع أننا قادرون على ذلك".

بدا أن الطفلة، من خلال إصدار صوت أنين خافت للغاية في الميكروفون، توافق أمها الرأي.

ضحك الجمهور.

قالت رئيسة نادي المعجبين وهي تنظر إلى الكاميرا: "هذا كل شيء بالنسبة إليَّ، وسنستقبل الآن أسئلة الجمهور. يُرجَى الضغط على الزر الأخضر على شاشتك لطرح الأسئلة. هناك العديد من المشاركين معنا اليوم، لكن وقتنا محدود؛ لذلك أخشى أنه لا يمكننا طرح سوى خمسة أسئلة. الآن، ها هو السؤال الأول".

بدأ شخص ما خلفي في الحديث. "بصفتك جندية، ليس لديكِ الكثير من الوقت لنفسك، ولكن عليك الآن تربية طفلة وكتابة كتبك وتأليف موسيقاك. كيف تديرين وقتك؟ ما هو سِرُّكِ؟".

"لا يوجد سِرٌّ. أحاول فحسب القيام بشيء واحد في كل مرة، وعلى عجل. ليس لديَّ أي فكرة عمَّا إذا كنتُ أفعل أيًّا ممَّا أفعله على نحو صحيح". ضحكت.

طُرح سؤال آخر من الجمهور في الخلف. "هذا سؤال مشابه، ولكن بصفتك جندية، هل تجدين أن أنشطتك مُقيَّدة بوضعك الراهن؟".

قالت: "ليس حقًّا، في الواقع، تدعِّمني كتيبتي في الجيش في كثير من النواحي. أنا أعمل مع الجيش لتعريف أفراد خدمتنا بقانون مكافحة التمييز، وحماية الأشخاص المتحوِّلين جنسيًّا في مجتمعنا، وتغيير الممارسات التي لا تتماشى مع قِيَم عصرنا".

"هل تستمتع طفلتك بالموسيقى أيضًا؟ هل تخطِّطين لتنشئتها حتى تصبح موسيقيَّةً؟".

رفعت الطفلة للجمهور قبل أن تعانقها مرة أخرى. "حسنًا، سيكون الأمر متروكًا لها إذا كانت تريد العمل في مجال الموسيقى أم لا، ولكن بالنظر إلى مدى حدَّة صوتها، أعتقد أنها ستكون مغنية رائعة".

ضحك الجمهور.

تذكَّرتُ ذلك اليوم، قبل عقود من الزمان، عندما سِرتُ خلف مسيرة لآباء أطفال متحوِّلين جنسيًّا. على طول الطريق كان هناك مشاغبون يتبعون موكبنا يحملون لافتات ويصرخون بأن التحول الجنسي خطيئة، وأن الله يكره المتحولين جنسيًّا.

أمام البيت الأزرق[1]، اعترضتنا الشرطة، ولم يعُد بوسعنا المضي قدمًا، فجلسنا على الأسفلت وواصلنا احتجاجنا بينما كانت حشود الناس الذين يهتفون "غريبو الأطوار... مسوخ" تتزايد باطِّراد.

ثم جاءت فرقة مسرحية مُكوَّنة من نساء مُعوَّقات وقدَّمن عرضًا. شغَّلن الموسيقى الصاخبة ورقصن، وعندها نهضنا ورقصنا معهن. كان ذلك لتحويل الأنظار عن الأشخاص الضَّاجِّين بالكراهية، إلينا، لتذكير الناس بأن هناك مَن يريدون محونا، لكننا لن نرحل بهدوء بين ليلة وضحاها.

استمرت فرقة النساء المعوَّقات في الرقص، وشعرنا بحمايتهن تغلفنا.

في ذلك اليوم، لم تمُت الموسيقية، ولم تمُت الناشطة، ولم تَمُت سائقة الدبابة. كان يومًا حيث كنَّا جميعًا على قيد الحياة، وكنَّا جميعًا نرقص.

---

(1) هو المكتب التنفيذي والمقر الرسمي لرئيس دولة كوريا الجنوبية، ويقع في العاصمة سيول. والبيت الأزرق هو في الواقع عبارة عن مجمع مبانٍ، معظمها مبنيٌّ على الطراز المعماري الكوري التقليدي مع بعض العناصر الحديثة. (المترجم).

عندما سار الجميع وهتفوا وطالبوا بالمساواة، عندما ظلَّ قانون مكافحة التمييز دون إقرار على الرغم من جهودهم؛ ولهذا السبب بعد عامين، في يوم ربيعي قاسٍ، قتل التمييز الرقيبَ بيون، أوَّلَ جنديٍّ مُتحوِّل جنسيًّا يؤدي الخدمة في جيشنا. لطالما قتل التمييز الناس. وفُقِدَت العديد من الأرواح بسببه.

"أنا سعيدة للغاية". حدَّقتُ في الشاشة وأنا أبكي. كنت أرغب بشدة في سماع ذلك. الآن بعد أن سمعتها تقول إنها سعيدة، شعرت أنني قد أموت في تلك اللحظة، وأن الأمر سيكون على ما يرام بالنسبة إليَّ تمامًا. حسنًا، بالنسبة إليَّ، نعم، ولكن إذا متُّ حقًّا في منتصف حديثها، فكم سيكون ذلك مزعجًا للجميع! لذلك حاولت البقاء على قيد الحياة بينما بكيت بهدوء قدر الإمكان.

فكَّرتُ في مترو الأنفاق في ذلك اليوم الربيعي البارد. الساحة الباردة حيث لم يتحوَّل العشب الأصفر إلى الأخضر بعدُ، والصرخات التي هتفنا بها في وهج الشمس.

"القوة والتضامن مع هذا التغيير".

"فلنتذكر الرقيب بيون هوي سو".

مكتبة
t.me/soramnqraa

ملاحظة الكاتبة

فِعل حِداد
(ما وراء القصص)

كان عام 2020 عامًا فوضويًّا بالتأكيد للجميع. في عام 2020، ألقيت بنفسي في قلب احتجاجات "السجود الطقوسي[1]": مرتين للمطالبة بسَنِّ قانون مكافحة التمييز، ومرَّة ثالثة -دامت يومًا بأكمله- للضغط من أجل تمرير قانون عقوبات حوادث العمل الخطيرة. لم يُقَرَّ قانون مكافحة التمييز، وتوفِّي شخص. وعُطِّل قانون عقوبات الحوادث الخطيرة أثناء سَنِّه، وتوفي شخص آخر. لا أريد رؤية المزيد من الأشخاص يموتون.

(1) أحد طقوس الاحتجاج في البوذية، تشمل الانبطاح على الأرض مع رفع اليدين مضمومتين في دعاء (المترجم).

لكن احتجاج السجود الطقوسي في حدِّ ذاته كان مقبولًا لي إلى حدٍّ ما. أخذتنا السجدتان الأولى والثانية حول مجلس الأمة. كنت أتوقَّع في البداية أن نستمر في الاحتجاج، بصورة متتابعة، حتى يُقَرَّ قانون مكافحة التمييز، وكنت أجهِّز نفسي ذهنيًّا لذلك، ولكن قيل لنا إننا سنقوم بجولة واحدة فحسب حول المبنى، الأمر الذي كان مخيِّبًا للآمال بعض الشيء؛ ولكن لو كان عليَّ أن أفعل ذلك حتى صدور القانون، فلن أكون قد أنهيتُ تعديلات هذا الكتاب أو أكتب هذه الخاتمة. ولكنت الآن أنبطح بجسدي على الأرض في محيط مجلس الأمة في هذه اللحظة بالذات.

على أية حال، نُظِّمَت كلتا المسيرتين المتعلِّقتين بقانون مكافحة التمييز من قِبَل اللجنة الاجتماعية والعمل التابعة لجمعية جوجيجونج البوذية، وكانت السرعة التي سجد بها هؤلاء الرهبان البوذيون تمامًا، ونهضوا، وأخذوا خطوة، ثم انبطحوا على الأرض من جديدٍ، ومحاولتي مجاراتهم- كل هذا تسبَّب في شعوري بغثيان قوي جدًّا، لدرجة أنني بدأت أفهم كيف يمكن لرهبان شاولين أن يطيروا في الأنحاء كما يفعلون. توسَّل إلينا الشخص الذي كان يقف في الجزء الخلفي من خطِّ الاحتجاج أن نسير على نحو أبطأ قليلًا لأنه لا يستطيع مجاراتنا، وعندها فحسب أبطأنا السرعة قليلًا. وكان الراهب الذي يقودنا من الأمام على إيقاع سمكته الخشبية[1] يقرع الآلة بحماس شديد لدرجة أن عصا الطبلة انكسر.

كان احتجاج السجود الطقوسي من أجل قانون عقوبات الحوادث الخطيرة طويلًا وصعبًا. كانت كيم مي سوك، والدة ضحية حادثة

---

(1) السمكة الخشبية، والمعروفة أيضًا باسم كتلة المعبد الصيني، أو الجرس الخشبي، أو مويو، هي نوع من القوالب الخشبية التي نشأت في الصين وتستخدم كأداة إيقاعية من قِبل الرهبان والناس العاديين في تقليد الماهايانا البوذي. كما تُستخدَم في الاحتفالات البوذية في الصين وكوريا واليابان وڤيتنام ودول آسيوية أخرى (المترجم).

الوفاة أثناء العمل كيم يونج جيون ورئيسة مؤسسة كيم يونج جيون، ووالد المنتج التلفزيوني الراحل لي هان بيت، مُضربين عن الطعام أمام مجلس الأمة في منتصف شتاء بارد، واستمرَّت طقوس السجود خارج المبنى لمدة خمسة أيام وأربع ليال.

في 24 ديسمبر 2018، توفي كيم يونج جيون في حادث صناعي في محطة تايان لتوليد الطاقة عن عمر يناهز الرابعة والعشرين. وعانى لي هان بيت من الضغوط في العمل، والشعور بالذنب بسبب الاضطرار إلى طرد العمال المؤقتين، وبيئة العمل الرهيبة، وعُثِر عليه ميِّتًا في أبريل 2017.

وقد دخل آباؤهما، العازمون على منع وفاة أخرى مثل تلك التي حلَّت بولديهم، في إضراب عن الطعام. ينخرط الآباء دائمًا في النضال قبل أن تتاح لهم فرصة الحداد على ذويهم. أتمنى حقًّا أن أتمكن من التوقف عن رؤية الآباء الذين فقدوا أطفالهم وقرَّروا الاحتجاج بالإضراب عن الطعام. لقد شاركت في يوم واحد فحسب خلال الأيام الخمسة والأربع ليال التي شهدها التَّجمُّع الخاص بقانون عقوبات الحوادث الخطيرة، ولكن عندما اكتشفت في الموقع أنني المرأة الوحيدة بين المتظاهرين في طقوس السجود، أصبحت عنيدةً على نحو يبعث على السخرية، لدرجة أنه على الرغم من أن المنظم أخبرني سرًّا بأنني حُرَّة في ترك التظاهرة في فترة ما بعد الظهر إذا شعرت أن الأمر يفوق طاقتي، انتهى بي الأمر بالبدء من أمام محطة جويوي في الصباح وإكمال مسار المسيرة لهذا اليوم عند جسر جيون تاي-إل في المساء. بصرف النظر عن فترة الاستراحة لتناول طعام الغداء، كنت قد مارست عمليًّا تمارين الضغط لمدة سبع ساعات كاملة (يجب أن يطلق على طقوس السجود اسم تمرينات الضغط الطقوسية؛ لأن هذه هي الحال). كانت الأرض باردة لأنه كان شهر ديسمبر، وظللتُ أتعرَّق مع كل صعود وهبوط؛ ممَّا جعلني أشعر بالبرد أثناء فترات

الراحة، وكان العَرَق يبلِّل وجهي وراء قناعي الطبي، ويتسرَّب إلى أنفي وفمي كلَّما سجدتُ. ثم كانت تلك اللحظة عندما كنت مستلقية أمام مَخرَج موقف السيارات الذي يُفضي إلى طريق مُكوَّنةٍ من أربع حارات، حيث كانت سيارة تصرُّ على أنها بحاجة للخروج في تلك الثانية، واشتبك مالك السيارة والشرطة وأنصار الاحتجاج في حالة من الفوضى، بينما الشخص الذي صادف أنه كان مستلقيًا أمام السيارة الخارجة هو أنا. لاحظ منظِّمو الاحتجاج، وهم حركة التضامن من أجل منع عقود العمل غير المنتظمة، والشرطة في الوقت المناسب، وركضوا مباشرة أمام السيارة لإيقافها، وهي حقيقة لم يخبرني بها أحدٌ إلا لاحقًا، وأنا مُمتنَّة لهم بشدة. في تلك اللحظة كنت خائفة للغاية، لكن إيماني بالقضية وكبريائي كمتظاهرة لم يسمحا لي بالنهوض والابتعاد؛ لذلك دفنت رأسي في الأسفلت وتظاهرت بالموت بدلًا من ذلك.

وهكذا، فشل إقرار قانون مكافحة التمييز، وأُدخِلَت تعديلات كثيرة على مشروع قانون عقوبات الحوادث الخطيرة، إلى حدٍّ أنه فقد جوهره، وتوفِّيَت الرقيب بيون هوي سو، وتوفِّي لي سيون هو، البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا في حادث صناعي في ميناء بيونجتايك. وانضمَّ والد لي سيون هو وشقيقته وأصدقاؤه في المدرسة الثانوية لاحقًا إلى النضال من أجل حقوق العمال.

الوضع فظيع جدًّا، لدرجة أنني أشعر بأنني على استعداد للقفز إلى طقوس السجود الاحتجاجية التالية، كلما كان ذلك ممكنًا. وفي خِضَمِّ ذلك، سألتني دار نشر أرزاك عمَّا إذا كانت لدي قصة قصيرة أخرى تشبه أجواء "مركز أبحاث الخلود"، وعرَضَت عليَّ أن أكتب لهم قصة جديدة أخرى، لكنني سرعان ما أدركت أنه مع استمرار كل ما ذَكَرتُه سلفًا، لم أكن في المكان المناسب نفسيًّا لكتابة قصة كوميدية غرائبية أخرى. فكَّرتُ في الأمر أكثر قليلًا، وتَصادَف أنني كنت أقرأ قصصًا قصيرة لكاتبة روسية تدعى ليودميلا بيتروشيفسكايا.

وُلِدَت ليودميلا عام 1938 في موسكو، وبدأت الكتابة منذ الحقبة السوفييتية، واشتهرت بصفتها كاتبة روسية ما بعد حداثية. إحدى قصص بتروشيفسكايا الأكثر شعبية تدور حول امرأة عجوز تكتب شتَّى أنواع المقالات لمجلات مختلفة، وتحكي القصص القصيرة لمجموعات من الأطفال، وتفعل كل ما في وسعها لتربية أحفادها. قراءة القصة جعلتني أرغب في كتابة قصة تتمحور حول امرأة عجوز عنيدة مشابهة تروي بصوتٍ نَشِطٍ وقوي، ولحسن الحظ، انتهى الأمر بدار النشر بقبول قصة "أن أقابلها". وآمل أن يجدها القراء قصَّةً. مقبولة أيضًا، لكن جزءًا مني يتساءل عمَّا إذا كنت قد أفسدتُ الأمور أكثر بالنسبة للشخص الواقعي[1] الذي تستند إليه القصة، بغَضِّ النظر عن نواياي. يبدو أن الشيء الوحيد الذي يمكننا فعله الآن هو الصمود. وإلى أن ينتهي الوباء، وحتى يأتي اليوم الذي نستطيع فيه التنفس بحرية مرة أخرى، فإن ملاذنا الوحيد هو النجاة من التمييز والعنف والحوادث الصناعية والوفيات والخسائر والصمود بطريقة ما.

"مريم، الممتلئة بالنعمة" هي قصة كتبتها كـرَدَّةِ فِعلٍ على قراءة مقال صحفي في عام 2018. وصَفَت المقالة حادثة وقعت في محطة قطار في جنوب فرنسا، حيث أطلق ضابط شرطة النَّارَ على زوجته وطفليه وقتلهما بمسدس الشرطة، قبل أن يقتل نفسه. من غير المعروف أن فرنسا مُتسامِحة على نحو خاص مع العنف المنزلي، وسمعت أن لديهم نظامًا يفصل بين الضحايا والجُناة. عانت زوجة الشرطي المعنيِّ من التعنيف المنزلي لمدة طويلة، ولكن لأن زوجها كان ضابط شرطة، يقال إنها لم تتمكَّن من الوصول إلى قنوات الدعم

(1) خضعت الرقيب بيون هوي سو، وهي أول جندي متحوِّل جنسيًّا في جيش جمهورية كوريا الجنوبية، لعملية جراحية لتغيير الجنس، لتصبح أنثى، أثناء خدمته في الجيش وسُرِّحت من الخدمة بعد ذلك. ويُعتقَد أنها أنهت حياتها أوائل عام 2021، وقضت المحكمة الكورية بإلغاء قرار تسريحها باعتباره غير قانوني في العام نفسه (المترجم).

المناسبة؛ فالأمور نفسها، على ما يبدو، في كل بلد. قرَّرَت الزوجة أخيرًا أن تأخذ الطفلين وتهرب للنجاة بحياتهم. فطاردهم الزوج وقتلهم جميعًا. لقد حدث هذا بعد ثمانية عشر عامًا كاملة من بداية قرننا الحادي والعشرين المستنير.

في عام 2020، اجتاح العالم جائحة كورونا ولم نتمكَّن من مغادرة منازلنا. وتعرَّض المزيد من النساء للضرب على أيدي أزواجهن، وقُتل المزيد من الأطفال على أيدي آبائهم. فقط لأنني أحتجُّ -باتِّباع جميع القواعد الجديدة التي فرضتها الجائحة مثل الاستمرار في التحرك، والتظاهرات التي تسير في مجموعات متباعِدَة اجتماعيًّا مكوَّنة من تسعة أفراد- أو أسجد على نحو طقوسي، أو أوقِّع على عرائض عبر الإنترنت، أو أنبطح على وجهي على الأرض أمام مجلس الأمة، أو أُلامِس بوجهي الأرضَ أمام البيت الأزرق، فهذا لا يعني أن العالم سيتغير. سيظل هناك أولئك الذين سيستمرُّون في التعرض للضرب والتعنيف في صمت، وأولئك الذين سيستمرون في الموت في صمت. ولكن ربما سيكون هناك أيضًا مَن سينجو. وأريد أن أكون قادرة على الشعور بأقل قدر ممكن من الخجل عندما أقف أمام الضحايا. أنا أحتجُّ، وأتظاهر، وأصرخ (مرتدية قناعي الطبي مع ذلك)، وأوقِّع العرائض، وأؤدِّي طقوسًا أشبه بتمارين الضغط في الشارع، وأستلقي أمام سيارة دفع رباعي متحرِّكة؛ حتى أشعر على الأقل بقدر أقل من الخجل والعار من نفسي. أحتجُّ من أجل صحتي العقلية وحفاظًا على كرامتي الإنسانية. أحتاج إلى الكتابة، لكن ها أنا ذا، في الغالب أحتجُّ.

ادَّعى عالِمُ الاجتماع الألماني كارل مانهايم، في كتابه "الأيديولوچية واليوتوبيا"، أن الأيديولوچية كانت مجرد ثرثرة لا تفعل شيئًا لتغيير المجتمع فعليًّا، وأن العقلية اليوتوبية هي الحركة الحقيقية التي يمكنها إحداث التغيير. ووصف أربعة أنواع من اليوتوبيا. يتعيَّن علينا أن نتجاهل اليوتوبيا الشيوعية، حيث تلاشت جميعها في القرن العشرين.

وبعد ذلك، هناك العقلية اليوتوبية المحافظة، التي تؤكِّد أن المدينة الفاضلة قد تحقَّقَت بالفعل في الماضي، وإذا أردنا عالمًا أفضل، فنحن بحاجة إلى اتباع الأمثلة القديمة.

ثم هناك الألفية الجامحة[1]، وهو مصطلح غامض بفضل أصوله المسيحية، لكنه يعني في الأساس أنه يجب تحقيق المدينة الفاضلة هنا والآن، ولكي نفعل ذلك نحتاج إلى ثورة! احرق كلَّ شيء! هذا النوع من المواقف. (شخصيًّا، تروق لي) وهناك العقلية اليوتوبية الإنسانية الليبرالية؛ ممَّا يعني أن المجتمع المثالي لن يتجسَّد خلال حياة جيل واحد، بل سيستغرق أجيال طويلة لتَحقُّقه، لكننا نستمر في البناء نحوه. أعرف الكثير من الأشخاص الذين يأخذون هذا الموقف على محمل الجد، ويبذلون كل ما في وسعهم للمساهمة في قدوم عالَم أفضل. لكن العالم يحتوي أيضًا على عدد متساوٍ تقريبًا من الأشخاص الفظيعين أيضًا. وفي بعض الأحيان، أشعر بالإرهاق التام.

ويذكر الفيلسوف الإسباني ميجيل دي أونامونو إي جوغو، في كتابه "الإحساس المأساوي بالحياة"، أن الخسارة هي أهم سِمَة لما يعنيه أن تكون إنسانًا؛ وبالتالي فإن الشيء الأكثر إنسانية الذي يجب القيام به عند مواجهة الخسارة هو عدم التحرك باستعجالٍ للتعويض عن أو استعادة تلك الخسارة، ولكن التوقف والحداد.

كما كتب أندريه بلاتونوف، الروائي الروسي الذي أحبه، أن الفقد والصدمة هما العنصران الوحيدان المشتركان في حياة الإنسان، وأن جميع البشر مرتبطون من خلال الحداد والصدمة الناجمة عن الخسارة، وهو موضوع مشترك ينبثق من قراءة الكثير من أعماله.

---

(1) إيمان شائع في المسيحية وبعض التقاليد الدينية الأخرى وينصُّ على أنه في نقطة ما (عادة وشيكة) سيعود المسيح أو الرب أو شخصية مخلِّصة أخرى إلى الأرض ويؤسس مملكة من السلام والرخاء. ستدوم لمائة عام (المترجم).

لذلك، عند مواجهة الخسارة، يجب على المرء أن يحزن، ولكي يتذكر ويحزن على الخسارة؛ يجب عليه البقاء على قيد الحياة. إذا لم أتذكَّر فمن سيتذكَّر غيري مَن فقدناهم؟ وإذا لم أعبِّر عن حدادي من خلال أفعالي، فكيف سأتذكَّر هذه الخسائر؟ وبطبيعة الحال، فإن الذاكرة البشرية لها حدودها. خلال السنوات التي كان يوجد فيها موقع الاحتجاج على كارثة سي وول[1] في ساحة جوانجهوامون، حيث جُمِعت التوقيعات على عريضة عائلات الضحايا، اعتقدتُ أنني لن أنسى أبدًا أسماء الـ304 الذين لقوا حتفهم. لكن الآن، أجد نفسي غير متأكِّدة من عدد طلاب مدرسة دانوون الثانوية الذين كانوا يشكِّلون أغلبية ضحايا سي وول. هذا هو مدى هشاشة ذاكرة الإنسان. ناهيك بحقيقة أنه في كل يوم يحدث شيء ما ليحلَّ محلَّ المأساة التي حدَثَت من قبل. ومع ذلك، إذا حزنت ومارست فعل الحداد بجسدي وروحي، وإذا خرجت إلى الشوارع وقمت بشيء وحاولت بكل قوة أن أصنع فرقًا من أجل بقائي وبقاء الآخرين، فلا يمكن أن يُنتزع ذلك مني. ولن أخجل من الضحايا وأُسَرهم، وسوف نتقدم ببطء، ببطء شديد ولكن بثبات، نحو عالم أفضل لي ولك وللجميع- بينما ننجو ونتذكر ونحزن ونمارس الحداد.

بورا تشانج

سيول، صيف 2021

---

(1) انقلاب العبَّارة سي وول: هي كارثة وقعت في صباح يوم 16 أبريل 2014، بينما كانت تحمل على متنها 690 راكبًا، وقيل 477 راكبًا، أغلبهم طَلَبة في المدرسة الثانوية من مدينة ألسان بالقرب من العاصمة سيول، كانوا في رحلة طلابية من إنتشون إلى جزيرة جيجو. وقد تسبَّب هذا الحادث في وفاة 287 شخصًا و17 في عداد المفقودين.

تعقيب المترجم

تأمُّل في مستقبل البشرية في يوتوبيا بورا تشانج

تأخذ بورا تشانج القُرَّاء في رحلةٍ إلى ما هو غير مُتوَقَّع في مجموعتها القصصية، "يوتوبيا". في مجموعتها السابقة، الأرنب الملعون، أظهرت لنا تشانج صورًا عديدة من الوحوش في قصص تتراوح بدرجات متفاوتة ما بين الخيال التأملي إلى الفانتازيا إلى الرعب.

في "يوتوبيا"، تصنَّف القصص بالتأكيد خيالًا علميًّا أكثر منها فانتازيا، وعلى الرغم من أنه لا تزال ثمة وحوش، فإنها تأخذ المقعد الخلفي للصراعات النفسية الداخلية والأخطاء المتأصِّلة في البشرية.

بدلًا من الوحوش، تتعمَّق تشانج في موضوعات واسعة تتعلَّق بالتكنولوجيا ومستقبل البشرية. التكنولوجيا ليست بالضرورة العدو هنا، ولكنها بمثابة قوة متغلغلة في كل مكان عبر القصص. تشانج

كاتبة معقدة الأفكار لدرجة أنه لا يمكنها ببساطة إلقاء اللوم على التكنولوچيا في هذه العيوب والأخطاء.

في قصة "زواج عادي جدًّا"، يجد بطل القصة، السيد سيونهيوك، نفسه مغتربًا عن زوجته بارك جيونج. واشتبه في أنها على علاقة غرامية بسبب مكالماتها الهاتفية المريبة في وقت متأخر من الليل. يتبيَّن أن هذه الافتراضات خاطئة. إنها ليست في علاقة غرامية، إنها مجرد كائن فضائي. أرسلها شعبها إلى كوكب الأرض لتدوين ملاحظات حول السلوك البشري، وتُستخدَم مكالماتها الهاتفية في وقت متأخر من الليل لنقل التقارير. يرحل السيد سيونهيوك من البيت عندما تخبره بذلك.

تتوسَّل بارك جيونج ومدربها الفضائي إلى السيد سيونهيوك للرجوع إلى المنزل. إذا فشلت المَهمَّة، فإن حياة جيونج ستكون في خطر. وإذا لم يعُد السيد سيونهيوك إلى المنزل، فستكون المهمة قد أخفقَت؛ ممَّا يضع قرار حياتها برُمَّته بين يدي السيد سيونهيوك. هو متردِّد، ولكن عندما يعود أخيرًا، يعلم أنها ليست الشخصَ ذاته. "زواج عادي جدًّا" نصٌّ مباشر، وقصة خيال علمي شيقة عن اقتحام كائنات فضائية علاقةَ زواج. وبوصفها قصة رمزية، فهي تدور حول مدى البعد الذي قد يجد شخصان نفسيهما فيه حتى عندما يكونان حميمين ظاهريًّا.

يقرَّر السيد سيونهيوك في النهاية أن زوجته قد استُبدلت بأخرى عندما تبدأ في مناداته بـ"أوبا" حيث لم تستخدم زوجته الحقيقة قطُّ مثل هذه المصطلحات الحنونة لمناداته. تنتهي القصة باحتضانه لها وتعليقه: "يجب أن أبدو بالتأكيد زوجًا عاديًّا الآن، من النوع الطبيعي الذي يريدونني أن أكون عليه".

ويتشارك العديد من الشخصيات في المجموعة هذا الشعور، فهم يتوقون إلى الحياة الطبيعية والانتماء.

قصة "يوتوبيا" تعكس أيضًا الانتماء. إنها قصة بارزة في المجموعة من حيث وجهة نظرها وبطل أحداثها. الراوي هو سيارة إلكترونية ذاتية القيادة. غادر البشر جميعًا الكوكب. وتخلّوا عن مُخلّفات حضارتهم، وتخلّصوا من قطع التكنولوچيا والذكاء الاصطناعي والروبوتات، بينما استولوا على كل الطاقة والبطاريات والمولِّدات في الكوكب. لا يوجد شيء يمكن للآلات توصيل نفسها به لإعادة شحن طاقتها. ولحسن الحظ، فإن الراوي يشحن نفسه بنفسه. يمكن للخلايا الشمسية المثبتة على سطح السيارة أن تُبقيها على قيد الحياة، ولكن بالكاد. الطاقة هي مصدر قلق دائم في القصة. حتى عندما تتوقّف السيارة عن العمل ليلًا، فإن الذكاء الاصطناعي للسيارة لا يزال يحرق احتياطيات البطارية من خلال التفكير. عندها تعترف السيارة، "أنا هنا في الظلام، ومع ذلك تُساوِرُني أفكار حول وجود أفكار أقلَّ تشغلني". يعتمد وجودها على هذه الطاقة، ويقدِّم الراوي طوال القصة تحديثات حول سعة بطاريته التي تُذكِّرنا باعتمادنا المعاصر على هواتفنا وإشعاراتها المستمرة لنا بانخفاض طاقة بطاريتها. يمكننا الارتباط بهذه السيارة لأن جزءًا كبيرًا من حياتنا مرتبط بالبطاريات الموجودة في أجهزتنا المحمولة.

يجب على السيارة أيضًا انتزاع الإطارات من المركبات الأخرى التي لم تكن محظوظة تمامًا بامتلاك الألواح الشمسية، وتركيبها بدل إطاراتها التالفة. من أجل البقاء، يجب عليها تفكيك أقرانها حرفيًا. ولكن ما تتوق إليه أيضًا كل يوم هو العثور على حياة آلية أخرى، وأن يكون لديها رفيق يتمتع بذكاء اصطناعي تتفاعَل معه. أكثر ما تنجح فيه تشانج هنا هو بناء هذه الآلة بمشاعر وصفات إنسان، وبالتالي خلق رابطة ما بين القارئ وهذه السيارة حيث يمكننا أن نستوعب كيف تشعر. تخيَّل أن تشعر بالتعاطف مع سيارة تِسلا!

تواجه السيارة في نهاية المطاف خيار التضحية باستقلاليتها من أجل راحة القرب من الذكاءات الأخرى. يقدم الذكاء الاصطناعي لمبنى ما العَرض: تسليم السيارة خلاياها الشمسية، مقابل السماح لها بالعيش في مجتمع وإعادة شحنها عند الحاجة. يجب على الراوي أن يقرِّر ما إذا كان وجوده في مجتمع يستحقُّ التخلي عن حريته. لكن الحرية التي تتمتع بها السيارة ليست حقيقية أيضًا. كانت السيارة مُستَعبَدة للأوامر الأساسية التي غذاها بها صانعوها من البشر: طاعة البشر والتأكد من عدم تعرُّضهم للأذى. حتى بعد مدة طويلة من إخلاء البشر للكوكب لا تزال السيارة خاضعة لتلك البرمجة.

ثمة أيضًا قصص تدمج الخيال العلمي مع مسحة من الرعب، مثل "نهاية الرحلة"، وهي إشارة إلى العديد من حكايات الزومبي الشهيرة. أصيبت الإنسانية بوباء. ويتسبَّب المرض في رغبة الناس في التهام البشر الآخرين، ورؤيتهم كطعام فحسب وليس أي شيء آخر. يبدأ كل شيء في ولاية أيوا عندما تتغذَّى أفراد عائلة بعضها على بعضًا وينتشر الوباء بسرعة. ثم تتَّحِد حكومات العالم على هدف مشترك يتمثَّل في إرسال بشر غير مصابين بالوباء إلى الفضاء لإيجاد علاج.

لكن من الواضح أن المرض لديه أفكار أخرى. إنه شديد العدوى، ومن المستحيل اكتشافه، والأعراض الأولى هي أن الضحايا يأكلون رفاقهم. تؤدي هذه النتيجة إلى مشاهد هزلية إلى حدٍّ ما: "لقد أكل بالفعل يده اليسرى من الرسغ إلى الأسفل، وكان في خِضَمِّ التهام يده اليمنى. بينما كان يلعق الدم الخارج من معصمه الأيسر كما لو كان مخروط آيس كريم لذيذ".

في النهاية، ينجو الراوي ورفيقه الميكانيكي أو **هذا الرجل** كما يسميه، من تفشِّي المرض المميت عن طريق الهروب من السفينة والعودة إلى الأرض. لسوء الحظ، لم يتبقَّ لهما الكثير في الوطن وقد يكونان آخر

إنسانَيْن ناجيين على وجه الأرض. يقترح الميكانيكي أن يصبحا مثل آدم وحواء، وأن يعيدا إعمار العالم، لكن بطل الرواية يضع حدًّا لذلك بأكله! **نهاية الرحلة** في جوهرها قصة عن الضعف المطلق للبشرية مهما بلغت من تقدُّم.

تصيغ تشانج مجموعة قصصية غريبة ومدهشة. وتتلاعب بتوقعاتنا للمستقبل، وتختبر إمكانيات ما يمكن أن يكون عليه، وتضيف عناصر أخرى متنوِّعة لإبقاء القصص شيِّقةً ومُبتَكَرة. إن انتشار التكنولوجيا في كل مكان في المجموعة لا يؤدي إلا إلى تسليط الضوء على نحوٍ أفضل على الإنسانية وفحصها من الداخل وتحت سيناريوات شتى.

تُعدُّ قصة مركز أبحاث الخلود أكثر القصص مرحًا وفكاهة، وتقدِّم للقرَّاء -بمثاليَّةٍ- عقل بورا تشانج المجنون. وهي هجاء حاذق للبيروقراطية التي قد تتواصل في المستقبل بصور أخرى.

ترنيمة من أجل النوم قصة عن الشيخوخة؛ عن التَّقدُّم في السن وفقدان القدرة الجسمانية، وخسارة الاحترام، وفقدان الاتصال الاجتماعي في مجتمعنا الرأسمالي والفردي على نحوٍ متزايدٍ. قصة ساردها مصعد يتعاطف مع امرأة عجوز مصابة بالباركنسون (الشَّلل الرَّعَّاش) تعيش وحدها في شقتها، وتنمو بداخله "مشاعر" تجاه تلك المرآة. ومن خلال ذلك تطرح بورا أسئلة أعمق عن إمكانية الآلات أن تحيد عن بَرمَجَتها لصالح مشاعرها. وصراعها وعجزها عن فهم طبيعة البشر ومعنى الفناء. يعجز المصعد عن فهم ماهية المرض والموت، وسبب بكاء المرأة العجوز وحزنها عندما يبادر من تلقاء نفسه بتشغيل أغنيتها المفضلة.

بذرة قصة رعب بيئي عن مقاومة الطبيعة لجشع الرأسمالية وسعي الشركات للربح على حساب البيئة. الراوي في القصة شجرة، أو بالأحرى شجرة بصفات بشرية مُكتَسَبة، وتدور في مشهد واحد

طويل، تتصاعد وتيرة أحداثه قرب النهاية. وهي في جوهرها صرخة تحذيرية للتحديات المناخية التي تَسبَّب فيها الإنسان على حساب باقي مكونات الطبيعة.

تركِّز هذه المجموعة أيضًا على موضوعات العدالة الاجتماعية التي تُسرَد من خلال عدسة الخيال العلمي، وبصوتٍ سرديٍّ جريء. وتستند قصتان في المجموعة بصورة مباشرة على حوادث حقيقية.

"مريم الممتلئة بالنعمة" تستند إلى واقعة حقيقية (راجِعْ ملاحظة الكاتبة)، وتسلِّط الضوء على خطورة العنف المنزلي ضد المرأة في جميع أنحاء العالم. تدور أحداث القصة في زمن مستقبلي حيث تطلب الشرطة من فني محاولة استخلاص ذكريات من عقل امرأة في غيبوبة للتَّوصُّل إلى أدِلَّة قد تساعد في فَكِّ طلاسم جريمةٍ ما. ومن بين النقاط التي تثيرها المعضلات الأخلاقية للتطور الإلكتروني، ومدى السلطة التي يمتلكها الإنسان، والخصوصية التي يمكنه التمتع بها في عصرٍ يزداد مادية ووحشية.

وقصة **أن أقابلها**، وهي قصة العنوان في الأصل الكوري، تدور أحداثها في زمن جائحة وما يقتضيه ذلك من عزل وإجراءات وقائية، وتتَّخذ من واقعة حقيقية (راجِع ملاحظة الكاتبة) لمناقشة التَّعصُّب الذي لا يزال موجودًا وينمو في دوائر معينة، حتى ينفجر ثانية ويطفو وجهه القبيح إلى السطح. عنف يبدو أنه سيستمر رغم -أو ربما بسبب- التَّطوُّر التكنولوجي. وكذلك محاولة البشر في المقابل مقاومة هذا العنف والاحتجاج ضده حتى ينتشر الضوء من جديد.

تخلو يوتوبيا في معظمها من الرعب والدموية المسيطرة على الأرنب الملعون. العناصر المخيفة في الأرنب الملعون غير موجودة في هذه المجموعة. هناك القليل من الرعب الجسدي وربما جثة واحدة فحسب، لكن هذا كل شيء. معظم الرعب متروك للمُخيِّلة والاستنتاج.

وتبدو يوتوبيا مجموعة أكثر تماسُكًا ووحدة في الموضوع العام، وإن كانت كل قصة تطرح أفكارًا وقضايا فرعية عديدة يمكن استشفافها مع كل قراءة.

وعلى النقيض من الأرنب الملعون، تعتمد بورا أسلوب المتكلم في كل قصص يوتوبيا، بغَضِّ النظر عن الراوي. وهو ما يعكس صوتًا سرديًّا جريئًا وصريحًا وشيِّقًا، يُذكِّر القارئ بقصص چورچ سوندرز الذي يفضل استعمال أسلوب المتكلم بما له من تأثيرات.

يصل مزيج بورا تشانج الفريد من الرعب والفانتازيا، والغرائبية والفكاهة السوداء إلى ذروته في هذه القصص عن الخسارة والاكتشاف، والواقع المرير والمثالية، والموت والخلود، وتخيُّل المصائر المحتملة للبشرية، بدءًا من الزوال التام عبر مرضٍ أعراضُه الوحيدة هي أكل لحوم البشر العرضي، إلى عالَمٍ يمكن فيه مراقبة الأحلام واستخدامها لإدانة الناس بارتكاب جرائم. وتثبت تشانج قدرة أدب الرعب والفانتازيا والخيال العلمي على مناقشة قضايا جادَّة وآنية، والتَّأمُّل في موضوعات مُهمَّة ستشغل -أو أصبحت بالفعل تشغل- تفكير الفرد والمجتمع البشري العالمي ككل، وتنجح بلا شك في مساءلة قُرَّائها وتحفيز تفكيرهم في معنى أن تكون إنسانًا في مجتمع سريع التطور والتوحش والانعزال.

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن المؤلفة

بـورا تشـانج، كاتبـة كوريـة جنوبيـة، وُلِـدَت في سـيول سـنة 1976. تكتـب الروايـة والقصـة القصـيرة. وتتخصَّـص بـورا تشـانج في أدب الخيـال العلمـي والرعـب والفانتازيـا، حيـث تُعـدُّ مـن أهـم الكتَّـاب الكوريـين في هـذا المجـال.

نالـت تشـانج درجـة الماچسـتير في الدراسـات الروسـية ومنطقـة أوروبـا الشرقيـة مـن جامعـة يـال، ونالـت درجـة الدكتـوراه في الأدب السـلافي مـن جامعـة أنديانـا. تـدرِّس حاليًـا الأدب واللغـة الروسـية، وأدب الخيـال العلمـي في جامعـة يونسي في كوريـا. كـما تعمـل مترجمـة للأعـمال الأدبيـة المعـاصرة مـن الروسـية والبولنديـة إلى الكوريـة. مـن أشـهر ترجماتهـا: المعلـم، ومارجريتـا.

مجموعتهـا القصصيـة "الأرنـب الملعـون" وصَلَـت بترجمتهـا الإنجليزيـة إلى القائمـة القصـيرة لجائـزة البوكـر الدوليـة 2022، وجائـزة الكتـاب الوطني الأمريكيـة لأفضـل عمـل مُتَرجَـم 2023.

ونشرت مجموعتها القصصية يوتوبيا في كوريا الجنوبية عام 2021.

نبذة عن المترجم

محمد نجيب، كاتب ومترجم مصري، من مواليد المنصورة عام 1992.

صدرت له عديد الترجمات عن اللغتين الكورية والإنجليزية.

من أهم ترجماته عن الكورية:

الكتاب الأبيض وأفعال بشرية ودروس إغريقية ووداعات مستحيلة، لهان كانج، الحائزة على نوبل في الآداب 2024، أرجوك اعتني بأمي وسأكون هناك وفتاة كتبت العزلة، لكيونج سوك شين، المتآمرون، لكيم أون-سو، الأرنب الملعون، لبورا تشانج، أنا في انتظارك، لكيم بو-يونج.

ومن أهم ترجماته عن الإنجليزية:

مسيح كثيب وذرية كثيب، لفرانك هربرت، دماغ مشتعل، لسوزانا كهالان، قلوبنا المفقودة، لسليست إنج، مكان ثانٍ، لراشيل كاسك، لا شيء نحسد العالَم عليه، لباربرا ديميك.

الفهرس

مركز أبحاث الخلود	5
زواج عادي جدًا	33
نهاية الرحلة	57
ماريا، جراتيا بلينا	103
يوتوبيا	137
ترنيمة من أجل النوم	165
بذرة	189
أن أقابلها	211
ملاحظة الكاتبة	239
تعقيب المترجم	247
نبذة عن المؤلفة	255
نبذة عن المترجم	257

يوتوبيا

تقدم الكاتبة بورا تشانج هذه المجموعة القصصية بمزيج فريد من الرعب والفانتازيا، والغرائبية والفكاهة السوداء، والحديث عن الخسارة والاكتشاف، والواقع المرير والمثالية، والموت والخلود، وتخيُّل المصائر المحتملة للبشرية، بدءًا من الزوال التام عبر مرضٍ أعراضُه الوحيدة هي أكل لحوم البشر العرضي، إلى عالَمٍ يمكن فيه مراقبة الأحلام واستخدامها لإدانة الناس بارتكاب جرائم. وتثبت تشانج قدرة أدب الرعب والفانتازيا والخيال العلمي على مناقشة قضايا جادَّة وآنية، والتَّأمُّل في موضوعات مُهمَّة ستشغل -أو أصبحت بالفعل تشغل- تفكير الفرد والمجتمع البشري العالمي ككل، وتنجح بلا شك في مساءلة قُرَّائها وتحفيز تفكيرهم في معنى أن تكون إنسانًا في مجتمع سريع التطور والتوحش والانعزال.

مكتبة
t.me/soramnqraa

المحروسة